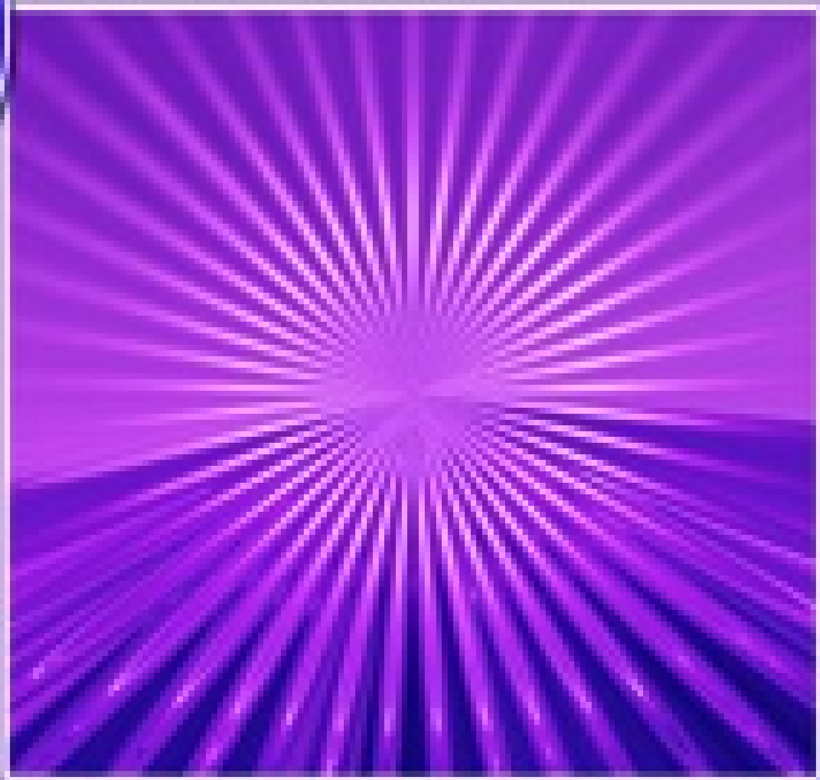
ميقات الحج

مجلة نصف سنوية تعنى بالشؤون الثقافية
والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحج



٨

■ الحج.. رموز وحِكَم (1) ■ صلاة الطواف ومكانها ■
■ شبهات معاصرة في الحج (3) ■ فقه الجدال في الحج (2) ■
■ صفحات من تاريخ المدينة المنورة ■
■ حكايات من مكة المكرمة ■ أسماء بنت عميس.. داعية تحتذى ■
■ الرحلة الحجية للعلامة السيد محسن الأمين ■
■ مكة المكرمة دراسة في جغرافية المدن ■

بسم الله الرحمن الرحیم

دو فصلنامه « میقات الحج »

کاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعهٔ:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

میقات الحج المجلد۸

اشارة

عنوان و نام پدیدآور : میقات الحج[پیایند: مجله]

مشخصات نشر : تهران: منظمة الحج و الزیارة، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -

فاصله انتشار : شش ماه یکبار

یادداشت : عربی

فهرست‌نویسی براساس سال۳ شماره۵ سال۱۴۱۷ق.

یادداشت : این نشریه در بیروت نیز منتشر می‌شود

یادداشت : المدیرالمسؤول: محمد محمدی‌ری‌شهری

رئیس‌التحریر: علی قاضی‌عسکر

یادداشت : کتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشریات ادواری

شناسه افزوده : محمدی ری‌شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدیر مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسکر، سیدعلی، ۱۳۲۵، - سردبیر

شناسه افزوده : سازمان حج و زیارت

رده بندی کنگره : BP۱۸۸/۸

رده بندی د... : ۲۹۷/۳۵۷۰۵

الحج فی احادیث الامام الخمینی قدس سره

ص: ١

ص: ۲

ص: ۳

ص:۴۰

ص: ۵

العدد الثامن

الحج فی أحادیث الإمام الخمینی قدس سره

عندما تلفظون لبّیک اللّهمّ لبّیک، قولوا: لا، لجمیع الأصنام، واصرخوا: لا، لکلّ الطواغیت الکبار والصغار.

وأثناء الطواف فی حرم اللَّه حیث یتجلی العشق الإلهی، أخلوا قلوبکم من الآخرین، وطهّروا أرواحکم من أی خوف لغیر اللَّه. وفی موازاة العشق الإلهی، تبرأوا من الأصنام الکبیرة والصغیرة والطواغیت وعملائهم وأزلامهم، حیث إنّ اللَّه تعالی ومحبّیه تبرّأوا منهم، وإنّ جمیع أحرار العالم بریئون منهم.

وحین تلمسون الحجر الأسود أعقدوا البیعة مع اللَّه أن تکونوا أعداء لأعداء اللَّه ورسوله والصالحین والأحرار، ومطیعین وعبیداً له، أینما کنتم وکیفما کنتم. لا تحنوا رؤوسکم واطردوا الخوف من قلوبکم، واعلموا أن أعداء اللَّه وعلی رأسهم الشیطان الأکبر جبناء، وإن کانوا متفوّقین فی قتل البشر وفی جرائمهم وجنایاتهم.

أثناء سعیکم بین الصفا والمروة اسعوا سعی من یرید الوصول إلی المحبوب، حتی إذا ما وجدتموه هانت کل الأمور الدنیویة، وتنتهی کل الشکوک والترددات،

ص: ۶

وتزول کل المخاوف والحبائل الشیطانیة والارتباطات القلبیة المادیة، وتزهر الحریة، وتنکسر القیود الشیطانیة والطاغوتیة التی أسرت عباد اللَّه.

سیروا إلی المشعر الحرام وعرفات وأنتم فی حالة إحساس وعرفان، وکونوا فی أی موقف مطمئنی القلب لوعد اللَّه الحقّ بإقامة حکم المستضعفین. وبسکون وهدوء فکّروا بآیات اللَّه الحقّ، وفکّروا بتخلیص المحرومین والمستضعفین من براثن الاستکبار العالمی، واطلبوا من الحقّ تعالی فی تلک المواقف الکریمة تحقیق سُبل النجاة. بعد ذلک عندما تذهبون إلی منی اطلبوا هناک أن تتحقّق الآمال الحقّة حیث التضحیة هناک بأثمن وأحب شیء فی طریق المحبوب المطلق، واعلموا أنه ما لم تتجاوزوا هذه الرغبات، التی أعلاها حبّ النفس وحبّ الدنیا التابع لها، فسوف لن تصلوا إلی المحبوب المطلق. وفی هذا الحال ارجموا الشیطان، واطردوا الشیطان من أنفسکم، وکرروا رجم الشیطان فی مواقع مختلفة بناء علی الأوامر الإلهیة؛ لدفع شرّ الشیاطین وأبنائهم عنکم.

إن هذا السفر الإلهی الذی تذهبون إلیه، وترجمون فیه الشیطان، وإذا ما کنتم- لا سمح اللَّه- من جنود الشیطان سترجمون أنفسکم أیضاً. یجب أن تکونوا فیه رحمانیین، وأن تصبحوا رحمانیین، حتی یکون رجمکم رجمَ أتباع الرحمن، وجنوده للشیطان، وأنتم تقفون فی تلک المواقف والمواضع الکریمة، معاذ اللَّه أن یتلوّث وقوفکم بشیء خلاف الشرع، أو یتلوّث بالمعصیة، ففضلًا عن إراقة ماء الوجه أمام اللَّه تسقط کرامة الإسلام فی الدنیا. الیوم کرامة الإسلام متقوّمة بوجودکم، أنتم الذین تذهبون جماعات جماعات إلی تلک المواقف الکریمة، ویشاهدکم سائر المسلمین من شتی بقاع الدنیا.

الحجّ فی أحادیث الإمام الخامنئی

ص: ۷

الحجّ فی أحادیث الإمام الخامنئی

- مد ظله العالی-

بیت اللَّه الحرام هذه الأیام یستضیف مرةً أخری سیولَ القلوب المتلهفة المشتاقة، التی هوت إلی کعبة الآمال من کلّ فجٍّ عمیق .. حیث الملایین تستشعر الوحدة والوئام فی ظل عبودیة اللَّه الواحد القهّار؛ وحیثُ العیونُ التی تسخو بدموعها وهی تقف علی ربوع النبیّ الأعظم صلی الله علیه و آله وأولیاء اللَّه علیهم السلام والمجاهدین والعظام فی تاریخ الإسلام؛ وحیث الأرواحُ تصفو وتشرق فی ظلّ معنویة بیت اللَّه الحرام وحریم تربة المصطفی علیه وعلی آله آلاف التحیة والسلام وحیث الأیدی المتضرّعةُ التی تسوق قوافل حاجتها ورجائها الی ساحة الغنیّ العزیز، وحیث المهمومون الذین یقفون علی باب الحکیم؛ لیجدوا علاج هموم العالم الإسلامی، ولیجدوا من یحمل مثل همومهم من أرجاء المعمورة، وحیث الضعفاءُ الذین یحسّون هناک بالقدرة والعظمة.

فی هذه الأیام تعرض الأمة الإسلامیة العظیمة مشهداً من أبُهّتها وعظمتها أمام أعین من لم یعرف قدرها، فتزید المحبین أملًا والأعداء خوفاً، فی هذه الأیام

ص: ٨

تهطل أمطار الرحمة والحكمة على العطشى، فتنتعش القلوب الكئيبة، وتتفتح والعقول الراكدة.

نعم، هذه الأيام هى للعالم الإسلامى والأمة الإسلامية أيام عيد وأيام ميعاد، وجدير بالمسلمين فى كل أرجاء الأرض، وخاصة حجاج بيت اللَّه الحرام، أن يغتنموها بقضاء ساعات وأوقات فى التعبد والتعقل، وأن يعود من ظفر بفرصة الحج والزيارة الى دياره بيد مملوءة برحمة اللَّه وحكمته، وبعزم جديد وإرادة صلبة تجاه مستقبله ومستقبل الأمة الإسلامية.

من بين الفرائض الدينية، يعدُّ الحج أكبر فريضة تجمع الجانبين الفردى والاجتماعى بشكل واضح جليّ.

الهدف فى الجانب الفردى التزكية والوصول الى حالة الصفاء والإشراق والتحرر من الزخارف المادية التافهة، والخلوة مع الذات المعنوية، والأنس باللَّه تعالى، والذكر والتضرّع والتوسّل إلى الحقّ سبحانه؛ ليجد الإنسان طريقه الى العبودية، ويسير على هذا الطريق الذى هو صراط اللَّه المستقيم نحو الكمال.

تنوّع الفرص والاختبارات فى هذا الجانب كثير بحيث لو أراد شخص أن يجتازها بتوجّه وتدبّر فإنه ينال دون شك أعظمَ العطاء: فرصة الإحرام والتلبية، فرصة الطواف والصلاة، فرصة السعى والهرولة، فرصة الوقوف فى عرفات والمشعر، فرصة الرمى والتضحية، وفرصة ذكر اللَّه، تشكل كلّها جوّاً زاخراً بالروح والحياة يمتدّ على جميع هذه المراحل. مجموع هذه الفرص يمكن أن يوفّر لكلّ فردٍ دورةً قصيرة من الرياضة الشرعية، وتمريناً على الزهد والسلم والحلم، وخصالًا خلقية حميدة أخرى.

فى الجانب الاجتماعى، الحجُّ من بين جميع الفرائض الإسلامية فريضةٌ فريدة؛ لأنه مظهر قوّة الأمة الإسلامية وعزّتها واتحادها، ولا ترقى إليه أية فريضة أخرى فى قدرته على تلقين الأفراد دروساً وعبراً بشأن الأمة الإسلامية والعالم

ص: ۹

الإسلامی، وعلی تقریبهم روحاً وواقعاً من القدرة والعزّة والوحدة. وشلّ هذا الجانب من الحج إنّما هو غلق نبع یفیض علی المسلمین بمنافع لا یمکن تحقّقها من أیة وسیلة أخری.

الاقتدار الوطنی فی المجتمعات البشریة مفتاح النجاح والتطور، والوسیلة اللازمة لتحقیق الحیاة الطیبة لأفراد المجتمع. والمقصود بالاقتدار الوطنی أن یتمتّع المجتمع والبلد بالأخلاق والعلم والثروة والنظام السیاسی الفاعل والإرادة الشعبیة.

صحیح أنّ المجتمعات المقتدرة إن افتقدت التوجیه والإرشاد والعدالة فستکون علومها وثرواتها عاملًا علی طغیانها، وعلی زوال أخلاقها وإرادتها، وعلی دفعها نحو الانحطاط، کما تظهر الیوم أمارات ذلک فی أمریکا ونظائرها، غیر أنّ فقدان ذلک الاقتدار سیعجّل کثیراً من الانحدار فی الانحطاط الأخلاقی والسیاسی، وسیسلب الشعوب دنیاها وآخرتها وعلمها وأخلاقها وکلّ شیء لدیها. من هنا فإن تعالیم الإسلام السیاسیة والإجتماعیة تتّجه جمیعاً نحو اعتلاء الأمة الإسلامیة سلّم الاقتدار والسیادة فی الحقول العلمیة والأخلاقیة والسیاسیة والروحیة والمادیة. والیوم فإنّ المخلصین الواعین من قادة شعوب العالم یسعون إلی استثمار کلِّ الإمکانیات والطاقات المتاحة لتصعید اقتدار شعوبهم.

الأمة الإسلامیّة الکبری مع وجود عددها وعُدتها تفتقد العزّة والاقتدار علی الساحة العالمیة. کیف یمکن أن تستعید عزّتها وقدرتها اللائقة بها؟ هذا السؤال یجب أن یتردّد علی الألسنة وفی الأذهان لدی کلّ المسلمین، خاصة القادة والمسؤولین والعلماء والمثقّفین والشخصیات الإسلامیة، وأن یجدّوا للإجابة عنه.

ص: ۱۰

أقل الواجبات فی حجّ التمتع

قل الواجبات فی حجّ التمتع

أقل الواجبات فی حجّ التمتع

إبراهیم بن الشیخ حسن قفطان

تحقیق: محمد الإسلامی الیزدی

المؤلف

هو الشیخ إبراهیم بن الشیخ حسن بن علی بن نجم السعدی الریاحی النجفی الشهیر بقفطان.

ولد المترجَم له فی النجف الأشرف سنة ۱۱۹۹ ه وتوفی بها سنة ۱۲۷۹ ه (۱) ودرس عند والده الجلیل الشیخ حسن، وحضر درس الشیخ علی والشیخ حسن ابنی کاشف الغطاء، والشیخ محمد حسن صاحب الجواهر، والشیخ عبد الحسین الطریحی، وقرأ أخیراً علی الشیخ مرتضی الأنصاری (۲).

وانتهل من علمه جماعة من فضلاء النجف (۳).

وکانت له رحمه الله مکانه سامیه عند فقهاء عصره، فقد نعته سیدنا الحسن الصدر رحمه الله:

بأنه کان مرجعاً للفحول فی القضایا المشکلة، والمسائل المعضلة، وفضله لا ینکر، وان لم تحصل له الرئاسة مع غزارة علمه (۴).

وإضافةً إلی تفقّهه، کانت له مکانة سامیة فی الشعر والأدب وجودة الخط، فقد عرف آل‌قفطان بجودة الخط.

۱- ۱ طبقات أعلام الشیعه الکرام البررة ق ۱۳ ۲: ۱۲.

۲- ۲ طبقات أعلام الشیعة الکرام البررة ق ۱۳ ۲: ۱۳.

۳- ۳ أعیان الشیعة ۵: ۱۲۶.

۴- ۴ طبقات أعلام الشیعة الکرام البررة ق ۱۳ ۱۲: ۱۳.

ص: ۱۱

فمن شعره فی رثاء الحسین علیه السلام:

ینادیُهم هَلْ من نصیرِ فلم یکن سوی السمر والبیض الرقاق جوابُ

بنفسی من قاسی المنیةَ ظامئاً وفی کفّه للعالمین سحابُ

وما أنس لا أنسیَ الجسوم علی الثری علیهن من قانی الدماء ثیابُ (۱) آثاره العلمیة

من آثاره الباقیة (۲):

(أقل الواجبات فی حجّ التمتع) وهو الذی بین یدیک، فإنه رحمه الله ذکر فی مقدمته: أنه اختصرها من منسک شیخه المؤتمن الشیخ محمّد حسن امتثالًا لأمره وأنه قد عرضها علیه فوجدها وفق ما أراد (۳). ثمّ عرضها علی شیخه الأنصاری رحمه الله فکتب علی هامشه ما هو طبق فتاواه وجعل رمزه (تضی)، والنسخة عند السید اغا التستری (۴).

(رسالة فی اثبات حلّیة المتعة) ألّفها بأمر شیخه صاحب الجواهر، وهی جواباً عن أسئلة بعض العامّة؛ ودفعاً لشبهاتهم، وهی موجودة بخطه الشریف رحمه الله عند الشیخ طاهر السماوی رحمه الله.

کتاب فی (الرهن) (۵).

(قاطعة النزاع فی أحکام الرضاع) لخّص فیه رأی أستاذه الفقیه صاحب الجواهر.

الرسالة

رسالة مختصرة عن کتاب (نجاة العباد فی یوم المعاد) للشیخ محمد حسن النجفی صاحب الجواهر المتوفی ۱۲۶۶ ه وهی رسالة فتوائیة کتبت لعمل المقلِّدین، مطبوعة طبعة حجریة فی بمبی مطبعة أحمدی علیها حواشی السید

۱- ۱ أعیان الشیعة ۵: ۱۲۶.

۲- ۲ أعیان الشیعة ۵: ۱۲۶.

۳- ۳ انظر المقدمة ص؟؟؟؟.

۴- ۴ طبقات اعلام الشیعة الکرام البررة ق ۱۳ ۲: ۱۳، الذریعة ۲: ۲۷۵/ ۱۱۱۱.

۵- ۵ الأعلام للزرکلی ۱: ۳۵.

ص: ۱۲

محمد کاظم الطباطبائی الیزدی رحمه الله سنهٔ ۱۳۱۸ ه.

لخّصـها الشـیخ إبراهیم بن حسن قفطـان النجفی رحمه الله بـاسم (أقلّ الواجبات فی حـجّ التمتع) بأمرٍ من الشـیخ صاحب الجواهر (وقد عرضها علیه فوجدها وفق ما أراد).

ونسختها علی مخطوطهٔ مکتبهٔ ملی طهران ضمن مجموعهٔ رقم ۲/ ۲۵۳۸ کُتبت فی شهر رجب المرجب سنهٔ ۱۲۶۴ ه وعلیها تأیید الشیخ صـاحب الجواهر للمنسک بقوله: (بسم اللَّه- تعالی شأنه- نعم قـد تحقّق أنه مختصـر من منسـکنا الکبیر. وکتب بیـده: المؤلف القاصـر محمد حسن بن المرحوم الشیخ باقر. وکتب الکاتب تحت هذا التوشیح مکان مهر الشیخ. وفی حاشیتها: (قد بلغ قبالًا بقدر الوسع). وکتبت النسخهٔ علی النسخهٔ الأصلیهٔ کما یظهر من أمر أنجب السادات آقا سید محمد صحاف.

وتمّ تحقیق الرسالـهٔ وما یتعلّق بها من تقطیع وتقویم نصّ، وتوضـیح ما کان غامضاً فی المخطوطـهٔ، وبمقابلهٔ هذه النسـخهٔ لکتاب (نجاهٔ العباد، الطبعهٔ الحجریهٔ) علی حسب نظری القاصر. سائلین المولی القبول، وأن یرزقنا حجّ بیته الحرام.

***

ص: ۱۳

دو صفحه خالی برای مخطوط

ص: ۱۴

صفحه خالی برای مخطوط

ص: ۱۵

بسم اللّه الرحمن الرحيم والحمدللّه ربّ العالمين

وبعد: فهذه الرسالة أقلّ الواجبات فى حجّ التمتّع، اختصرتها من منسكِ شيخنا المؤتمن، جناب الشيخ محمّد حسن- دام ظلّه العالى- امتثالًا لأمره؛ ليسهل تناول أحكامها، ويشمل عامّة المقلّدين معرفة حلالها وحرامها، وأنا الغريق فى بحر العصيان إبراهيم بن شيخ حسن قفطان، وقد عرضتها عليه فوجدها وفق ما أراد.

فنقول: والاستعانة باللّه، اعلم أنّ بيان حجّ التمتّع يتوقف على بيان أمرين:

الأوّل: العُمرة المتمتّع بها إلى الحجّ.

والثانى: الحجّ.

فأمّا العُمرة فواجباتها خمسة:

الأوّل: النيّة لها إجمالًا.

الثانى: من أفعال العُمرة؛ الإحرام وواجباته ثلاثة:

الأوّل: النيّة، ويجب فيها التعيّين والقُربة، والأحوط أن يقصد- مثلًا- ما يحرمُ به من العمرة (عمرة التمتّع لحجّ الإسلام)، لوجوبه أو ندبه، أداءً أو قضاءً، أصالةً، أو تحمّلًا، قُربةً إلى اللّه تعالى.

الثانى: التلبيات الأربع، والأحوط مقارنتها لنيّة الإحرام، والواجب فيها:

«لبّيک، اللّهُمَّ لبّيک، لبّيکَ، لا شريکَ لَکَ لبّيکَ»، والأحوط الخمس بأن يقول:

«لبّيک، اللّهُمَّ لبّيک، لبّيک، إنَّ الحَمدَ و النِعمةَ لکَ والمُلک لک، لا شريکَ لکَ لبّيک، بحجّةٍ وعمرةٍ، أو بعمرة مفردة تمامها عليک، لبّيک».

الثالث: لبسُ ثوبى الإحرام مع الاختيار- بعد نزع جميع ما يجب على المحرم

ص: ۱۶

اجتنابه- قبل عقده الإحرام، یأتزر بأحدهما کیف شاء، وإن کان الأولی عدم عقده فی عنقه، بل مطلقاً، ولو بعضه ببعضٍ، بل یغرزه (۱) بنفسه ویرتدی بالآخر، أو یتوشح به أو غیرهما من الهیئات، وإن کان الأولی الارتداء.

ویجب أن یکونـا ممّـا تجوز فیه الصـلاهٔ، فلاـ یجوز فی النّجس، ولاـ من صوف مـا لاـ یؤکـل لحمه، ولا فی المغصوب، ولا فی الحریر للرّجال، والأحوط اجتنابه للنساء، وإن کان الأقوی جوازه لهنّ علی کراههٔ ولا فی المذهّب.

والأقوی عدم وجوب لبس ثوبی الإحرام لهنّ، وإن کان الأولی أیضاً.

ومتروکات الإحرام خمسهٔ وعشرون:

أحـدها: صـید الحیوان البرّی الممتنع بالأصالـهٔ وإن لم یؤکل لحمه، وکذا الإشارهٔ إلیه، والدّلالهٔ علیه، والإغلاق علیه، وغیرها من أنواع الإعانهٔ علیه، وأکله، وکذا بیضه أکلًا وإتلافاً ودلالهٔ وإعانهٔ.

ثانیها: الجماع.

ثالثها: عقد النکاح دائماً أو منقطعاً أصالهً أو لغیره ولو فضولًا، دون التحلیل، والأحوط اجتنابه أیضاً.

رابعها: شهادهُ عقد النّکاح بین المحلین أو الُمحرِمین أو المختلفین لإقامتها، بل مطلقاً علی الأحوط.

خامسها: تقبیل النساء لإرادهٔ الاستمتاع والالتذاذ.

سادسها: النظر إلیهنّ للالتذاذ، وکذا الضمُّ واللمس.

سابعها: الاستمناء بملاعبهٍ أو نحوها.

ثامنها: الطیب کدهن الورد والقرنفل وقصب الذریرهٔ ونحوها، استعمالًا وأکلًا وشمّاً، دون الریاحین.

تاسعها: لبس المخیط للرجال، والأقوی والأحوط حرمهٔ لبس ما یسمی

۱- ۱ فی نجاهٔ العباد: بل دعم غرزه بأبرهٔ ونحوها بل یغرزه.

ص: ۱۷

قمیصاً وقباء وسراویل وإن لم تکن مخیطۀ، بل الأحوط ترک التوشّح به وافتراشه، بل والتدثّر به.

عاشرها: لبس الخفّ ونحوه بل کلّ لباس یستر تمام ظهر القدم.

حادیعشرها: الاکتحال بالسّواد بقصد الزینۀ، بل الأحوط مطلقاً.

ثانیعشرها: النظر فی المرآة للزینۀ، والأحوط مطلقاً أیضاً.

ثالثعشرها: الفسوق، وهو الکذب، وکذا السّباب والمفاخرة.

رابععشرها: الجدال، وهو قول (لا واللَّه وبلی واللَّه) فی الخصومۀ، ولا یکفی الحلف باللَّه بغیر ذلک ولا به مع عدم الخصومۀ، وإن کان الأحوط.

خامسعشرها: إلقاء القمَّل عن ثیابه أو جسده أو عن محرم آخر، وکذا قتله.

سادسعشرها: لبس الخاتم للزینۀ دون السنّۀ.

سابععشرها: إزالۀ الشعر قلیله وکثیره، عن أیموضع من البدن.

ثامنعشرها: تغطیۀ الرجل الرأس من قصاص الشعر، ویدخل فیه الأُذنان دون الوجه والأحوط عدم تغطیته.

تاسععشرها: تغطیۀ الوجه للمرأة، والأحوط لها تقدیم مقدمۀ الصلاة عند التعارض، ویجوز لها السدل إلی النحر للستر، ولا یجب التجافی وإن کان أحوط.

العشرون: التظلیل للرجل سائراً علی رأسه اختیاراً، ویجوز المشی فی ظلّ المحمل، لا تحته.

الحادیوالعشرون: الحجامۀ والفصد والحک المُدمی، بل الأحوط إلحاق مطلق الإدماء.

الثانی والعشرون: قلع الضرس والسن وإن لم یدم.

الثالث والعشرون: قلم الأظفار إلّامع الأذیۀ.

الرابع والعشرون: لبس السلاح أو حمله بحیث یعد متسلّحاً.

الخامس والعشرون: وهو یشمل المحرم والمحلّ، قطع کلّ نابت فی الحرم، ولو

ص: ۱۸

الشّوک؛ ولاـ بـأس بقلع مـا نبت فی منزله بعـد نزوله لا قبله، ولا بقلع شـجر الفواکه والنخل والإذخر، ولا بترک المحرم إبله ترعی، ولا بالغصن المکسور والورق السّاقط، والأحوط الأقوی اجتناب الفقع (۱) دون الکماءَة.

واعلم أنّ إحرام المرأة کإحرام الرّجل فی ذلک إلّافیما استثنیناه من لبس المخیط والتظلیل وستر الرأس ونحو ذلک.

ومواقیت الإحرام سبعة: العقیق لأهل العراق، وذُو الحلیفة لأهل المدینة، والجحفة لأهل الشام ومصر، ویلملم لأهل الیمن، وقرن المنازل لأهل الطائف، ومنزل من کان منزله أقرب إلی مکّة من المیقات، ومکّة لإحرام الحج وأفضلها المسجد واللَّه العالم.

الثالث من أفعال العمرة: الطواف، وهو رکن فیها تبطل بترکه عمـداً ولو نساه قضاه بنفسه، ولو بعـد المناسک وانقضاء الوقت. والأحوط إن لم یکن أقوی إعادة السعی معه.

وواجبات الطّواف أربعة عشر:

الأول: الطهارة من الحـدث الأصـغر والأکبر حتّی إذا کان جزء من عمرة مندوبـة أو حـجّ کذلک. وتقوم الترابیة مقام المائیة، ولا تجب فی المندوب.

الثّانی: طهارة الثوب، البـدن من الخبث، ویعفی عن دم الجروُح والقروح دون الأقل من الدّرهم، وفیما لا تتم الصـلاة فیه، وعن الجاهل والنّاسی إلی الفراغ؛ الأحوط الاستیناف.

الثالث: حلیة اللّباس فی الأحوط إن لم یکن أقوی وکذا حلیة ما یطُوف علیه من ثوب أو دابة.

الرابع: سترة العورة، کما فی الصلاة للذکر والأنثی.

الخامس: الختان للذکر والأحوط دون المرأة.

السّادس: النیّة، والأولی أن یقول إذا أراد الاحتیاط: أطوف بالبیت سبعة

۱– ۱ فی نجاة العباد: هو شیء ینبت فی الأرض ویکون له ساق.

ص: ۱۹

أشواطٍ لعمرة التّمتع إلى حجّ الإسلام؛ لوجوبه قربة إلى اللَّه تعالى.

السابع والثامن: الابتداء بالحجر الأسود والاختتام به، والمدار على صدقهما عرفاً؛ والظّاهر انّه لا بأس بالزيادة مقدمة، والأحوط أن يحاذی بأول جزء من الحجر لأول جزء من مقاديم بدنه بحيث يمرّ كلّه على كلّه.

التاسع: جعل البيت على يساره ولا يقدح الانحراف اليسير.

العاشر: إدخال حجر إسماعيل فی الطواف.

الحادیعشر: خروجه عنالبيت والحِجر على وجه يصدق عليه الطّواف بهما.

الثانی عشر: كونه بين البيت والصخرة، التی هی المقام مراعياً قدر ما بينهما من جميع الجهات حتّى من جهة الحجر.

الثالث عشر: العدد وهو سبعة أشواط، فلو نقّص ولو خطوة أو زاد عمداً لم يصحّ طوافه، ولا بأس بالزيادة مقدّمة على الأصحّ.

الرابععشر: ركعتا الطواف عند المقام، ولو نساهما رجع، فإن شقّ عليه، فعلَهما فی الحرم فی الأحوط، فإن شقّ عليه صلّاهما حيث شاء.

الرابع من أفعال العُمرة: السعی وهو ركن. وواجبات السّعی خمسة:

الأوّل: النيّة والأحوط أن يقول: أسعى بين الصّفا والمروة، بأن أذهب منها وأعود إليها، إلى أن أتمّ سبعة أشواط لعُمرة التمتع إلى حجّ الإسلام؛ لوجوبه قربة إلى اللَّه تعالى.

الثانی: البدأة بالصّفا على وجه يجعل عقبه- وهو ما بين السّاق والقدم- ملاصقاً له، والأحوط العقبين فإذا عاد ألصق أصابع قدميه بموضع العقب، ولا يجب الصعود للدرجة الرابعة، وإن كان لا ينبغی تركه.

الثالث: يختم بالمروة بحيث يلصق أصابعه بها والأحوط القدمين، فإذا عاد جعل عقبه فی موضع أصابعه، ولا يجب الصعود عليها وإن كان أحوط، فيقصد

ص: ۲۰

السعی من الأعلی ومن الأسفل ویکفی استمرار الدّاعی.

الرابع: العدد وهو سبعة أشواطٍ من الصّفا إلی المروة شوط، ومن المروة إلی الصفا شوط آخر.

الخامس: السعی فی الطریق المعهود.

الخامس من أفعال العمرة: التقصیر.

ویکفی مسمّاه الذی هو الأخذ من شعر الرأس، أو الشارب واللحیة، أو الحاجب بحدید أو سِنّ أو نحو ذلک واللّه العالم.

وأما الحجّ فأفعاله سبعة:

الأوّل: الإحرام للحجّ من مکّة، وهو فی النیّة واللبس والتلبیة والتروک کإحرام العمرة، إلّاأنّه یقصد بالنیّة هنا إحرام الحج، وأفضل أوقاته یوم الترویة بل هو الأحوط.

الثانی: الوقوف بعرفة وواجبات الوقوف ثلاثة:

الأوّل: النیّة کما عرفت.

الثانی: الکون بها من الزوال إلی الغروب للمختار، وللمضطرّ من الغروب إلی طلوع فجر یوم النحر، والرکن منه مسمّاه وإن قلّ.

الثالث: أن یکون فی الیوم التاسع من ذیالحجة.

الثالث من أفعال الحجّ: الوقوف بالمشعر ویجب فیه أمران:

الأوّل: النیّة.

الثانی: الکون فیه، والأحوط مسمّی الوقوف من طلوع الفجر إلی طلوع

ص: ۲۱

الشمس للمختار، والأقوی عدم وجوب الاستیعاب، وإن کان أحوط، والأحوط المبیت فیه ناویاً ذلک أیضاً، وأحوط منه تجدید النّیّة عند الفجر، والرکن منه مسمّاه، وإن قلّ فی لیلة النحر إلی طلوع الشمس علی الأقوی.

الرابع: من أفعال الحجّ المضی إلی منی، وواجبات منی ثلاثة:

الأوّل: رمیُ جمرة العقبة ناویاً، والأحوط فی النّیّة أن یقول: أرمی جمرة العقبة یوم النحر سبعاً لحجّ الإسلام أداءً، لوجوبه قربةً إلی اللَّه تعالی، ویجب أن یکون بسبع حصیات متعاقبة فی الرّمی، لا الإصابة، وأن یصیب الجمرة أو موضعها، ویستحبّ وضع الحصاة علی الإبهام ودفعها بظفر السبّابة، بل هو الأحوط.

الثانی: الذبح أو النّحر وواجباته خمسة:

الأول: النیة.

الثانی: أن یکون من الإبل أو البقر أو الغنم.

الثالث: أن یکون ثنیاً فی غیر الضان، وهو من الإبل ما دخل فی السادسة، ومن البقر والمعز ما دخل فی الثالثة، وفی الضأن یجزی الجَذَعُ، والأحوط فیه ما دخل فی الثانیة منه.

الرابع: أن یکون صحیحاً.

الخامس: أن یکون تامّاً.

الثالث من واجبات منی: الحلق أو التقصیر مخیّراً بینهما، ویتعیّن علی النساء التقصیر، ویکفی فیه المسمی، واللَّه العالم.

الخامس: من أفعال الحجّ: الطواف بالبیت، والأفضل أن یمضی إلیه فی یوم النحر، فإن أخّره فمن غده، فإن أخّرهُ عن الغدِ اشتدّت الکراهة، بل الأحوط عدم التأخیر، وإن کان یجزیه طوافه وسعیه طول ذی‌الحجة، وهو سبعة أشواط کما فی

ص: ۲۲

طواف العمرة، وحکمه مثله إلّافی النیّة فیقصد هنا (طواف الحجّ)، ویصلّی رکعتیه عند مقام إبراهیم.

والسادس: من أفعال الحجّ: السعی بین الصّفا والمروة، وهو کسعی العمرة فی الأحکام.

السابع: من أفعال الحجّ: طواف النساء وهو کطواف العمرة أیضاً، وبعده یحلُّ من کلّ شیء حتّی النساء.

ویجب بعد ذلک الرجوع إلی منی فی یومه ذلک قبل الغروب؛ للمبیت فیها لیلة الحادیعشر والثانیعشر، بل والثالث عشر لمن لم یتّق النساء والصید.

ویجب أن یرمی فی نهار الحادی عشر والثانی عشر، بل والثالث عشر، لمن أقام لیلته فی منی، الجمار الثلاث کلّ جمرة بسبع حصیات.

ویجب فیه- زیادة علی ما یجب فی الرمی، کما عرفته سابقاً- الترتیب بین رمی الجمرات، بأن یبدأ بالأولی ثمّ الوسطی ثمّ جمرة العقبة.

ووقت الرمی للمختار من طلوع الشمس إلی غروبها، والأفضل إیقاعه عند الزوال.

ویلحقها الکلام فیما یجب من الکفّارات وما تجب فیه، وما لا تجب.

فنقول: اعلم أنّ ما لا- کفارة فیه هو صید البحر: وهو ما یبیض أو یفرّخ فی الماء، أو یتولّد کذلک، والدجاج الحبشی (وذبح النعم وأکلها وإن توحّشت، والسباع ماشیةً أو طائرةً إلّاالأسد فإنّ علی قاتله فی الحرم کبشاً إذا لم یرده، بل وإن أراده وکان فی غیر الحرم علی الأحوط إن لم یکن أقوی، والعقرب والفأرة والحیّات والحدات، والغراب بجمیع أقسامه، والبقّ والبرغوث مع الأذیّة وعدمها، والزنبور إذا أراده، والأحوط دفعها إذا لم یرده، وهی شیء من الطعام واللّه العالم.

ما لکفّارته بدل مخصوص علی خمسة:

الأوّل: النعامة وفی قتلها بَدَنةُ، والأحوط بل الأقوی کونها من الإبل، وأن

ص: ۲۳

تكون ممّا قد دخل فی السادسه، ولو عجز عن عين البدنه دفع عن قيمتها برّاً، أو غيره ممّا يجزی فی الكفّاره، وتصدّق لكلّ مسكين مدّان، فإن زاد عن ستين لم يلزم، ولا يجب الإكمال لو نقص، فإن عجز صام عن كلّ مدّين يوماً حتّى يبلغ الستين لو كانت، فلو عجز عن صوم الستين مثلًا صام ثمانيه عشر يوماً.

الثانی: بقر الوحش وفيه بقره أهليه وكذا حمار الوحش، والأحوط مع ذلك بدنه، ومع العجز دفع عن القيمه ما يجزی فی الكفاره، وتصدق به لكلّ مسكين مدّان حتّى يبلغ ثلاثين، ولا يلزم بالزّايد ولا بإكمال النّاقص، ومع العجز صام عن كلّ مدّين يوماً، فإن عجز صام تسعه أيّام.

الثالث: الضبی وفی قتله شاه، ومع العجز يدفع عن قيمتها ما يجزی فیالكفاره لكلّمسكين مدّان، ولايلزم مازاد عنعشره، ولا إكمال النّاقص، فإنعجز صام عن كلّ مدّين يوماً، فإن عجز صام ثلاثه أيّام، وكذا قتل الثعلب والأرنب على الأصحّ.

الرابع: بيض النعام، وفی كلّ بيضه تحرّك الفرخ فيها بكره من الإبل، وإن لم يتحرّك ففيه إرسال فَحْلِ الإبلِ على الإناث منها، الصالحه للحمل بعدد البيض، مع حصول الطروقه فما نتج فهو هدی، وما لم ينتج فلا شیء عليه، ومع العجز فعن كلّ بيضهٍ شاه، فإن عجز أطعم عشره مساكين كُلّ مسكين مدّ، والأحوط مدّان، فإن عجز صام ثلاثه أيام.

الخامس: بيض القطا والحجل والدرّاج، وفی كلّ واحده منه إذا تحرّك الفرخ فيها بكره من الغنم- أیصغيره منه- وقبل التحرّك أولًا فرخ، فيه إرسال الفحل فی الإناث من الغنم، كما فی بيض النعام، ومع العجز فعن كلّ بيضه شاه، وإن لم يجد أطعم لكلّ بيضه عشره مساكين، فإن لم يجد صام لكلّ بيضه ثلاثه أيّام، واللَّه العالم.

ما لا بدل لكفارته بالخصوص خمسه:

الأوّل: الحمام وهو كلّ طائر يهدر ويعبَّ فی الماء.

ص: ۲۴

وفی قتـل الُمحرم الحمـام فی الحـلِّ شاةٌ، والمحلِّ فی الحرم درهم، والأحوط القیمـۀ مع فرض زیادتها علیه، وفی فرخها للمحرم حمل، والأـولی کونُه ذکراً من الضّان، مضـی له أربعـۀ أشـهرٍ، وللمحل فی الحرم نصف درهم، والمحرم فی الحرم یجتمعُ علیه الأمران لو قتل شیئاً من ذلک.

والـبیضُ مع تحرکِ الفرخ کـالفرخ، ومع عـدمه علی المحرم فی الحـلّ درهم، وعلی المحـلّ فی الحرم ربع درهم، والمحرم فی الحرم یلزمه درهم وربع.

الثانی: فی کلّ من القطاء والحجل والدّراج، حمل قد فطم من اللّبن ورعی من الشجر.

الثالث: فی قتل کلّ واحد من القنفذ والضبّ أو الیربوع جدی (۱).

الرابع: فی کلّ من العصفور والقبّرۀ والصّعوۀ (۲) مدّ من طعام، والأحوط شاۀ فی کلّ طائرٍ عدا النعامۀ.

الخامس: فی قتل الجرادۀ أو أکلها تمرۀ.

وفی الکثیر من الجراد مع إمکان التحرّز عنه دم شاۀ، وإلّا فلا شـیء، وفی إلقاء القمّلـۀ من جسـده کفٌّ من طعام، وکـذا قتلها، وکلّما لا تقدیر لفدیته ففی قتله قیمته، وکذا البیوض التی لا تقدیر لفدیتها.

موجبات الضمان وهی ثلاثۀ: مباشرۀ الاتلاف، والید، والسبب.

أمّا الأول: فقتل المحرم الصـید فی الحلّ موجب لفدیته، ولو أکله لزمه فداء آخر، وفی الحرم یتضاعف الجزاء وتضـمن أبعاض الصـید کما تُضمن الجملۀ، فیکون علیه الأرش حینئذ إلّافی الغزال، ففی کسر المحرم فی الحلّ قرنیه نصف قیمته، أو أحدهما ربعها، وفی فقاء عینیه تمامُ قیمته، وفی کسر إحدی یدیه أو رجلیه نصف قیمته، وإن فعل ذلک فی الحرم فعلیه مع ما سمعت دمُ یهریقه.

وأمّا الثانی: فمن أحرم ومعه صـید زال ملکه عنه، ووجب إرساله، فلو مات ولو حتف أنفه، قبل إرساله الممکن له لزمهُ ضـمانه من غیر فرقٍ بین الحرم وغیره،

۱- ۱ فی نجاۀ العباد: الجدی ابن ستۀ أشهر أو سبعۀ.

۲- ۲ فی نجاۀ العباد: والصّعوۀ التی هی علی ما قیل عصفور صغیر له ذنب طویل یرمح به.

ص: ۲۵

ولو أمسک المحرم صیداً فی الحلّ فذبحه محرم آخر ضمن کلّ منهما فداءً کاملًا، ولو کانا فی الحرم تضاعف الجزاء ما لم یبلغ بدنه، بل وإن بلغ فی الأحوط، ولو کانا محلّین فی الحرم لم یتضاعف.

وأمّا الثالث: فمن أغلق علی حَمام الحرم وفراخ وبیض ضمن بالإغلاق، فإن أرسلها سلیمهٔ زال الضمان، ولو هلکت ضمن المحرم الحمامهٔ بشاهٔ، والفرخ بحمل، والبیضهٔ بدرهم.

والمحل الحمامهٔ بدرهم، والفرخ بنصف درهم، والبیضهٔ بربع درهم، والأحوط وجوب شاهٔ واحدهٔ علی من نفّر حمام الحرم وعاد، وعن کلّ واحدهٔ شاهٔ إذا لم یعد مُحلّاً کان أو محرماً.

وإذا رمی المحرمان صیداً فأصابه أحدهما کان علی کلّ منهما جزاء.

ولو أوقد جماعهٔ محرمون ناراً فی الحلّ فوقع فیها صید؛ فإن قصدوا ذلک بإیقادها لزم کلّ واحد جزاء، والّا ففداء واحد، ولو قصد بعضٌ دون بعض فلکلّ منهما حکمه.

والمحرم السائق للدابهٔ فی الحلّ یضمن ما تجنیه بأی جزء منها، وکذا الراکب الواقف، ولو سار ضمن ما تجنیه بیدها ورأسها کالقائد، ونحوه المحلّ فی الحرم.

ویتضاعف الجزاء علی المحرم فی الحرم.

ولو أغری المحرم کلبه بصید فقتله ضمن، ولو نفّر صیداً فهلک بمصادفهٔ شیء أو أخذه جارح، أو هلک صید آخر بمصادفته ضمن، ولو وقع الصید فی شبکه، وأراد تخلیصه، فهلک أو عاب ضمن فی الأحوط، کما لو خلّصه من فم هرّهٔ، أو سبع، أو من شقّ جدار، فمات فی یده بما ناله من السبع مثلًا، والأقوی عدم الضمان.

ومن دلّ علی صید من المحرمین فی الحلّ والحرم، أو المحلّین فی الحرم فقتل أو جرح أو أخذ ضمن، واللّه العالم.

ص: ۲۶

القول فی صید الحرم

یحرم من الصید علی المحلّ فیه ما یحرم علی المحرم فی الحلّ، وحینئذٍ فمن قتل فیه صیداً من المحلّین کان علیه قیمته، ولو کان محرماً وجب معها الفداء إن کان ممّا له فداء، وإلّا تضاعفت القیمة للإحرام والحرم، ولا شیء علی المحلّ فی قتل القمل والبراغیث والنمل فی الحرم.

وبالجملة فیجب علی المحلّ فی الحرم القیمة، وأمّا علی المحرم فی أکل فیجب الفداء إن کان له فداء، ووجوب الفداء مع القیمة علی المحرم إن کان له فداء، وإلّا فقیمتان فیه.

والأحوط إن لم یکن أقوی فیما وجب فیه بدنة أن تجب فیه علی المحرم فی الحرم بدنتان، واللّه العالم.

القول فی باقی المحظورات التی فیها الکفارة وهی سبعة:

الأوّل: الاستمتاع بالنساء: فمن جامع زوجته ولو أمةً بالمنقطع محرماً بالحجّ فرضاً، أو ندباً قبل المشعر بعد عرفة، ولو بغیبوبة الحشفة فی الفرج قبلًا أو دبراًز، عامداً للجماع، عالماً بالتحریم کان علیه إتمامه وبدنة والحجّ من قابل، والظّاهر ترتب الأحکام علی الزنا واللواط فضلًا عمّا لو جامع أمته، ولا شیء علی الجاهل بالحکم والنّاسی للإحرام والمکره، ولو کانت امرأته مثلًا محرمة وطاوعته، ترتبت علیها الأحکام المذکورة، وفرّق بینهما فی حجة الإتمام، وحجة القضاء إذا حجّا علی تلک الطریق إلی قضاء المناسک، والأولی أن یرجع (۱) إلی مکان الخطیئة، بل الأحوط ذلک فی حجّة الإتمام.

والمراد بالافتراق أن لا یخلوا إلّاومعهما ثالث صالح؛ لعدم وقوع المواقعة مع وجوده، ولو جامع عالماً عامداً بعد الوقوف بالمشعر قبل أن یطوف للنساء أو طاف منه ثلاثة أشواطٍ فما دون، أو جامع فی غیر الفرجین کالتفخیذ ونحوه وإن لم ینزل،

۱– ۱ فی نجاة العباد: یرجعا.

ص: ۲۷

کان علیه بدنهٔ لا غیر، وإن صحّ حجّه.

الثانی: الطیب، وفیما یحرم منه علی المحرم ابتـداءً واسـتدامهٔ دم شاهٔ مع العلم والعمد، من غیر فرق بین الأکل والشم والبخور والتداوی وغیرها ممّا یحرم منه، نعم لو سـها (۱) عن إزالـهٔ إلی أن أحرم أو وقع علیه وهو محرم، أو سـهی فتطیّب وجب إزالته، ولاـ کفّارهٔ علیه بغسله بیده، والأولی غسل الحلال له، ولا یبعد تعیین غسل الحلال له إذا کان غسله هو یستلزم بقاء الطیب بیده.

الثالث: قلمالأظفار: وفی کلّظفرٍ مدّ من طعام إلی أن یبلغ العشـرهٔ أو العشـرین، وحینئذ ففی أظفار یدیه ورجلیه فی مجلس واحد إذا لم یتخلل التکفیر دم واحد، ولو کان کلّ واحد منهما فی مجلس لزمه دمان، والأحوط ثبوت الدم ببلوغ الخمس.

والأحوط بل الأقوی التکفیر بشاهٔ بقلع الضرس بل والسن وإن لم یدم.

الرابع: لبس المخیـط: من لبس المخیـط حـال الإـحرام عالمـاً عاماً کان علیه دم شاهٔ، بل لو اضـطر إلی لبسه لیتقی الحرّ والبرد کان علیه ذلک أیضاً، واللّه العالم.

الخامس: فی حلق شعر الرأس عامداً عالماً بل مطلق إزالته شاهٔ، أو إطعام ستّهٔ مساکین لکلّ مسکین مدّان، أو صیام ثلاثهٔ أیّام، ولو لغیر ضرورهٔ، والأحوط حینئـذ الشاهٔ. کما أن الأحوط أحـد الثلاثـهٔ فی شـعر البدن عدا الابطین، أما هما ففی نتفهما دم، وفی أحدهما إطعام ثلاثـهٔ مساکین. والمدار علی صدق مسـمی حلق الرأس، أمّا مع عدمه فالأحوط الدم مع المساواهٔ لنتف الإبطین أو أزید، والصدقهٔ بهما کان فیما دون ذلک.

ولو مسّ لحیته أو رأسه فوقع منهما شیء ولو شعرهٔ أطعم کفّاً من طعام، ولو فعل ذلک فی الوضوء بل مطلق الطّهارهٔ لم یلزمه شیء.

وفی التظلیل سائراً ولو لضـرورهٍ شاهٌ، والأحوط شاهٔ لکلّ یوم، والظاهر تعدد الشاهٔ بتعدد النسک کما فی العمرهٔ والحج، وتتحقق التغطیهٔ ولو بالرقیق الذی یحکی ما تحته.

۱– ۱ فی نجاهٔ العباد: نعم ان کان علیه او علی ثوبه وسها.

ص: ۲۸

السادس: الجدال، وفی الکذب منه مرّة شاة، ومرّتین بقرة، وثلاثاً فما زاد بدنة، وفی الصدق منه ثلاثاً فما زاد شاة، ولا کفّارة فیما دون ذلک، وإن وجب الاستغفار والتوبة.

السابع: قلع شجر الحرم غیر المستثنی، ولو کان القالع حلالًا، وفی الکبیرة بقرة والصغیرة شاة، وأبعاضها قیمته، إلّاإذا أعادها إلی مکانها، أو مساویة فی الجودة، وإلّا ففی الحرم، وقد عادت علی ما کانت علیه، وإن لم تفدها الإعادة فالکفارة بحالها، ولا کفارة فی قلع الحشیش وإن أثم إلّاما استثنی.

تتمّة: إذا اجتمعت أسباب الکفّارة مختلفة کالصید واللبس، لزم لکلّ واحد کفارة، کفّر عن الأول أو لم یکفّر، بل لو کرّر السبب الواحد وکان ممّا لم یفرق الشرع ولا العرف فی صدق السبب من مسمّاه بین اتّحاد المجلس والوقت، وتعدّدهما کالصید والوطی ونحوهما تکررت الکفارة.

وکلّ محرم لبس أو أکل عالماً عامداً ما لا یحلّ له لبسه أو أکله، ولم یکن له مقدّر فعلیه دم شاة، بل هو کذلک فی کلّ محرّم علی المحرم ممّا لم ینصّ علی عدم الکفارة فیه، أو نصّ علی أن فیه دماً من غیر تعیین، نعم لا کفّارة علی الساهی والناسی والجاهل فی غیر الصید، وأمّا الصید فثبتت فیه الکفارة مع السهو والجهل، واللّه العالم.

القول فی المصدود: وهو الممنوع من فعل النسک بالعدوّ.

من تَلبّس بإحرام الحجّ ثمّ صُدَّ تحلل بمحلله من کلّ ما أحرم منه حتّی النساء، ولو خشی فوات الحجّ بغیر الصدّ صبر حتّی یتحقق ذلک، ثمّ یتحلل بعمرة مفردة.

ولا یجوز التحلّل بالعلم به قبل تحقّقه علی الأصحّ، ولا یتحلّل المصدود إلّا بعد ذبح الهدی، أو نحره فی محلّ صدّه أو یبعثه، وزمان النحر من حین الصدّ إلی ضیق الوقت عن الحجّ، ولا یجب التأخیر إلی الضیق.

ص: ۲۹

القول فی المحصور والممنوع من فعل النسک بالمرض:

من تلبّس بالإحرام لحج، أو عمرهٔ تمتع، أو مفردهٔ ثم أُحصر، کان علیه أن یبعث ما ساقه إن کان ساقاً، وإلّا بعث هدیاً أو ثمنه، ولا یحلّ حتّی یبلغ الهدی محلّه وهو منی إن کان حاجّاً، وفناء الکعبهٔ إن کان معتمراً، کما إنّ زمانه یوم النحر، والأقوی إلحاق أیّام التشریق، فإذا بلغ الهدی علی مقتضی الوعد إن کان، وإلّا فإلی أن یمضی زمان النحر قصّر وأحلّ من کلّ شیء إلّاالنساء، فلیمسک عنهنّ حتّی یحجّ فی القابل، أو یطاف عنه طواف النساء إن کان تطوعاً، أو واجباً غیر مستقر أو مستقراً وقد عجز عن الرجوع، أمّا لو تمکّن من الرجوع توقّف تمام الإحلال فیه علی فعل النّسک. ویقوی إلحاق المستأجر والمتبرّع عن الغیر بالمندوب فی الاجتزاء بالنیابهٔ. ویستحبّ أن یبعث الإنسان مع أحد إخوانه ثمن أضحیهٔ ویأمره أن یطوف عنه أسبوعاً بالبیت، ویذبح عنه. فإذا کان یوم عرفهٔ لبس ثیابه، والأولی أن تکون کثیاب المحرم، وتهیّأ وأتی المسجد، ولا یزال فی الدعاء حتّی تغرب الشمس، فإن ذاک یقوم مقام الحجّ فی کلّ سنهٔ.

واللّه العالم والعاصم عن الخطإ والخطل.

حرّره فی شهر رجب المرجب سنهٔ ۱۲۶۴

الهوامش:

حکم الاضحیهٔ فی عصرنا

ص: ۳۰

ص: ٣١

حكم الأضحية في عصرنا

ناصر مكارم الشيرازي

إدراكاً منها لأهمّيـة فقه الحـجّ ولمسائله المسـتحدثة بالذات، تتمنّى مجلة ميقات الحج أن يتفضّل عليها السادة علماء وفقهاء.. ببحوثهم ودراساتهم في هذا المجال الذي تخصّص صه لأفكارهم وآرائهم، وقد تفضّل سـماحة المرجع الديني آيةاللّه ناصر مكارم الشيرازي ببحثه القيّم هذا، المتّسم بالجدّة والدقّة، فاتحاً بذلك باب البحث والدراسة في مجلّتنا حول هذه المسألة وغيرها..

إدارة المجلّة

تمهيد

حينما تشرّفت بزيارة بيت اللّه الحرام لأوّل مرّة، ذهبت الى المسلخ في منى؛ لأشاهـد عن قرب نحر الأضاحي يوم العيد، فاذا بي أواجه مشهداً عجيباً، حيث رأيت أن الآلاف المؤلّفة من أشلاء الأنعام من الشياه والبقر والإبل قد غطّت أرض المسلخ بحيث كان من الصعب العبور من خلالها، في حين كانت شمس الحجاز الحارقة التي تلهب بحرارتها كلّ شيء فتعفّنها تدريجيّاً، دون أن يستفيد منها أحد من

ص: ۳۲

النّاس خاصةً المساكين.

وتبادر الحكومة السعودية- ومن أجل أن تمنع انتشار الأوبئة بين الحجيج بسبب تعفّن الأضاحى بعد نحرها- إلى دفنها رغم ما يعترض هذا العمل من صعوبات. وبعد أن اطلعت على هذا الوضع سعيت- بدورى- للحصول على شاة صحيحة تتوفّر فيها المواصفات المطلوبة، فتمّ لى ذلك، وقدّمتها لبعض المساكين هناك، ولعلّهم اكتفوا ببعض منها وتركوا الباقى.

كما لاحظت وجود عدد من الفقراء المعوزين، الذين كانوا ينقلون أجزاءً من الأضاحى خارج المسلخ، ولا تتجاوز نسبة ما يقتطعونه من الأضاحى فى أحسن الأحوال عشرة بالمئة، ويتلف الباقى بالدفن أو الحرق.

وكما قلنا فإنّ عملية الإتلاف لا تتمّ بسهولة؛ ولهذا قد تُنجز بشكل ناقص ممّا يؤثّر على أجواء منطقة منى الّتى تعانى من جرّاء ذلك من التلوّث يومى الحادى عشر والثانى عشر من ذى‌الحجّة، ولا سيّما المناطق القريبة من المسلخ.

ولعلّ الكثير من الأشخاص، الذين يدخلون المسلخ، ويشاهدون الوضع فيه، يتساءلون عن رأى الشارع المقدّس فى هذه الظاهرة، وموقف الفقهاء ومراجع الدّين منها، وهل هى من المسائل المستحدثة، أم أنّها كانت منذ عصر المعصومين وفقهاء السلف؟

فى تلك الفترة كنت من طلاب العلوم الدينية، وحديث عهد ببحوث الفقه الاستدلالى، وكنت مقلّداً فى عدد من المسائل، ومنها مسائل الحج، فكانت وظيفتى الذبح، ثم طرح الأضحية فى محلّها، أو أن أقوم بعملية صورية عن طريق أخذ النيابة من جانب الفقير، ثمّ القبول من ناحيته، وتركها فى نفس المحلّ.

ولكن بعد أن حصلت على قدرة أكثر فى استنباط المسائل، استغرقت فى التفكير، وعزمت على ملاحظة أدلّة المسألة بالدقّة والتأمّل اللائقين، وعدم

ص: ۳۳

الاقتناع بأنّ الآخرين قد فعلوا كذا فعلينا أن نفعله أيضاً، خصوصاً بعد أن صارت المسألة أعقد بانتقال جميع المذابح من منى إلى خارجها (عير مثلث صغير يكفى لجماعة قليلة من الحجّاج فقط) مع أنّ من شروط صحّة الأضحية عند فقهاء الشيعة كونها فى منى، وعدم كفاية ما يقع فى خارجها، ولذلك تفحّصت جميع روايات أبواب الذبح بدقّة وتدبّر، وتعمّقت فى كلمات القوم وفتاوى الفقهاء الكرام واستدلالاتهم، وناقشت بعضهم، وسعيت لأن أفرغ ذهنى من الجوّ الموجود حتّى أفتى فى المسألة مع فراغ البال، وعدم انجذاب الفكر إلى أىّ شىء غير الأدلّة المعتبرة- كما حصل فى قصّة العلّامة الحلّى رحمه الله فى حكمه بردم بئر داره، ثمّ الفحص عن أدلّة اعتصام ماء البئر، وفى النهاية أفتى بالاعتصام خلافاً لجميع ما كانوا قبله- فانتبهت إلى أنّ مثل هذه الأضاحى ليست مجزية لوظيفة الحج، وعلى الحجّاج الاجتناب عنها، والاحتياط بالإتيان بها فى أيام ذى الحجّة فى أوطانهم أو مكان آخر.

ولهذا عزمت على بيان ما ثبت لى من الدليل على هذه الفتوى- مع أداء التكريم والاحترام لجميع المراجع والفقهاء العظام- حتّى ينفتح بذلك للسائرين باب بحثٍ أكثر وفحصٍ أبلغ حول هذه المسألة المهمّة.

محاور البحث

وقبل كلّ شىء لابدّ من أن نعلم أنّ لمسألة الأضحية فى زماننا هذا ثلاث حالات:

۱- إذا أمكن إيقاع الذبح فى منى (أو فى المذابح الموجودة اليوم فى صورة عدم إمكانها فى منى) وصرف لحوم الأضاحى فى مصارفها، بحيث لا يلزم الإتلاف والدفن والإحراق، فلا إشكال فى تقدّمه على أىّ شىء آخر.

۲- إذا لم يوجد المستحقّون فى منى، ولكن يمكن نقل اللحوم الى خارج منى، أو الى خارج المملكة السعودية بتجفيف اللحم، أو استخدام

ص: ۳۴

إحـدى الوسائـل الحديثـة، لحفظه وتعبئته فى علب تـدرأ عنه الفسـاد، ثم صـرفه للمسـتحقّين، يجب الذبـح أيضـاً فى منى ثم النقل الى خارجها.

۳- إذ اسـتعصت الحالتان السابقتان بحيث لم يبق أمامنا إلّا الإتلاف أو الإحراق، فيجب ترك الذبـح فى منى، وعزل قيمـة الهـدى على الاحتياط اللازم، والإتيان بسائر المناسک، ثم الذبح فى الوطن أو محل آخر بعد الرجوع، والأولى فى صورة الإمكان، التنسيق والاتفاق مع بعض الأهل والأصدقاء للذبح يوم الأضـحى فى الوطن، والتقصير بعده (لكن هذا ليس بواجب لأنّه يوجب العسر والحرج على كثير من الحجاج).

والدليل على ذلک أمور ثلاثة:

الأمر الأول: عدم الإطلاق فى روايات الأضحية

لا إشـكال فى أن مسألة الأضحية بشكلها الفعلى فى يومنا هذا من المسائل المستحدثة، التى لا سابق لها فى عصر النبى صلى الله عليه و آله والأئمـة عليهم السـلام وذلک لقلّة عدد الحجاج يومذاک، وكثرة المسـتحقين بحيث كانت اللحوم تصـرف جميعها فى أيّام الحج. ولعـلّ بدايـة الوضع الفعلى قـد حصـلت فى القرن الأـخير؛ ولـذلک يخبر المعمّرون أنّ لحوم الأضاحى كانت تصـرف بسـرعة فى منى وخارجها. وبهذا يظهر أن وجه عدم طرح هذه المسألة فى كتب الفقهاء السابقين، إنّما هو عدم ابتلائهم بها.

والمستفاد من الروايات أيضاً صرف لحوم الأضاحى بتمامها فى عصر النبى صلى الله عليه و آله فى الأيام الأولى بعد الذبح، بحيث نهى عن ادّخارها أكثر من ثلاثة أيّام؛ وذلک لكثرة المستحقين فى ذلک العصر:

منها: ما رواه محمّد بن مسـلم عن الباقر عليه السـلام قال: كان النبى صلى الله عليه و آله نهى أن تحبس لحوم الأضاحى فوق ثلاثة أيام من أجل الحاجة، فأمّا اليوم فلا

ص: ۳۵

بأس به (۱).

ومثله الحديث الثالث من الباب نفسه عن محمّد بن مسلم عن الباقر عليه السلام أيضاً.

ومنها: ما رواه أبو الصلاح عن الصادق عليه السلام وحنان بن سدير عنه أيضاً، قال: نهى رسول اللّه صلى الله عليه و آله عن اللحوم الأضاحى بعد ثلاث، ثمّ أذن فيها وقال: كلوا من لحوم الأضاحى بعد ذلك وادّخروا (۲).

فيستفاد من هذه الروايات وروايات أخرى صرف اللحوم بتمامها، أو جعلها على الأقل بصورة القديد لادّخارها لأيام أخرى (وكان الادّخار ممنوعاً فى بداية الأمر لكثرة المحتاجين ثم أذن فيه). بل يستفاد منها منع إخراج اللحوم من منى؛ لكثرة الحاجة إليها، نعم بعد أن كثرت اللحوم وقلّ المستحقون أجيز نقلها إلى خارج منى.

ففى حديث محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال: سألته عن إخراج لحوم الأضاحى من منى، فقال: كنّا نقول: لا يخرج منها بشىء لحاجة الناس إليه، فأما اليوم فقد كثر النّاس فلا بأس بإخراجه (۳).

وعلى أىّ حال، فإنّ مدلول مجموع هذه الروايات صرف لحوم الأضاحى فى أعصار الأئمة المعصومين عليهم السلام أيضاً إمّا فى الأيام الأولى من الحج فى منى، أو فى أيام أُخر فى مكّة، أو خارج مكّة، وأما ما نشاهده اليوم من دفنها أو إحراقها هو أمر مستحدث لا وجود له فى السابق، ولذلك فإن من المشكل جدّاً إطلاق الروايات بحيث يشمل تمام صور المسألة حتى صورة الدفن أو الحرق؛ لأنّ المصداق الموجود فى عصرنا إنما هو من قبيل الفرد النادر أو الفرد المعدوم فى عصر نزول آيات الهدى وصدور روايات الأضحية.

إن قيل: ندرة المصداق أو عدم وجوده، لا يوجب عدم شمول إطلاق أو عموم بالنسبة إليه، وإلّا لم يجز التمسّك بالتعميمات والإطلاقات للمصاديق المستحدثة من

۱- ۱ الوسائل: الباب ۴۱ من أبواب الذبح، الحديث ۴.

۲- ۲ الباب نفسه، الحديث ۱.

۳- ۳ الوسائل: الباب ۴۲ من أبواب الذبح، الحديث ۵.

ص: ۳۶

موضوعات الاحكام كالتمسّك بعموم «أوفوا بالعقود» لصحة عقد التأمين مثلًا.

قلنا: إنّه كذلك، أى التمسّك بتلك التعميمات أو الاطلاقات فى باب العقود المستحدثة مشكلة لنفس الإشكال، وطريق حلّ مشكلة هذه العقود فى محلّه منحصر بإلغاء الخصوصية القطعيّة العرفيّة فى الموارد، التى يمكن ذلك فيها. ولا إشكال فى أن الخصوصية موجودة فى محلّ البحث يقيناً، فلا يمكن إلغاؤها؛ لأنّه لا يمكن لأحد دعوى اليقين أو الاطمئنان بعدم الفرق بين الذبائح، الّتى تصرف لحومها، والتى تعدم بالدفن أو الحرق.

بل المستفاد من ظاهر الآيات أن الأضحية المطلوبة فى الشريعة الإسلامية إنما هى ما تصرف لحومها للفقراء والمساكين، قال اللَّه تبارك وتعالى: والبدن جعلناها لكم من شعائر اللَّه لكم فيها خير فاذكروا اسم اللَّه عليها صوافّ فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعترّ (۱).

فالمستفاد من هذه الآية خصوصاً بقرينة الفاء فكلوا ... جعل الأضحية فى سبيل الإطعام، ولزوم تمتّع المضحّى والقانع والمعترّ- القانعون من الفقراء والمعترّون منهم- من لحومها، ومن الواضح أن الآية ليست ناظرة إلى الموارد، التى لا يتمتّع منها المضحّون والقانعون والمعترّون بل تلتهمها حفر الأرض ومصاهر النار.

إن قيل: لعل مفهوم قوله تعالى بعد الآية المزبورة: لن ينال اللَّهَ لحومُها ولا دماؤها ولكن ينالُه التقوى (۲)

عدم موضوعية للصرف، وأنّ المهم إنّما هو التقوى والنيّات الخالصة حين الذبح.

قلنا: يلزم هذا الاستنباط من الآية عدم لزوم إراقة الدم أيضاً؛ لأنها تقول: لن ينال اللَّهَ لحومُها ولا دماؤها وهو خلاف المطلوب، فالصحيح أن يقال: إن المقصود فى الآية أن قيمة إراقة الدم، وصرف المضحّى لحومها لنفسه ولغيره، إنّما هى

۱- ۱ الحج: ۳۶.

۲- ۲ الحج: ۳۷.

ص: ٣٧

فيما إذا كانت الأضحية ملازمة لقصد القربة وخلوص النيّة، فهو نظير ما إذا قلنا: إن قيامكم أو قعودكم في الصلاة ليس بمهمّ، إنّما المهم هو إخلاص النيّة، وقصد التقرب إلى اللَّه تعالى. ونظير الآية المزبورة والبدن جعلناها لكم ... في الدلالة على لزوم الصرف، وموضوعية التمتّع من اللحوم. وهناك آية أخرى من سورة الحج وهي:

و أذّن في الناس بالحجّ ... ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم اللَّه في أيّام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (١).

ولو سلمنا في أن صيغة «كلوا» في هذه الآية تأتي في مقام دفع توهّم الحظر من أكل المضحّى، فلا دلالة لها على الوجوب (كما قال به كثير من الفقهاء والمفسرون) فلا إشكال في دلالة «أطعموا» على وجوب صرف اللحوم في الفقراء، كما تدلّ عليه الروايات الواردة في أبواب الذبح أيضاً.

إن قيل: لعلّ المسألة من قبيل تعدّد المطلوب، فكانت إراقة الدم في منى أمراً مطلوباً، وصرف اللحوم في المصارف المنصوصة هو الآخر كان أمراً مطلوباً، فإذا لم يقدر المكلّف على إتيان أحدهما (وهو صرف اللحوم) لم يسقط الآخر وهو إراقة الدم في منى.

قلنا: ظاهر الأمر في الآية الشريفة وما تفرّع عنها هو وحدة المطلوب، وان تعدد المطلوب يحتاج إلى قرينة مفقودة في المقام، بل القرينة قائمة على خلافه؛ لظاهر التفريع بالفاء، وبالجملة على مدّعى التعدّد تقديم القرينة. هذا- مضافاً إلى ما مرّ من عدم سبق إراقة الدم بدون صرف اللحوم في عصر نزول القرآن وأعصار المعصومين حتى يدّعى التعدد، فإن تعدد المطلوب يرجع الى نوع من الإطلاق وشمول الدليل، والإطلاق بالنسبة الى مصداقٍ، فرع وجود ذلك المصداق، كما أشرنا إليه سابقاً.

إن قيل: لازم وحدة المطلوب سقوط الهدى، فإن المطلوب الواحد

١- ١ الحج: ٢٧- ٢٨.

ص: ۳۸

ينتفى بانتفاء قيده، وهو فى مقام وقوع الهدى فى منى أوّلًا، وصرفه فى الفقراء ثانياً، فانتفاء الأول بانتقال المذبح الى خارج منى، وانتفاء الثانى بإعدام اللحوم بالدفن أو الحرق يوجب انتفاء أصل الهدى وسقوطه عن الوجوب.

قلنا: هذا وإن كان محتملًا بحسب صناعة الفقه، ولكنه مخالف للاحتياط قطعاً، خصوصاً بعد ملاحظة عدم إسقاط الشارع المقدس الهدى فى مورد من الموارد، حتى بالنسبة إلى من لم يجد ثمن الهدى، فأوجب عليه بدل الهدى الصيام ثلاثة أيام متوالية فى الحجّ، وسبعة بعد الرجوع إلى أهله.

وفيما نحن فيه حيث إنّه واجد لثمن الهدى، ودليل الصيام مختصّ بمن لم يجد، فلا أقلّ من أنّ مقتضى الاحتياط إتيان الهدى فى محلّ آخر.

وبعبارة آخرى عدم سقوط الهدى فى جميع الموارد، دليل على أنّه إذا لم يكن الهدى فى منى وجب إتيانه فى محلّ آخر، إلّاإذا لم يكن واجداً للثمن، فيأتى ببدله وهو الصيام.

إن قيل: إتيان الهدى بالقيدين المذكورين (وقوع الذبح فى منى، وصرف لحوم الهدى معاً) متعذّر غالباً فى الأوضاع الحالية، فلابدّ من ترك أحدهما والإتيان بالآخر، فإمّا أن يأتى بالهدى فى منى مع عدم صرف لحومها، وإما أن يترك ذبح الهدى فى منى ويأتى به فى خارجها، مع صرف اللحوم فى مصارفها، وإنّ ترجيح أحد القيدين على الآخر محتاج الى دليل.

قلنا: أوّلًا: جميع المذابح فى يومنا هذا خارج منى، وثانياً: ليس القيدان على حدّ سواء، فإنّ صرف اللحوم فى مصارفها من مقدّمات الهدى فى نظر العرف وأهل الشرع، ومن البعيد جدّاً أن يكون لمجرّد إراقة الدم موضوعيّة، لا سيما قد جرّ ذلك إلى الإسراف، أو التبذير الحرام فى رأى الشارع المقدّس، وسيأتى شرحه فى المباحث اللاحقة.

وحينئذ فإن ترجيح أحد القيدين على الآخر- أى إيقاع الهدى خارج منى، وصرف اللحوم فى

ص: ۳۹

مصارفها- لیس من قبیل الترجیح بلا مرجّح.

وممّا یدلّ علی ذلک دلالة قویّة ما ورد فی أبواب الذبح عن الامام الصادق علیه السلام، عن آبائه عن جدّهم رسول اللّه صلی الله علیه و آله أنه قال: «إنّما جعل هذا الأضحی؛ لتشبع مساکینکم من اللحم فأطعموهم» (۱).

وإذا تأمّلت هذه الروایة علمت أن الأضاحی، التی تقدّم فی أیّامنا هذه لا تصرف لإطعام الفقراء وإشباعهم، فهی علی ذلک خارجة عن نطاق أوامر الشرع.

والروایة وإن ذکرها صاحب الوسائل فی أبواب الأضحیة المستحبّة، ولکن مفادها عام یشمل الجمیع.

إن قیل: هل وجدتم فی لسان الروایات مورداً أمر الشارع فیه بإیقاع الهدی خارج منی؟ ألیس هذا من قبیل الإتیان بالطواف أو السعی فی غیر مکّة؟

قلنا: توجد موارد عدیدة فی روایات الباب توجب إیقاع الهدی خارج منی:

منها: المصدود- وهو من أتی بهدی، ومنع من الدخول فی الحرم أو مکّة- إذا ساق هدیاً فالروایات وفتاوی المشهور من الفقهاء العظام متفقة علی وجوب ذبحه فی نفس محلّ الصدّ، فلو کان الهدی فی غیر منی کالطواف فی غیر مکّة، سقط الهدی ولم یکن الهدی خارج منی جائزاً (۲).

ومنها: رجل ساق الهدی فعطب فی موضع لا یقدر علی من یتصدّق به علیه، فعلیه أن ینحره أو یذبحه، ویکتب کتاباً أنه هدی، یضعه علیه؛ لیعلم من مرّ به أنه صدقة، ویأکل من لحمها إن أراد (۳).

فهذه الروایات تدل بشکل قوی أوّلًا: علی جواز الهدی خارج منی فی موارد الضرورة. وثانیاً: علی لزوم السعی فی صرف لحومه بإعلام المستحقّین ابتداءً، وفی صورة عدم حضور المستحقین بنصب علامة تدلّ علی أنّه هدی وصدقة یجوز للمؤمنین

۱- ۱ الوسائل، الباب ۶۰ من أبواب الذبح، الحدیث ۱۰.

۲- ۲ راجع الباب ۶ من أبواب الإحصار والصدّ، الوسائل.

۳- ۳ راجع الباب ۲۱ من أبواب الذبح.

ص: ۴۰

والمستحقین الأکل منه.

إن قیل: ألا یمکن هذا فی مذابح منی فی یومنا هذا، أی یکتب کتاباً، وینصب علی الأضاحی حتی یستفید منها المستحقّون؟

قلنـا: المفروض فی المقام عـدم وجود المسـتحقّ مطلقاً، بحیث لا محیص عن دفنها، أو إحراقها کما نشاهـده فی کل عام، ومن المعلوم لغویّة الکتابة والنصب فی هذه الحالة.

نعم لو وجدنا مستحقّین فی منی، ولو بالنسبة إلی بعض الأضاحی، یجب ذبحها فی منی، ولا یجوز العدول عن ذلک فی خصوص هذه الموارد.

الأمر الثانی: نقل جمیع المذابح من منی

إنـا نعلم بانتقال المذابـح فی یومنا هـذا إلی خارج منی إلّاالقلیل منها، ولا یمکن لجمیع الحجاج إتیان الهـدی فیها إلّا للأقل من القلیل، وعلی هـذا حتی لو رفعنا أیـدینا عن أدلـة حرمـة الإسـراف- الّتی سـیأتی بیانها- وفرضـنا شـمول أدلـة الذبح لصورة فساد اللحوم، کان الإشـکال باقیاً علی حاله، فإن إجماع العلماء علی لزوم وقوع الذبـح فی منی، والروایات أیضاً تصـرّح بأنه «إن کان هدیاً واجباً فلا ینحر إلّابمنی» (۱)

وفی بعض الروایات: «لا ذبح إلّابمنی» (۲)

، وعلی أیّ حـال، العمل بهـذا الواجب غیر ممکن، وحینئـذ إن قلنا: إن إیقاع الذبـح فی منی شـرط فی صـحّته مطلقاً سواء فی الاختیار والاضـطرار، فلازمه سـقوط الذبـح من الأسـاس؛ لأن المشـروط ینتفی بانتفاء شـرطه، نظیر ما إذا قلنا: إنّ الصـلاة غیر واجبـة علی فاقد الطهورین؛ لأن الطهارة شـرط علی الإطلاق، وإن قلنا بأنه شرط حال الاختیار فقط، فلازمه سقوط هذا الشرط حال الاضطرار، ووجوب الإتیان به فی محلّ آخر من دون فرق بین وادی محسّر وغیره؛ لعدم الدلیل علی لزوم رعایة الأقرب فالأقرب.

إن قیل: جاء فی غیر واحدة من الروایات جواز الذبح فی مکّة، مثل

۱- ۱ الوسائل: الباب ۴ من أبواب الذبح، الحدیث ۱.

۲- ۲ الوسائل: الباب ۴ من أبواب الذبح، الحدیث ۶.

ص: ۴۱

معتبرهٔ معاويـهٔ بن عمار فى قوله: «قلت لأبى عبـد اللّٰه عليه السـلام: إن أهل مكّهٔ أنكروا عليك أنك ذبحت هديك فى منزلك بمكّهٔ، فقال: إن مكّهٔ كلّها منحر» (۱)

، وفي معناه غيره.

والجمع بينها وبين ما دلّ على أنّ الذبح لا يكون إلّابمنى، يقتضى حملها على صورهٔ عدم إمكان الذبح بمنى.

قلنا: أوّلًا لابـدّ من حمل هذه الروايات على الهدى غير الواجب؛ لورود التصـريح بأنه «إن كان هدياً واجباً، فلا ينحره إلّابمنى، وإن كان ليس بواجب فلينحره بمكّهٔ إن شاء» (۲).

وثانياً: لو كان الذبح فى منى أمراً مستحيلًا لم يصح الاعتراض عليه عليه السلام.

وثالثاً: سـلمنا، ولكن الذبـح بمكّهٔ أيضاً متعذراً فى زماننا هذا، نعم يمكن ذلك لأفراد قليلين، لكنه لجميع الحاجّ أو عشـر من أعشارهم غير ممكن، فلا تفيد هذه الروايات فى حلّ هذه المشكلهٔ، وأين مكّهٔ من وادى محسّر؟!

قـد يقال: إنّ المرتكز فى أذهان المتشـرّعهٔ من المسـلمين: أن محلّ إيقاع مناسك الحـج وشـعائره ليس إلّا مساحـهٔ الأرض، التى تحيط ببيت اللّٰه الحرام- زادهـا اللّٰه شـرفاً وعزّاً- ولاـ يجزى مـا يؤتى بهـا فى خارج هـذه القطعـهٔ من وجه الأرض إلّاعـدد يسـير مما نطقت به الأدلّهٔ: كالإحرام من مسـجد الشجرهٔ، وكصيام سبعهٔ أيّام بدل الهدى. والظاهر أنّ هذا الارتكاز لا يفرّق بين حالتى الاختيار والاضطرار، وهذا الارتكاز وإن لم يكن مما ينبغى أن يعتمد عليه فى الجزم بالحكم الشرعى، إلّاأنه مما يمنع عن الركون إلى خلاف ما يقتضيه فى استنباط الحكم الشرعى.

قلنا: هذا أشـبه شـىء بالاستحسان الظنّى، ولا يمكن الركون اليه، كما اعترف به صاحب هذا الإشكال، وإذا لم يكن ممّا يمكن الركون إليه، فلماذا يمنع عن الركون إلى خلاف ما يقتضيه؟! هذا، مضافاً إلى أنّ الذى لا يجوز الإتيان به من المناسك فى غير هذه القطعهٔ من الأرض أمور خاصّهٔ:

۱- ۱ الوسائل: الباب ۴ من أبواب الذبح، الحديث ۲.

۲- ۲ الباب نفسه، الحديث ۱.

ص: ۴۲

كالوقوف بعرفات ومنى والمشعر والطواف والسعى ممّا يكون قوامه بالمحلّ الخاص، ولكن غير واحد من المناسك قد يؤتى بها فى غير هذه القطعة كركعتى الطواف، فقد أفتى فقهاؤنا- رضوان اللّه عليهم- بأنّه إذا نسيها، ولم يأت بها، وخرج من مكّة، ولم يمكنه الرجوع إليها، يأتى بهما فى الطريق، وإذا تذكّر بعد الرجوع إلى وطنه، يأتى بهما فى وطنه، وقد صرّحت بذلك روايات الباب أيضاً:

منها: ما رواه أبو بصير- يعنى المرادى- قال: «سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن رجل نسى أن يصلّى ركعتى طواف الفريضة خلف المقام، وقد قال اللّه تعالى: واتّخذوا من مقام إبراهيم عليه السلام مصلّى حتى ارتحل، قال: إن كان ارتحل فإنّى لا أشقّ عليه، ولا آمره أن يرجع، ولكن يصلّى حيث يذكر» (۱).

ومثله ما رواه أبو الصباح الكنانى (۲) عن أبى عبد اللّه عليه السلام.

ومنها: ما رواه عمر بن يزيد عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال: «من نسى أن يصلّى ركعتى طواف الفريضة حتى خرج من مكّة، فعليه أن يقضى، أو يقضى عنه وليّه، أو رجل من المسلمين» (۳).

ومنها: ما رواه معاوية بن عمّار، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السلام: رجل نسى الركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام فلم يذكر حتّى ارتحل من مكّة، قال:

فليصلّهما حيث ذكر، وإن ذكرهما وهو فى البلد، فلا يبرح حتى يقضيهما» (۴).

هذا بالنسبة إلى ركعتى الطواف.

وأما بالنسبة الى الهدى الذى هو محل الكلام فقد مرّ أنه إذا كان معه الهدى، وعطب فى بعض الطرق، ومرض بحيث يخشى هلاكه، يجوز نحره، أو ذبحه فى محلّه، وإن كان بينه وبين الحرم مسافة بعيدة، كمن خرج من مسجد الشجرة قاصداً مكّة وبعد طىّ مسافة قليلة مرض هديه وعطب، ففى رواية حفص بن البخترى قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السلام: «رجل ساق الهدى،

۱- ۱ الوسائل: الباب ۷۴ من أبواب الطواف، الحديث ۱۰.

۲- ۲ الوسائل: الباب ۷۴ من أبواب الطواف، الحديث ۱۶.

۳- ۳ الباب نفسه، الحديث ۱۳.

۴- ۴ الباب نفسه، الحديث ۱۸.

ص: ۴۳

فعطب فی موضع لا یقـدر علی من یتصـدّق به علیه، ولا یعلم أنّه هدی قال: ینحره، ویکتب کتاباً أنه هدی یضـعه علیه؛ لیعلم من مرّ به أنه صدقة» (۱)

. ومثله سائر روایات الباب فراجع.

ومرّ أیضاً ذکر المصـدود إذا ساق هـدیاً، وأن الروایات وفتاوی المشـهور متّفقـة علی وجوب ذبحه فی نفس محلّ الصـدّ، ففی حدیث زرارة عن أبی جعفر علیه السلام: «فإنّ المصدود یذبح حیث صدّ، ویرجع صاحبه ...» (۲).

وفی روایـة حمران عـن أبی جعفر علیه السـلام: قـال: «إن رسـول اللَّه صـلی الله علیه و آله حین صـدّ بالحدیبیّـهٔ قصّـر وأحـلّ ونحر، ثمّ انصرف منها ...» (۳).

وکذلک بالنسبة إلی التقصیر، فقد ورد التصریح فی جملة من الروایات بجوازه خارج تلک القطعة المعروفة من الأرض:

منها: ما مرّ آنفاً فی الروایة الأخیرة (روایة حمران) من أن رسول اللَّه قصّر فی الحدیبیّة.

ومنها: ما رواه مسمع قال:

«سألت أبا عبد اللَّه علیه السلام عن رجل نسی أن یحلق رأسه أو تقصّر حتّی نفر. قال: یحلق فی الطریق أو أین کان» (۴)

. ومثلها الروایة السادسة من نفس الباب.

هـذا- مضافاً الی ما إعترف به صاحب الإشـکال من خروج الإحرام، الـذی هو من مناسک الحـج عن تلک القطعة، فإن المواقیت کلّها خارجة عن الحرم، وکذا صیام سبعة أیام بدل الهدی.

فتحصّل مما ذکرنا أنّ کثیراً من مناسک الحـج یجوز فعلها خارج المواقف الخاصّـهٔ عنـد الاضـطرار، ولا سـیّما نفس محل الکلام وهو الهـدی؛ لما مرّ من روایـة حفص البختری، فیمن کان معه الهـدی، وعطب فی بعض الطرق، وروایتی حمران وزرارة فی المصدود، فلو کان الهدی ممّا یقوم بتلک القطعة من الأرض کالوقوفات والسعی والطواف، لم یجز إتیانه خارجها اختیاراً واضطراراً.

۱- ۱ الوسائل: الباب ۳۱ من أبواب الذبح، الحدیث ۱.

۲- ۲ الوسائل: الباب ۱ من أبواب الإحصار والصدّ، الحدیث ۵.

۳- ۳ الوسائل: الباب ۱ من أبواب الإحصار والصدّ، الحدیث ۱.

۴- ۴ الوسائل: الباب ۱ من أبواب الإحصار والصدّ، الحدیث ۱.

ص: ۴۴

إن قیل: مقتضـی القاعـدة عند تعذّر الذبح بمنی، وإن کان جواز الذبح فی أیّ مکان آخر یختاره الحاجّ، إلّاأن هذا إنّما یصحّ القول به لو لم یتوفر دلیـل علی ثبوت بـدل اضـطراری بمنی، والـدلیل علی ذلـک موجود، وهو موثق سـماعة فی قوله: قلت لأبی عبـد اللَّه علیه السلام:

«إذا کثر النـاس بمنی وضاقت علیهم کیف یصـنعون؟ قال: یرتفعون الی وادی محسّر» (۱) فـإنّ المتفاهم العرفی من هـذه المعتبرة قیام وادی محسّر مقام منی عند کثرة الحجّاج، وضیق منی عن استیعابهم فی جمیع ما هو وظیفة الحاجّ فیها، حتّی بالنسبة إلی ذبح الأضحیة.

قلنا: هـذا الاسـتدلال ضـعیف جـدّاً؛ لأن ظاهر الروایـة أنها واردة فی مورد الوقوف فی منی، لا مطلق ما یؤتی به فی منی، وحینئذ قیاس الأضـحیة علی الوقوف قیـاس مع الفـارق، فـإنّ الوقوف قـائم بمنی نفسـها، فـإنه لا معنی للوقوف فی غیرها، فعنـد التعـذّر یرتفع الحاج بمقتضـی هذه الروایة الی وادی محسّر، وأما الأضحیة فقد عرفت أنه قد تتّفق فی غیر منی أیضاً، فقیاسها علی الوقوف قیاس مع الفارق، وهو غیر جائز عندنا.

الأمر الثالث: حرمة الإسراف و التبذیر

إن القرآن الکریم نهی عن الإسـراف نهیاً شدیداً، وواجه المسرفین مواجهة عنیفة، فقال تبارک وتعالی فی سورة الأنعام: ولا تسرفوا إنّه لا یُحب المسرفین (۲)

وقال فی تعبیر أشدّ فی سورة غافر: وأنّ المسرفین هم أصحاب النّار (۳)

وقال فی آیة أخری من هذه السورة: إن اللَّه لا یهدی من هو مسرف کذّاب (۴)

، وفی سورة الأنبیاء جعل الإسراف من دلائل الهلاک والمحق وقال: وأهلکنا المسرفین (۵)

، بل جعل فی سورة الفرقان عدم الإسراف حتی فی الإنفاق من علائم عباد الرحمن- مع أن الإنفاق عمل مطلوب

۱- ۱ الوسائل: الباب ۱۲ من أبواب احرام الحج والوقوف، الحدیث ۴.

۲- ۲ الانعام: ۱۴۱.

۳- ۳ غافر: ۴۳.

۴- ۴ غافر: ۲۸.

۵- ۵ الأنبیاء: ۹.

ص: ۴۵

مستحسن، حثّ علیه الشارع فی آیات کثیرة- فقال: والّذین إذا أنفقوا لم یسرفوا ولم یقتروا وکان بین ذلک قواماً (۱).

ونهی القرآن عن التبذیر أیضاً بأسلوب شدید اللهجة، فعرّف المبذّرین بأنّهم إخوان الشیاطین حیث قال: وآتِ ذا القربی حقّه والمسکین وابن السبیل ولا تبذّر تبذیراً إن المبذّرین کانوا إخوان الشیاطین وکان الشیطان لربّه کفوراً (۲).

وقد وقع الکلام بین المحقّقین فی بیان الفرق بین الإسراف والتبذیر، والّذی یظهر- من خلال الدقّة والتأمّل- أن الإسراف بمعنی الخروج عن حدّ الاعتدال والاقتصاد من دون تضییع شیء بحسب الظاهر کلبس الثیاب الثمینة القیّمة، الّتی تساوی قیمتها أضعاف قیمة الثیاب العادیة مئات المرّات مثلًا، فهو إسراف، وفی نفس الحال لم یضیّع شیء، ولکن التبذیر هو ما یؤدی الی تضییع نعم اللّه تعالی، کما اذا هیّأ لعشرة أشخاص مثلًا طعام خمسین شخصاً بحیث یطرح الزائد ویفسد.

هذا هو الفرق بین الکلمتین، الذی یفسّره المعنی اللغوی لهما، وربما اتحدا واستعملا فی معنی واحد.

ثمّ إن دائرة مفهوم الإسراف أو التبذیر واسعة بحیث تشمل أخسّ الأشیاء، فضلًا عن الموضوعات المهمّة والأشیاء الثمینة، فقد جاء فی حدیث داود الرقّی، عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال:

«إن القصد یحبّه اللّه عزّوجل، وإن السرف یبغضه، حتی طرحک النواة فإنها تصلح لشیء، وحتّی صبّک فضل شرابک» (۳).

وفی حدیث بشر بن مروان، قال: «دخلنا علی أبی عبد اللّه علیه السلام فدعی برطب، فأقبل بعضهم یرمی بالنوی، قال: فأمسک أبو عبد اللّه علیه السلام یده، فقال: لا تفعل، إنّ هذا من التبذیر، واللّه لا یحبّ الفساد» (۴).

وفی حدیث مکارم الأخلاق عن الصادق علیه السلام:

«أدنی الإسراف هراقة فضل الإناء، وابتذال ثوب الصون،

۱- ۱ الفرقان: ۶۷.

۲- ۲ الإسراء: ۲۶- ۲۷.

۳- ۳ بحار الانوار ۷۱: ۳۴۶.

۴- ۴ بحار الانوار ۷۵: ۳۰۳.

ص: ۴۶

وإلقاء النوى» (۱) وعن الكاظم عليه السلام:

«... ولكن السرف أن تلبس ثوب صونك فى المكان القـذر» (۲) . بل جاء فى روايات عديـدة أن الأئمة عليهم السـلام كانوا يأخذون فتات الخبز المطروحة فى حواشى المائدة، ويأمرون به أصحابهم خشية الإسراف والتبذير.

إذا عرفت ذلـك، فلاـ يخفى عليـك أن ذبـح الأضاحى مع دفنها أو إحراقها، أو طرحها حتّى تتعفّن بحيث لا تأكلها الكلاب أيضاً، من أوضح مصاديق الإسـراف والتبذير الممنوعين شـرعاً، ولا سيّما إذا كان بهذا المقدار والعدد الكبير، الذى قد يبلغ المليون أو أكثر، فهل يرضـى الشـارع الحكيم بمثـل هـذا الإسـراف الفـاحش؟ ومـا الـدليل على خروجه عن محكمـات الآيـات والروايـات الواردة فى حرمة الإسراف والتبذير حتى فى النواة وفضل ماء الشرب؟

فإن قيل: هذا فى طريق إطاعة أمر اللَّه.

قلنـا: هـذه مصـادرة على المطلوب، فـإن تعلّق الأمر به أوّل الكلام، كما عرفت فيما سـبق، مع أنّ كونه من المصاديق العرفيـة للإسـراف والتبذير لا ريب فيه، فتعمّه اطلاقاتهما بلا ريب.

والخلاصـة: أن قوة إطلاقات أدلة الإسـراف والتبذير واسـتحكامها يكون إلى حدّ تعمّ تضـييع أخسّ الأشـياء، فضـلًا عن تضـييع المئات والآلاف من نعم اللَّه.

إذا عرفت هذا، فيأتى الكلام فى أنّه ما النسبة بين الدليلين: دليل وجوب الأضحية، ودليل حرمة الإسراف؟

تارة نقول: إنّ دليل وجوب الأضـحية لا إطلاق له بالنسـبة إلى مصاديق يومنا هـذا- كما هو الحق- فلا كلام ولا إشـكال. وتارة أخرى نقول بـأن له إطلاقـاً يشـمل مـا نحن فيه، فإن كانا من قبيل المتعارضـين كانت النسـبة بينهما العموم من وجه، واللازم تقـديم تعميمات الإسراف؛ لأنها أقوى دلالة على المطلوب، فإن

---

۱ - ۱ بحـار الانوار ۷۵: ۳۰۳، والمراد من ثـوب الصون هو: الثوب القى يلبس فى خـارج الـبيت حفظاً لمكانـة الإنسـان، فـإن لبسه فى المكان القذر أو مثله نوع من التضييع والإسراف، وهو منهىّ عنه.

۲- ۲ بحار الانوار ۷۹: ۳۱۷.

ص: ۴۷

الأضحیة فی یومنا هذا من أظهر مصادیقه، واما أدلة الأضحیة فإطلاقها أضعف منها بالنسبة الی ما نحن فیه؛ لأنه من أخفی مصادیقها. سلمنا أنهما متساویان من حیث القوة والضعف، والظهور والخفاء، فاللازم التساقط فی محلّ الاجتماع، فیرجع الی الأصول العملیة، والأصل العملی فی المقام هو: البراءة؛ لأنه من قبیل الأقل والاکثر الارتباطیین، والمعروف بین المعاصرین والقریبین من عصرنا إجراء البراءة فیه وهو الأقوی، فیسقط الأمر بالأضحیة هنا، وإن کان الاحتیاط فعلها فی محل آخر، لا یحصل من الأضحیة فیه الإسراف والتبذیر.

هذا کلّه إذا قلنا: إنّهما یتعارضان.

وإن قلنا: إنّ هذین من قبیل المتزاحمین، وإن ملاک الأضحیة موجود فی مثل هذه الأضاحی، کما أنّ ملاک الإسراف أیضاً موجود فیها، فأللازم الأخذ بأقوی‌الملاکین، ولا دلیل علی أن ملاک الأضحیة أقوی، بل الأمر بالعکس. ولکنّ الإنصاف أن المقام لیس من قبیل المتزاحمین، فإن وجود ملاک الأضحیة فی المقام دعوی بلا دلیل، فاللازم معاملة المتعارضین معهما.

إن قیل: وجود ملاک الإسراف أیضاً دعوی بلا دلیل.

قلنا: یلزم هذا الکلام الشکّ فی وجود أحد الملاکین إجمالًا، وهذا اعتراف بخروج المقام عن بحث التزاحم، ودخوله فی مسألة التعارض، فیعود الکلام السابق فیه.

هذا کله علی سبیل المماشاة، وإلّا قد عرفت أنّه لا ینبغی القول: بشمول إطلاقات الأضحیة للموارد، التی لا تصرف فیها لحوم الأضاحی، فیما یلزم صرفها فیه، مع قطع النظر عن دلیل الإسراف، ومع ملاحظته، فالأمر أوضح (۱).

---

۱ – ۱ جدیر بالذکر أنّا بعد صدور الفتوی المزبورة من سماحة الاستاذ دام ظله وقفنا علی رأی اثنین من العلماء، صرّح کل منهما بصورة کاملة بعدم إجزاء الأضاحی، التی لا تصرف لحومها، ویکون مصیرها الدفن فی یومنا، فیجب صرف النظر عن مثل هذا الهدی. وقد ذکر کل واحد منهما أیضاً أدلة موجزة لإثبات ذلک: وهما: آیة اللّه الشیخ محمّد جواد مغنیة قدس سره من مشاهیر عصرنا، وله تألیفات عدیدة فی الفقه والأصول والتفسیر، وشتّی المسائل الإسلامیة والمعارف الدینیة، فإنّه أشار إلی هذه المسألة فی کتابه الفقهی الموسوم ب «فقه الإمام جعفر الصادق» المجلد ۲، کتاب الحج، الصفحة ۲۴۴. والشهید آیة اللّه السید محمّد الحسینی البهشتی قدس سره– مقامه العلمی لا یحتاج الی شرح وتوضیح– فإنّه أشار إلی هذا الموضوع فی کتابه «حج در قرآن» الصفحة ۹۰– ۹۱. فعلی الإخوة الباحثین فی هذه المسألة المهمّه والمهتمین بحلّ مشکلة الأضحیة فی یومنا هذا، الرجوع إلی هذین المصدرین أیضاً.

ص: ۴۸

الهوامش:

البيت الحرام

ص:۴۹

ص: ۵۰

البيت الحرام

محمد مهدى الآصفى

(جعل اللّه الكعبة البيت الحرام قياماً للناس) (۱).

يطلق «البيت الحرام» فى القرآن على الكعبة المشرفة، وتتضمن هذه الكلمة مفردتين:

(البيت) و (الحرام).

وفيما يلى سأتحدث إن شاء اللّه عن كل من هاتين الكلمتين، ونبدأ بالحديث عن (البيت).

۱- البيت

يكثر فى القرآن استعمال (البيت) فى الكعبة الشريفة، وفيما يلى نذكر طائفة من آيات كتاب اللّه، التى أطلقت كلمة (البيت) على (الكعبة):

(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) (۲). فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما (۳).

۱- ۱ المائده: ۹۷.

۲- ۲ البقرة: ۱۲۷.

۳- ۳ البقرة: ۱۵۸.

ص: ۵۱

وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً) (۱). إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً) (۲). وللّه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا) (۳).

مقوّمات البيت:

ولا بد من أن نقف وقفة تأمل قصيرة عند هذه الكلمة.

إن للبيت مقومات أربعة:

۱- فالبيت يجمع شمل الأسرة الواحدة من نسيج حضارى واحد.

۲- وفى البيت يجد الإنسان (سكوناً) واستقراراً لا يجده فى غيره، وفى أى مكان آخر على وجه الأرض. يقول تعالى (واللّه جعل لكم من بيوتكم سكناً) (۴).

و (السكن) هو ما يطمئن إليه الإنسان، ويجد فيه استقراره النفسى، ويركن إليه.

وقد عَدَّ اللّه تعالى (الصلاة) و (الليل) و (الدار) الّتى يؤوى إليها الناس سكناً.

يقول تعالى: (وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم) (۵).

فالإنسان يسكن إلى الصلاة والدعاء واللجوء إلى اللّه تعالى، ويجد فى كلّ ذلك سكناً، تطمئن به نفسه وقلبه (ألا بذكر اللّه تطمئن القلوب) وطمأنينة القلوب، وسكون النفس من مقولة واحدة.

والليل هو الآخر، يسكن إليه الإنسان، ويجد فيه راحة من زحمة النهار ومتاعبه، يقول تعالى: (وجعل الليل سكناً) (۶).

والدار التى يسكنها الإنسان هى الأخرى سكن وقرار له. يقول تعالى: (واللّه جعل لكم من بيوتكم سكناً) (۷).

۳- إضافةً الى ما يتذوقه الإنسان فى البيت من (السكن والاستقرار

۱- ۱ البقرة: ۱۲۵.

۲- ۲ آل عمران: ۹۶.

۳- ۳ آل عمران: ۹۰.

۴- ۴ النحل: ۸۰.

۵- ۵ التوبة: ۱۰۳.

۶- ۶ الانعام: ۹۶.

۷- ۷ النحل: ۸۰.

ص: ۵۲

النفسی) ... يجد فی البيت (الأمان) أيضاً، فإنَّ للبيت فی المجتمعات البشريّة حرمة وأماناً، وقد يخترق الظالمون هذه الحرمة ويدخلون الرعب الى (البيوت)، ولكن يبقى الأصل فی (البيت) الحرمة والأمان، وليس لأحد الحقُّ أن يخترق هذه الحرمة والأمان إلا بموجب القانون الذی يحمی حرمة المجتمع وأمن المجتمع؛ وحرَّم القرآن على الذين آمنوا أن يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم إلا بعد الاستيناس والسلام والإذن من أصحابها، يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم، واللَّه بما تعملون عَليم) (۱).

(البيت) والانتماء الحضاری

يعيش الناس على وجه الأرض على حالتين حالة الانتماء الحضاری وحالة اللاانتماء، والحالة الأولى هی: حالة الحياة البيتية، والحالة الثانية هی: الحالة اللابيتية.

وحالة (البيت) هی حالة الانتماء والتآلف والتعاون، وفی هذا النمط من الحياة يُحِسّ الإنسان بالعلاقة العضوية بالمجتمع الذی يحتضنه ويؤديه، ويتذوق التآلف والتعارف فی الحياة الاجتماعية، وهذه الحالة هی حالة الإنسان الذی ينتمی الى البيت.

والحالة الأخرى هی حالة اللاانتماء، وهی حالة لا حضارية يفقد فيها الإنسان الإحساس بالعلاقة العضويّة بالمجتمع الذی يعيش فيه، ويفقد فيها الإحساس بالتآلف والتعارف، ويسيطر عليه شعور غريب ب (الغربة)، وهذه الحالة هی حالة الإنسان الذی لا ينتمی الى بيت.

ومن يقرأ الرواية القصصية (الغريب) للكاتب الوجودی المعروف ... يشعر

۱- ۱ النور: ۲۷، ۲۸.

ص: ۵۳

بصورة دقيقة بعمق الشعور بالغربة فی نفس الإنسان المعاصر، وهذه هی حالة عدم الانتماء الی بیت یجمع شمل المجتمع.

إذن فی حیاة الناس حالتان: حالة البیت، وحالة اللابیت.

وحالة البیت لیست حالة واحدة، بل حالتین: بیت التوحید وبیت الشرک، ونتحدث الآن عن هذین البیتین فی حیاة الناس.

بیت التوحید وبیت الشرک:

یعبّر کل من هذین البیتین عن حالة الإنتماء الحضاریة فی حیاة الإنسان، غیر أن البیت الأوّل انتماء الی أسرة التوحید، والبیت الثانی انتماء الی أسرة الشرک، وکل منهما انتماء، ولا یصح أن نتصور أن حالة الشرک والکفر لا تعبر عن الإنتماء غیر أن الانتماء انتماءان.

وکل من هذین الإنتماءین یتألّف من نسیج حضاری تحکمه شبکة من العلاقات العضویة. والقرآن یقرر هذه الحقیقة فی کل من هذین البیتین، یقول تعالی عن العلاقة العضویة داخل البیت الأول: (والذین آووا ونصروا أُولئک بعضهم أولیاء بعض) (۱)

الذین آووا ونصروا فی التاریخ، وعلی وجه الأرض أسرة واحدة، أینما کانوا من الأرض، ومن التاریخ ... بعضهم أولیاء بعض، ولا تُضعف وشیجة الولاء هذه فواصل المکان والزمان ولا اختلاف اللغات والألوان والدماء.

ولوشیجة (الولاء) أصولها وأحکامها ومقوماتها. وهذه الوشیجة هی التی تحفظ أُسرة التوحید من التفکّک والتفرق والتمزق، والعقم والعطل فی التاریخ، إلّا أن هذه العلاقة العضویة لا تخصّ أسرة التوحید ... فإن الذین کفروا، فی أنحاء الأرض وفی التاریخ أیضاً، أسرة واحدة، علی وجه الأرض، فی مواجهة أسرة التوحید، رغم کل الخلاف الثقافی والسیاسی والعسکری فیما بینهم، وداخل هذه الأُسرة (بعضهم من بعض)، ولا أعرف تعبیراً أدق فی تصویر حالة الانتماء والعلاقة

۱- ۱ المائدة: ۵۱.

ص: ۵۴

العضويـة داخل هذه الأسـرة من قوله تعالى: (بعضـهم من بعض) فهى مجتمعة «بعضـها من بعض» وفى داخل هذه الأسـرة الكبيرة أُسرٌ صغيرة أيضاً «بعضـها من بعض» على درجات مختلفة من القوة والضعف، ولكن تبقى القاعدة الثابتة فى كلّ الحالات، وفى المجتمعات الصغيرة والمجتمع الكبير أنها بعضها من بعض.

وليس معنى ذلك أن الأسـرة الكافرة تابعـة لمحور ولاء واحـد، فهى قـد تكون ولاءات متعـددة، وصدق اللَّه تعالى فى التعبير عن هذه الحقيقة (اللَّه ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) (۱)

فالذين كفروا لهم ولاءات عديدة، إلا أنهم لهم براءة واحدة، لا يختلفون فيها وهى البراءة من الذين آمنوا.

يقول تعالى: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) (۲)

ويقول تعالى: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) (۳)

وهـذه البراءة الواحـدة تجعلهم صـفاً واحـداً كتلة واحدة، كلما اقتضـى الأمر، فى مواجهة الأمّة المسـلمة، وتكسـبهم بذلك حالة الولاء الواحدة، فتكون عندئذ كما قال ربنا: (بعضهم من بعض).

فالذين كفروا، إذن رغم كلّ الصـراع والخلاف المنتشـر بينهم أمة واحدة، وأسرة واحدة، وكتلة واحدة فى مواجهة الذين آمنوا، ولنقرأ بيان هذه الحقيقة الخطيرة من كتاب اللَّه: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) (۴)

. وفى سورة الأنفال: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض).

بيتان إذن هناك فى التاريخ، وعلى وجه الأرض (بيتان) و (أسـرتان) و (جبهتان) و (انتماءان) انتماء الى اللَّه ورسوله وإلى الذين آمنوا، وهـذا هو الانتماء الأول. وانتماء الى الذين كفروا، وهذا هو الانتماء الثانى. وكل منهما (بيت)، تحكمه علاقات البيت الواحد، من حيث الولاء والبراءة.

۱- ۱ البقرة: ۲۵۷.

۲- ۲ البقرة: ۱۰۵.

۳- ۳ البقرة: ۲۱۷.

۴- ۴ المائدة: ۵۱.

ص: ۵۵

أیّ البیتین أَقدم؟

إذا عرفنـا أن هنـاک بیـتین فی التاریـخ، وعلی وجه الأرض، فـإنَّ من الطبیعی أن نتسـاءل أیّ البیتین أسـبق وأَقـدم فی التاریـخ ... بیت التوحید أم بیت الشرک؟

الـذی یقرره القرآن: أن النـاس کـل النـاس کـانوا علی هـدی التوحیـد بـالفطرهٔ، ثم اختلفـوا بعـد ذلـک فبعث اللَّه تعـالی فیهم النـبیین والمرسلین مبشرین ومنذرین.

یقول تعالی: (وما کان الناس إلّا أُمّهٔ واحدهٔ فاختلفوا) (۱).

ویقول تعالی: (کان الناس أمّهٔ واحدهٔ فبعث اللَّه النبیین مبشرین ومنذرین وأنزل معهم الکتاب بالحق لیحکم بین الناس فیما اختلفوا فیه) (۲).

إذن البیت الأول فی التاریـخ هو (بیت التوحیـد)، ولما اختلف الناس وانشـقّوا عن التوحیـد أقاموا لأنفسـهم بیتاً جدیـداً، بـدلًا عن البیت الذی أقامه اللَّه تعالی لهم.

فکان هذا البیت الثانی متأخّراً عن البیت الأول، وانشقاقاً علی البیت الأول، وخروجاً علی أصوله وقیمه وأحکامه.

الصراع بین البیتین:

ومنـذ أن انشقَّ البیت الثـانی عن البیت الأـول اسـتقر بینهما الصـراع الی الیوم، ولا یزال الصـراع قائماً بینهما، حتی یقضـی اللَّه أمراً کان مفعولًا.

والصـراع بین هـذین البیتین من حتمیـات التاریـخ، ورغم کل شـراسَهٔ الشـرک فی ضـرب قلاع التوحیـد، فإن بیت التوحیـد بیت مقاوم وصـعب، وبیت الشـرک بیت موهون وضـعیف کبیت العنکبوت، یتخـذه العنکبوت لیکون لها وقایـهٔ وأمناً، فتمزقه الریاح وتبدده (مثل الذین اتخذوا من دون اللَّه أولیاء کمثل العنکبوت اتخذت بیتاً وإن أوهن البیوت لبیت العنکبوت لو کانوا یعلمون) (۳).

الکعبهٔ بیت الموحدین

وقرّر اللَّه تعالی أن تکون الکعبهٔ المشرفهٔ بیتاً للموحدین، یجمع شملهم من

۱- ۱ یونس: ۱۹.

۲- ۲ البقرهٔ: ۲۱۳.

۳- ۳ العنکبوت: ۴۰.

ص: ۵۶

نقاط شتى من الأرض، ويوحـدّ جهـة حركتهم على امتـداد التأريـخ، ويؤلف بين قلوبهم، ويوحـدها، برغم الفواصل المكانيـة والزمانية الكثيرة، ويؤلف بين قلوبهم، ويُعرّف بينهم.

صورة

والمعمار الأول لهذا البيت هو إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل:

(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) (۱).

وأولياء هذا البيت هم المتقون.

(وما لهم ألّا يعذبهم اللَّه وهم يَصدّون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءَه إن أولياؤه إلّا المتقون) (۲).

وهذا فارق جوهرى بين أولياء هذا البيت، وأولياء بيوت الشرك، فإن أولياء هذا البيت المتقون دائماً.

وأما غير هذا البيت من بيوت الشرك والكفر فلا يتولاه إلا الجبابرة والطغاة،

۱- ۱ البقرة: ۱۲۷.

۲- ۲ الانفال: ۳۴.

ص: ۵۷

والصادون عن سبیل اللَّه.

وأما بیت اللَّه فالمتقون وحـدهم هم الـذین یحق لهم أن یتولوا أمر هـذا البیت، دون الجبابرة والطغاة، وأما روّاد هذا البیت، فهم بعکس روّاد البیوت الأخری، هم الطائفون والعاکفون والرکع السجود.

(وعهدنا الی إبراهیم وإسماعیل أن طهرا بیتی للطائفین والعاکفین والرکع السجود) (۱).

وهذا هو الفارق الجوهری الآخر بین هذا البیت والبیوت التی یقیمها الکافرون لأنفسهم فی الأرض.

فإن هـذا البیت رواده الطائفون، العاکفون، الرکع السـجود، المسـبحون، الذاکرون، بینما یرتاد البیوت التی یقیمها الکافرون وأهل البطر وأهل الریاء من الناس، ومن لا یطلب فی عمله وحرکته وجه اللَّه.

الکعبة البیت الأول علی وجه الأرض

والکعبة، بصراحة القرآن، أول بیت وضع للناس، یقول تعالی:

(إن أول بیت وضع للنـاس للـذی ببکـة مبارکاً وهـدی للعالمین فیه آیات بینات مقام إبراهیم ومَن دخله کان آمناً وللَّه علی الناس حج البیت من استطاع إلیه سبیلًا ومن کفر فإن اللَّه غنیّ عن العالمین) (۲).

کان لابـد لبیت التوحیـد فی التاریـخ، وعلی وجه الأرض، من موضع یجمع شـملهم، ویوحّـِد جهة حرکتهم، ویقرّب، ویعرّف، ویؤلف بینهم، فأَمَر اللَّه تعالی إبراهیم وإسماعیل ببناء الکعبة المشرفة؛ لیتخذه الناس بیتاً لهم، ولیکون لهم سکناً، وأَمناً، ومحلًا یجمع شملهم. وهو أول بیت للناس، وبعد ذلک عمّر أولیاء اللَّه بیوتاً کثیرة للناس علی وجه الأرض.

۱- ۱ البقرة: ۱۲۵.

۲- ۲ آل عمران: ۹۶- ۹۷.

ص: ۵۸

وأما البيوت التی أقامها المشرکون للبطر والریاء فلم تکن لخدمهٔ الناس وتوجیههم إلی اللَّه، وإنما کانت لتضلیل الناس، واستعبادهم، وصدّهم عن سبیل اللَّه، ولم تکن بأمر اللَّه، وإنما کانت بإغراء وإغواء من الشیطان، لدعوهٔ الناس الی الانشقاق علی التمرد علی حدود اللَّه، ولیَأوی إلیه المنشقون علی حدود اللَّه وأحکامه.

الکعبهٔ (بیت اللَّه) و (بیت الناس)

الکعبهٔ، بصراحهٔ القرآن (بیت اللَّه) وفی نفس الوقت (بیت الناس) أیضاً؛ بیت اللَّه، لأن اللَّه تعالی أمر خلیله وابن خلیله بإقامته، وأمر إبراهیم علیه السلام أن یدعو الناس إلیه للحجّ، وشَدَّ أفئدهٔ الناس إلیه، وأمر خلیله إبراهیم علیه السلام وابنه بتطهیره وإعداده للطائفین والقائمین والراکعین والساجدین، ونسبه الی نفسه، کما نسبه إبراهیم علیه السلام إلیه تعالی فهو بیت للَّه.

وهو بیت للناس لأن اللَّه تعالی اتخذه بیتاً لهم، یأوون إلیه ویتآلفون، ویتعارفون فی رحابه، فهو بیت للناس.

وسوف نقدم إن شاء اللَّه توضیحاً لهاتین النسبتین للکعبهٔ الشریفهٔ فیما یلی:

بیت اللَّه

الکعبهٔ (بیت اللَّه) بصریح القرآن نسبه اللَّه تعالی الی نفسه، ونسبه إلیه تعالی عبده وخلیله إبراهیم، وأنبیاؤه علیهم السلام.

یقول تعالی لعبدیه وخلیلیه إبراهیم وإسماعیل علیهما السلام.

(طهرا بیتی للطائفین والقائمین والرکع السجود) (۱).

وینسب إبراهیم علیه السلام البیت الی اللَّه، فیقول کما یحدثنا القرآن: (ربنا إنی أسکنت من ذریتی بواد غیر ذی زرع عند بیتک المحرّم) (۲)

واللَّه تعالی بَوَّأَ

۱- ۱ الحج: ۲۶.

۲- ۲ إبراهیم: ۳۷.

ص: ۵۹

لإبراهيم عليه السلام مكان البيت من الأرض يقول تعالى:

(وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئاً) (۱).

واللَّه تعالى أمر إبراهيم عليه السلام أن يطهر البيت ويُعِدّه للطائفين والعاكفين والقائمين والركع السجود من عباده (وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود).

وأمر اللَّه تعالى عبده وخليله إبراهيم أن يعلن فى الناس حجّ هذا البيت، ويدعو الناس إليه.

(وأذن فى الناس بالحج) (۲).

واللَّه تعالى جذب أفئدة الناس من كلّ فجّ عميق الى هذا البيت، والى الاستجابه لأذان إبراهيم عليه السلام (يأتوك رجالًا وعلى كل ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق) (۳).

منزلة الكعبة عند اللَّه:

وهذا البيت أحبّ بقاع الأرض الى اللَّه تعالى.

روى الصدوق فى الفقيه، عن سعيد بن الأعرج، عن أبى عبد اللَّه عليه السلام، قال:

أحبّ الأرض الى اللَّه تعالى مكة، وما تربة أحبّ الى اللَّه عز وجل من تربتها، ولا حجر أحبّ الى اللَّه من حجرها، ولا شجر أحبّ الى اللَّه من شجرها، ولا جبال أحبّ الى اللَّه من جبالها (۴).

وروى الكلينى عن ابن أبى عمير عن زرارة، قال: كنت قاعداً الى جنب أبى جعفر عليه السلام، وهو محتجب مستقبل الكعبة، فقال: (أما إن النظر اليها عبادة).

فجاءه رجل، من بجيلة يقال له: عاصم بن عمر، فقال لأبى جعفر عليه السلام: إن كعب الأحبار كان يقول: إن الكعبة تسجد لبيت المقدس فى كل غداة.

فقال أبو جعفر عليه السلام: فما تقول فيما قال كعب الأحبار؟ فقال: صدق. القول ما قال كعب.

۱- ۱ الحج: ۲۶.

۲- ۲ الحج: ۲۷.

۳- ۳ الحج: ۲۷.

۴- ۴ من لا يحضره الفقيه ۲/ ۱۶۲.

ص: ۶۰

فقال أبو جعفر عليه السلام: كذبت وكذب كعب الأحبار معك، وغضب.

قال زرارة: ما رايته استقبل أحداً يقول: كذبت، غيره.

قال عليه السلام: ما خلق اللَّه عز وجل بقعة فى الأرض أحبّ إليه منها. ثم أومأ بيده نحو الكعبة، ولا أكرم على اللَّه عز وجل منها، لها حرّم اللَّه عز وجل الأشهر الحرم فى كتابه، يوم خلق السماوات والأرض ثلاثة متوالية للحجّ: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، وشهر مفرد للعمرة، رجب (۱).

وقد تظافرت الروايات: إن النظر الى الكعبة عبادة روى حريز عن أبى عبد اللَّه (الصادق) عليه السلام قال:

النظر الى الكعبة عبادة، والنظر الى الوالدين عبادة، والنظر الى الإمام عبادة.

وقال: مَن نظر الى الكعبة كتبت له حسنة، ومحيت عنه عشر سيئات (۲).

وعن سيف الثمار عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: من نظر الى الكعبة لم يزل تكتب له حسنة، وتمحى عنه سيئة حتى ينصرف ببصره عنها (۳).

وعن أبى عبد اللَّه الصادق عليه السلام، قال: من أيسر ما يعطى من ينظر الى الكعبة أن يعطيه اللَّه بكل نظرة حسنة، وتمحى عنه سيئة وترفع له درجة (۴).

بيت الناس

والكعبة بيت الناس، جعله اللَّه للناس بيتاً، يَأوون ويتوبون إليه، يقول تعالى:

(إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً) (۵).

فما هى علاقة هذا البيت بالناس، بعد علاقته باللَّه تعالى؟

من قراءة كتاب اللَّه نتعرف على وجوه لهذه العلاقة.

فهو مسجد للناس، ومثابة للناس، وقوام معايش الناس، ومصالحهم فى الدنيا، ومنازلهم ومواقعهم من اللَّه فى الآخرة.

واليكم إيضاحاً لهذه الانحاء الثلاثة من علاقة البيت بالناس من خلال

۱- ۱ الكافى، الفروع ۱: ۲۳۱، ووسائل الشيعه ۹: ۳۶۳.

۲- ۲ وسائل الشيعة ۹: ۳۶۴.

۳- ۳ المصدر نفسه.

۴- ۴ المحاسن للبرقى ۶۹.

۵- ۵ آل عمران: ۹۶.

ص: ۶۱

كتاب اللّه.

۱- الكعبة مسجد للناس، وفى رحابها يجتمع الطائفون، العاكفون، القائمون، الراكعون، الساجدون، المسبحون، الذاكرون اللّه كثيراً؛ ليذكروا اللّه كثيراً، ويسبحوه، ويطوفوا له، ويعكفوا فى بيته.

يقول تعالى:

(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا الى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) (۱).

ويقول تعالى:

(وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) (۲).

ويُسْكن إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام ذريته عند البيت الحرام؛ ليقيموا فيه للّه الصلاة.

(ربنا إنى أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة).

إذن، فقد وضع اللّه تعالى هذا البيت للناس؛ ليتخذوه مسجداً، ومصلى ومطافاً، ومقاماً بين يديه تعالى ... ومن هذا البيت ينطلق الناس الى اللّه، وفى هذا البيت أَمر اللّه تعالى عباده أن يعبدوه، ويوحدوه، ويسبحوه ويذكروه كثيراً.

۲- والكعبة مثابة للناس يثوبون إليها، فيجتمع بعضهم ببعض، والخلف بالسلف، والإنسان بنفسه، يقول تعالى: (واذ جعلنا البيت مثابة للناس) ومن طبيعة الحياة الدنيا أنها تشتت، وتقطع وتغيب.

تشتت الناس بعضهم عن بعض.

وتقطع الناس عن أصولهم.

وتُغيب الإنسان عن نفسه.

وهذا التشتيت والتقطيع والتغييب، يَضُرُّ الإنسان، ويفسده ويغرّبه (يشعره

۱- ۱ البقرة: ۱۲۵.

۲- ۲ الحج: ۲۶.

ص: ۶۲

بالغربَةِ)، ويحجبه عن أصول شـمله، فلابـد للإنسان من محل يثوب إليه، يجمع شـملهم بعضـهم ببعض، ويصل الإنسان بأصوله، ويعيد الإنسان الى نفسه.

والكعبة هى هذه المثابة التى جعلها اللَّه تعالى للناس، فهى تجمع الناس كل سنة مرة منذ أن أذن إبراهيم عليه السلام فى الناس بالحج الى اليوم (واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالًا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق).

ويجمع النـاس فى كل يوم خمس مرات من شتى مناطق الأرض، يستقبلونها فى صلواتهم، يقول تعالى: (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) (۱).

فيجد المسلمون الموحدون، الذين اسلموا وجوههم للَّهعلى ملة إبراهيم فى الكعبة مثابة لهم، تجمعهم كلما تشتتوا، وتوحّد حركتهم كلما تفرقت بهم المذاهب والمسالك فى الحياة الدنيا.

وتصل الخلف بالسلف، كلما قطعت الحياة الدنيا هـذه الأواصر التى تربط الأبناء بالآباء، فيعيـدهم البيت الحرام الى آبائهم وأصولهم إبراهيم وإسماعيل، ويأمرهم اللَّه تعالى أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى).

فيذكّرهم (المقام) بإبراهيم، و (الحجر وزمزم) بإسماعيل و (الصفا والمروة) بهاجر.

وإذا عاد الناس الذين أسلموا للَّهحنفاء، بعضهم الى بعض، وعادوا الى أُصولهم وأسلافهم ... عادوا الى أنفسهم، ولم يضيعوا فى زحمة الحياة.

فالكعبة تشعر هذه الأمة بعرضها العريض على وجه الأرض، وعمقها فى التأريخ.

إن المسلم الذى يحضر ضمن هذا الحشد الهائل من حجاج بيت اللَّه الحرام ...

يلمس فى الحج حجمه وعمقه ونفسه، فيلمس حجمه الحقيقى فى الحشد الهائل

۱- ۱ البقرة: ۱۴۴.

ص: ۶۳

الـذی یقصـد الحـج من مختلف مناطق الأرض، ویلمس فی الحـج عمقه الحقیقی، عنـدما تـذکره الکعبـة وأجواؤها بجـذوره التأریخیه الضاربة فی أعماق التاریخ، ویشعره الحج بأنه فرع من الشجرة الطیبة، فیجد نفسه عند الکعبة عندما یتعرف علی أصوله وأسرته وبیته.

وهـذا هو البعـد الأول من هـذه المعرفة وهو بعد «الولاء». والبعد الثانی هو بعد «البراءة»، فإن البیت الحرام کما یصل الإنسان باللّه تعالی وبأصوله وجذوره الممتدة فی التأریخ وبأسـرة التوحید الکبیرة علی وجه الأرض، کذلک یقطعه عن المشرکین ویفصل بینه وبین أسرة الکفر والشرک علی وجه الأرض وفی التأریخ.

ففی رحاب الکعبة إذن یثوب الناس الی أُصولهم، وأسرتهم، وبیتهم، ویتمیزون، وینفصلون عن المشرکین والکفار.

یقول تعالی: (وأذان من اللّه ورسوله الی الناس یوم الحج الأکبر أن اللّه بریء من المشرکین ورسولُه) (۱).

۳- والکعبة تؤمّن معیشة الناس، وتقوّم معایشهم فی دنیاهم، کما تقوم آخرتهم.

وهذه الحقیقة یذکرها اللّه تعالی لعبده وخلیله إبراهیم علیه السلام عندما أمره أن یؤذِّن فی الناس بالحج.

(واذن فی الناس بالحـج یأتوک رجالًا وعلی کل ضامر یأتین من کل فجّ عمیق لیشـهدوا منافع لهم ویذکروا اسم اللّه فی أیام معلومات علی ما رزقهم من بهیمة الأنعام) (۲).

کما أن هذه القضیة وردت فی دعاء إبراهیم علیه السلام، عندما أودع أهله وذریته واد غیر ذی زرع عند البیت المحرم لیقیموا الصلاة.

فقد دعا اللّه تعالی أن یجعل أفئدة من الناس تهوی الیهم ویرزقهم من الثمرات.

(فاجعل أفئِدة من الناس تهوی إلیهم وارزقهم من الثمرات

۱- ۱ التوبة: ۳.

۲- ۲ الحج: ۲۷- ۲۸.

ص: ۶۴

لعلهم يشكرون) (۱).

وقد استجاب اللَّه دعاء عبده وخليله إبراهيم عليه السلام.

الكعبة قيام للناس

فالكعبة إذن قضية كُبْرى وأساسيه فى حياة الناس، لا يستغنى عنها الناس فى دنياهم، ولا فى آخرتهم، ولا يستغنون عنها فى سلم أو فى حرب، ولا فى ولاء من يجب ولاؤه، ولا فى البراءة عمن تجب البراءة عنه.

فهى إذن قوام حياة الناس، يقول تعالى: (جعل اللَّه الكعبة البيت الحرام قياماً للناس) (۲).

و «القيام» هو ما يقوم حياة الناس.

وقد ذكر اللَّه تعالى فى كتابه المال، وقال عنه: إنه قيام للناس، قال تعالى:

(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل اللَّه لكم قياماً) (۳).

والكعبة، قيام للناس، يُقَوِّم حياة الناس ومعايشهم فى الدنيا، كما تقوم آخرتهم، فيَستقيم بها دينهم ودنياهم وآخرتهم.

وقد روى (لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة) (۴).

فإن الكعبة تقوم دين الناس ودنياهم، وتدفع عنهم العذاب الذى يستحقه الناس بأعمالهم.

عن أبى عبد اللَّه الصادق عليه السلام قال: لو ترك الناس الحجّ أنزل عليهم العذاب (۵).

وعن عبد الرحمن بن أبى عبد اللَّه، قال: قلت لأبى عبد اللَّه عليه السلام: إن ناساً من هؤلاء القصاص يقولون: إذا حج الرجل حجة ثم تصدّق ووصل كان خيراً له، فقال: كذبوا، لو فعل هذا الناس، لعُطِّل هذا البيت. إن اللَّه عز وجل جعل هذا البيت قياماً للناس (۶).

۱- ۱ إبراهيم: ۳۷.

۲- ۲ المائدة: ۹۷.

۳- ۳ النساء: ۵.

۴- ۴ وسائل الشيعة ۸: ۱۴.

۵- ۵ المصدر نفسه ۸: ۱۳.

۶- ۶ وسائل الشيعة ۸: ۱۴.

ص: ۶۵

الكعبة مباركة

جعل اللَّه الكعبة مباركة فى الحياة، تستنزل رحمة اللَّه تعالى وبركاته على الناس، يقول تعالى:

(إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدىً للعالمين) (۱).

فهى من منازل رحمة اللَّه على الناس.

روى معاوية بن عمار، عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: إن اللَّه تبارك وتعالى جعل حول الكعبة عشرين ومائة رحمة، منها ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين (۲).

وعن الحسن بن راشد عن أبى عبد اللَّه عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا خرجتم حجاجاً الى بيت اللَّه، فأكثروا النظر الى بيت اللَّه، فإن للَّهمائة وعشرين رحمة عند بيته الحرام: ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين (۳).

هذا إجمال من رسالة الكعبة ودورها فى حياة الناس، فهى تشدّهم باللَّه تعالى وبأوليائه، وتشدّهم بأسرة التوحيد على وجه الأرض، وفى التاريخ، وتجمع شملهم، وتؤلف بين قلوبهم، وتوحد حركتهم، وتعرّف بينهم، وتؤلف بين قلوبهم، وتعيدهم الى أنفسهم، وتقوم لهم معايشهم فى دنياهم، ومنازلهم من اللَّه فى آخرتهم.

۲- الحرام

الحرام والحرمة بمعنى الحظر والمنع.

يقول تعالى:

(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) (۴). (قل أرايتكم ما أنزل اللَّه لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالًا قل ءاللَّه اذن لكم أم على اللَّه تفترون) (۵).

۱- ۱ آل عمران: ۱۹۶.

۲- ۲ وسائل الشيعة ۹: ۳۶۳.

۳- ۳ المصدر نفسه ۹: ۳۶۵.

۴- ۴ النحل: ۱۱۶.

۵- ۵ يونس: ۵۹.

ص: ۶۶

وتأتى كلمة الُمحرّم بنفس المعنى، يقول تعالى: (قل لا أجد فيما أوحى الى مُحرماً على طاعم يطعمه) (۱).

كما أن «الَحرْم» وهو المنطقة المحيطة بالبيت الحرام منطقة حظر ومنع، ويطلق عليه الحرم بهذا الاعتبار.

يقول تعالى:

(أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء) (۲).

والشهر الحرام هو كذلك شهر حظر فيه اللّه تعالى القتال.

يقول تعالى: (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصدّ عن سبيل اللّه وكفر به) (۳).

يقول الراغب فى (المفردات):

و «الحَرَم» سمى بذلك لتحريم اللّه تعالى فيه كثيراً مما ليس بمُحرم فى غيره من المواضع، وكذلك «الشهر الحرام» (۴).

والعلاقة بين (ما يحرمه اللّه تعالى) وبين (من يُحَرَّم عليه) و (ما يُحَرَّم فيه) علاقة عكسية.

وتوضيح ذلك:

إن ما يحرّمه اللّه تعالى من قول وفعل فلا بد من أن يكون ذلك لسبب فيه من فساد أو دناءة كالشرك والفحشاء، وقول الزور والباطل والعدوان، أو أن اللّه تعالى يكرهه لعباده، ولو لظرف خاص من مكان أو زمان.

وأما من يحرم الحرام عليه، ويضع اللّه تعالى عليه الحرمه والنهى فإن ذلك إشعار بقيمته ومنزلته عند اللّه، ومهما كثرت عليه المحرمات عند اللّه كان ذلك دليلًا على منزلته وقيمته.

فليس على الحيوان تكليف من حرام وحلال، وليس على المجنون والطفل تكليف، فالتكليف بالحرمة إشعار بقيمة المكلف عند اللّه، كما أن كثرة الحرمات فى

۱- ۱ الأنعام: ۱۴۵.

۲- ۲ القصص: ۵۷.

۳- ۳ البقرة: ۲۱۷.

۴- ۴ مفردات الراغب حرف الحاء: ۱۱۵.

ص: ۶۷

مكان أو زمان إشعار بقيمة ذلك المكان والزمان عند اللَّه.

فإذا كان يحرم فى المسجد ما لا ـ يحرم فى غيره، كالإجناب ودخول الجنب، مثلًا، وتتأكد فيه حرمة اللهو واللغو الباطلين فإن ذلك إشعار بأن قيمة المسجد أعظم عند اللَّه من قيمة غيره من الأماكن.

وإذا كان يحرم فى الأشهر الحرم ما لا يحرم فى غيرها، أو تتأكد فيها الحرمة، دون غيرها من الأشهر ... فذلك لأهمية هذه الأشهر ومنزلتها عند اللَّه تعالى.

وبنفس الميزان نقول: إن اعتبار الكعبة الشريفة والمسجد الحرام، ومنطقة الحرم منطقة حظر ومنع، يكثر فيها الحظر والمنع من عند اللَّه على الناس، ويحظر اللَّه تعالى فيها على الناس ما لا يحظر فى غيره ... لأهمية هذه البقعة المباركة والمنطقة من الأرض.

ولذلك وصف اللَّه تعالى الكعبة بالحرام، فقال تعالى: (جعل اللَّه الكعبة البيت الحرام) ووصف اللَّه المنطقة بالحرم فقال تعالى: (أولم نمكّن لهم حرماً آمناً) ووصف اللَّه تعالى المسجد بالحرام فقال تعالى: (فولّ وجهك شطر المسجد الحرام) (۱).

ومن هذا التفصيل نريد أن نخلص الى النتيجة التالية: كل ما يحرمه اللَّه تعالى على عباده فهو سبحانه وتعالى راغب عنه كاره له، وإذا حرم اللَّه تعالى على عباده المحرمات فهو إشعار بحبه لهم، ورغبته فيهم، ومهما أكثر اللَّه تعالى المحرمات على عباده كان ذلك إشعاراً لحبه لهم، ورغبته فيهم، وتنزيهه لهم عنها، وكذلك المكان والزمان.

فمهما أكثر اللَّه تعالى من المنع والحظر والحرمة على مكان أو زمان ك (الحرم) و (المسجد الحرام) و (الأشهر الحرم) و (شهر رمضان) كان ذلك إشعاراً بقيمة متميزة لذلك المكان عند اللَّه تعالى.

والآن، بعد هذا التوضيح ل (الحرام) نتحدث عن المحرمات، التى حرمها اللَّه

۱– ۱ البقرة: ۱۴۴.

ص: ۶۸

تعالى على الناس فى (البيت الحرام) وحُرُمات هذا البيت.

حُرُمات البيت الحرام

۱- البدء بالقتال: حرم اللَّه تعالى على المسلمين أن يبدأوا الكفار بالقتال عند المسجد الحرام، إلا أن يبدأ الكفار قتال المسلمين عنده، فيجوز عندئذ قتالهم وصدهم عن العدوان، يقول تعالى:

(واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن اللَّه غفور رحيم) (۱).

فينهى اللَّه تعالى المسلمين من قتال الكفار عند المسجد الحرام، إلا أن يكون الكفّار هم البادِئون بالقتال.

ثم يقول تعالى عن القتال فى الحرم عند المسجد الحرام، وفى الأشهر الحرم (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما أعتدى عليكم واتقوا اللَّه واعلموا أن اللَّه مع المتقين) (۲).

فأجاز اللَّه تعالى للمسلمين أن يقتصّوا من المشركين إذا قاتلوهم فى الأشهر الحرم، أو عند المسجد الحرام، وأجاز للمسلمين أن يقاتلوهم كما يقاتلهم المشركون فيه ويعاملوهم بالمثل.

والحرمات التى تشير إليها الآية الكريمة بقوله تعالى: (والحرمات قصاص) هى حرمة «الشهر الحرام» وحرمة «المسجد الحرام» وحرمة «الحرم».

فإذا تجاوز المشركون على هذه الحرمات، وقاتلوا المسلمين فيها جاز للمسلمين معاملتهم بالمثل.

عن ابن أبى عمير، عن معاوية بن عمار، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوم فتح مكة: إن اللَّه حَرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض، وهى حرام الى أن تقوم

۱- ۱ البقرة: ۱۹۱، ۱۹۲.

۲- ۲ البقرة: ۱۹۴.

ص: ۶۹

الساعة، لم تحِلَّ لأحد قبلى، ولا يَحلَّ لأحد بعدى، ولم تحل لى إلا ساعة من نهار (۱).

وعن أبى عبد اللَّه الصادق عليه السلام فى حديث فتح مكة إن النبى صلى الله عليه و آله قال:

ألا إن مكة محرمة بتحريم اللَّه، لم تحل لأحد كان قبلى، ولم تحل لى إلا ساعة من نهار الى أن تقوم الساعة، لا يختلى خلاها، ولا يقطع شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد (۲).

۲- حرمة تلويث الكعبة بالشرك، وحرمة الإبقاء على مظاهر الشرك وآثاره حول الكعبة، ووجوب تطهرها منه. والشرك حرام على كل حال وفى أى مكان، ويجب تطهر الأرض منه فى كل مكان، ولكن هذه الحرمة، وهذا الوجوب فى الحرم أعظم وأبلغ وأكد.

فإن الشرك باللَّه العظيم وجس يلوث كل شيء يصيبه، ويفقده دوره ويسلبه خصائصه ويعطّله.

والإنسان خليفة اللَّه، وليس فى الكون كله صفة أشرف من هذه الصفة، وليس لشيء دور أعظم من هذا الدور (خلافة اللَّه)، ومع ذلك فإذا أشرك الإنسان فَقَدَ كُلَّ خصائصه وكرامته، وسقط مرة واحدة، كما لو أنه خَرَّ من السماء دفعة واحدة (ومن يُشْرِك باللَّه فكأنَما خَرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) (۳).

ويُحوِّل الشرك الإنسان من محور خلافة اللَّه الى محور الصدود والإعراض عن اللَّه، وكذلك الكعبة المشرفة إذا أصابتها لوثة الشرك أفقدتها خصائصها وبركاتها، ودورها الكبير والمبارك فى حياة الناس.

ولكى يتم تفعيل دور الكعبة فى حياة الناس، وتعدّ الكعبة الشريفة، لتكون منطلقاً لعروج الإنسان الى اللَّه تعالى، لابد من تطهير الكعبة من الشرك، يقول تعالى: (واذ بَوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئاً وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) (۴).

۱- ۱ وسائل الشيعة ۹: ۶۸.

۲- ۲ المصدر نفسه ۹: ۶۹.

۳- ۳ الحج، ۳۱.

۴- ۴ البقرة: ۱۲۵.

ص: ۷۰

فلاـ يعرج النـاس الى اللّه من الطواف حول البيت والقيام والركوع والسـجود بين يـدى اللّه فى رحاب البيت الحرام، إن لم يطهر الناس الكعبة من رجس الشرك.

وقد عهد اللّه تعالى بذلك الى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

يقول تعالى:

(وعهدنا الى إبراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) (۱) (۲).

۳- حرمهٔ إدخال المشركين الى المسجد الحرام، ووجوب إقصائهم عنه.

يقول تعالى:

(إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام) (۳).

۴- تحريم قطع الحشيش والشجر من الحرم للمُحل والمحرم.

هكذا عنون صاحب الوسائل هذا العنوان.

وروى عن حريز عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السلام بسند معتبر قال: كل شىء ينبت فى الحرم فهو حرام على الناس أجمعين (۴).

۵- يحرم الصيد فى الحرم وتنفيره مطلقاً للمحرم والمحل.

وروى الكلينى عن جريز عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السلام بسند صحيح، قال: قال رسول اللّه: ألا إن اللّه عز وجل قد حَرَّم مكهٔ يوم خلق السـماوات والأرض، وهى حرام بحرام اللّه الى يوم القيامهٔ، لا ينفر صـيدها، ولا يعضد شجرها، ولا يختلى خلاها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد (۵).

۶- يحرم فى الحرم كل ذنب، وتعظم حرمته عنـد اللّه حتى لو كان مثل شـتم الخادم وضـربه، وليس شأن الحرم شأن غيره من الأماكن، فإن كل ذنب حرام فى أى مكان، وفى أى زمان، ولكن هذه الحرمهٔ فى الحرم أعظم وأبلغ وآكد.

وقـد كان بعض الفقهاء والصالحين يتحرجون من الإقامهٔ فى جوار الحرم خشـيهٔ أن يصدر منهم ذنب، فيعاقبهم اللّه تعالى عليه بالعذاب الأليم.

۱- ۱ تفسير التطهير فى هذه الآيهٔ المباركهٔ بتنظيف البيت من القمامهٔ والنجاسات الماديهٔ لا يناسب الاهتمام البليغ الذى يعطيه اللّه تعالى لهذا الأمر، فيعهد الى إبراهيم واسماعيل عليهما السلام، واللّه اعلم.

۲- ۲ البقرهٔ: ۱۲۵.

۳- ۳ التوبهٔ: ۲۷.

۴- ۴ وسائل الشيعهٔ ۹: ۱۷۲.

۵- ۵ المصدر نفسه ۹: ۱۷۵.

ص: ۷۱

يقول تعالى: (إن الـذين كفروا وصـدوا عن سبيل اللَّه والمسـجد الحرام الذى جعلناه للناس سواءً العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) (۱).

يذكر المفسرون فى تفسير قوله تعالى: (ومن يرد فيه بالحاد ...): أن الذى يريد فى البيت إلحاداً بظلم فاللَّه تعالى يذيقه العذاب الأليم. والإلحاد هو العدول عن القصد والاعتدال.

وروى الطبرسى عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وابن زيد أن الإلحاد هو استحلال الحرام وركوب الاثم (۲).

وقد صحّت النصوص المعتبرة ان كل إثم إلحاد.

فقد جاء بسند معتبر عن الحلبى قال: سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن قول اللَّه عزّوجل (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) فقال: كل الظلم فيه الحاد حتى لو ضربت خادمك ظلماً خشيت أن يكون إلحاداً، فلذلك كان الفقهاء يكرهون سكنى مكة (۳).

وروى أبو الصـباح الكنانى قال: سألت أبا عبد اللَّه عليه السـلام عن قوله عز وجل (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) فقال: كل ظلم يظلمه الرجل على نفسه بمكه من سرقة أو ظلم أحد، أو شىء من الظلم فإنى أراه إلحاداً، ولذلك كان يتّقى أن يسكن الحرم (۴).

وعن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «جعل اللَّه الحسنات فى الحرم مضاعفة والسيئات مضاعفة» (۵).

۷- يحرم ملاحقة المجرم الذى أقدم خارج الحرم على جريمة تستوجب قصاصاً أو حدّاً أو تعزيراً ففر الى الحرم، احتراماً للحرم، وأمنه، ولكن يضيّق عليه، ويمنع من الشراء من الأسواق حتى يضطر للخروج من الحرم.

وقد استدل الفقهاء على ذلك بقوله تعالى:

۱- ۱ الحج: ۲۵.

۲- ۲ مجمع البيان للطبرسى ۴: ۸۱.

۳- ۳ وسائل الشيعة ۹: ۳۴۱.

۴- ۴ المصدر نفسه ۹: ۳۴۱.

۵- ۵ المصدر نفسه ۹: ۳۳۶.

ص: ۷۲

(ومن دخله کان آمناً) (۱) (۲).

روی ثقة الإسـلام الکلینی بسـند معتبر عن معاویة بن عمار قال: سألت أبا عبد اللَّه (الصادق) علیه السلام عن رجل قتل رجلًا فی الحل، ثم دخل الحرم، فقال: لا یقتل، ولا یطعم ولا یسقی ولا یباع حتی یخرج من الحرم، فیقام علیه الحدّ.

قلت: فما تقول فی رجل قتل فی الحرم أو سرق؟ قال: یقام علیه الحدّ فی الحرم صاغراً؛ لأنه لم یر للحرم حرمة، وقد قال اللَّه عز وجل: (فمن اعتدی علیکم فاعتدوا علیه بمثل ما اعتدی علیکم) (۳).

وروی أیضاً بسند معتبر عن الحلبی، عن أبی عبد اللَّه علیه السلام قال: سألته عن قول اللَّه عزّوجل: (ومن دخله کان آمناً). قال: إذا أحدث العبد فی غیر الحرم جنایة، ثم فَرَّ الی الحرم لم یسع لأحد أن یأخذه فی الحرم، ولکن یمنع من السوق، ولا یبایع ولا یطعم، ولا یسقی، ولا یتکلم، فإنه إذا فعل ذلک یوشک أن یخرج فیؤخذ، وإذا جنی فی الحرم جنایة أقیم علیه الحد فی الحرم، لأنه لم یرع للحرم حرمة (۴).

عن عبد اللَّه بن سنان أنه سأل أبا عبد اللَّه (الصادق) علیه السلام عن قول اللَّه عزوجل:

(ومن دخله کان آمناً) قال: من دخل الحرم مستجیراً به کان آمناً من سخط اللَّه، ومن دخله من الوحش والطیر کان آمناً من أن یهاج أو یؤذی، حتی یخرج من الحرم (۵).

والنصوص بهذا المعنی کثیرة.

فإذا کان لاـ یجوز ملاحقة المجرم فی الحرم، ولاـ یجوز تنفیر الصید وتهییجه وأذاه فلاـ یجوز بشکل آکد وأبلغ ترویع المسلمین وإرعابهم فی رحاب حرم اللَّه، وتعظم حرمته عند اللَّه.

روی محمد بن مسلم، عن أبی جعفر الباقر علیه السلام قال: سألته عن قوله تعالی (ومن دخله کان آمناً). قال: یأمن فیه کل خائف مالم یکن علیه حدّ من حدود اللَّه (۶).

۱- ۱ آل عمران: ۹۷.

۲- ۲ راجع «آیات الأحکام للجزائری» ۲: ۷.

۳- ۳ وسائل الشیعة ۹: ۳۳۷.

۴- ۴ المصدر نفسه ۹: ۳۳۷، ح ۲.

۵- ۵ المصدر نفسه ۹: ۲۰۲.

۶- ۶ المصدر نفسه ۹: ۳۳۹.

ص: ۷۳

والذی یقرأ اهتمام القرآن بأَمْن هذا البیت لا یشک فی أن للأمن دوراً أساسیاً فی رسالهٔ البیت.

وقد کان (أمن البیت) من دعاء إبراهیم علیه السلام.

(واذ قال إبراهیم رب اجعل هذا بلداً آمناً). (واذ قال إبراهیم رب اجعل هذا البلد آمناً).

وبین الدعاءَین فرق.

معنی الدعاء الأول یدعو إبراهیم علیه السلام أن یجعل اللَّه الکعبهٔ بلداً أمناً، ویبدو أن هذا الدعاء کان قبل أن یحل الناس بجوار الکعبهٔ فیکون بلداً، فدعا اللَّه تعالی أن یجعل البیت بلداً آمناً.

وفی الدعاء الثانی یدعو اللَّه تعالی أن یجعل هذا البلد آمناً، ویبدو أن الدعاء کان بعد أن حلّ الناس بجوار البیت.

ومن اهتمام القرآن بأمن البیت: القَسَمُ بالبلد الأمین، یقول تعالی: (والتین والزیتون وطور سنین وهذا البلد الأمین) (۱).

ویمنّ اللَّه تعالی علی المؤمنین: أن جعل لهم الحرم آمناً، تجبی إلیه الثمرات من کل حدب، ومکنهم منه ...

(أولم نمکن لهم حرماً آمناً یجبی الیه ثمرات کل شیء) (۲).

فقد مَنَّ اللَّه تعالی علیهم اذن، فی هذه الآیهٔ مرتین.

مَکَنَّهم من حرمه، بعد أن کان بید المشرکین وتحت نفوذهم وهذا هو المنّ الأول.

وجعله آمناً فی وسط دنیا صاخبهٔ وهائجهٔ بالحروب، ویتخطف الناس من حوله وهو المنّ الثانی.

یقول تعالی:

(أولم یروا أنا جعلنا حرماً آمناً ویتخطف الناس من حولهم) (۳).

۱- ۱ التین: ۱، ۲، ۳.

۲- ۲ القصص: ۵۷.

۳- ۳ العنکبوت: ۶۳.

ص: ۷۴

۸- يحرم التمكين لولايـة الظـالمين على البيت الحرام، الـذين يصـدون النـاس عن سبيل اللّه وعن المسـجد الحرام، ويعطلون دور هـذا البيت، ويجب تمكين المتقين من ولاية البيت الذين يعدون للبيت ويطهرونه للطائفين والقائمين والركع السجود.

يقول تعالى: (وما لهم ألا يعذبهم اللّه وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءَه إن أولياؤه إلا المتقون) (۱).

وقد أوعد اللّه تعالى الذين كفروا، والذين يصدون الناس عن سبيله والمسجد الحرام بالعذاب الأليم فقال تعالى:

(إن الـذين كفروا ويصـدون عن سبيل اللّه والمسـجد الحرام الذی جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) (۲).

فانذر الذين يصدون عن المسجد الحرام، الذی جعله اللّه تعالی للناس عامهٔ بالعذاب الأليم.

ويندّد القرآن بأولئك الظالمين الذين يصدون الناس عن المسجد الحرام:

(هم الذين كفروا وصدوا عن المسجد الحرام) (۳)

فيحرم على النـاس تمكين الظـالمين من ولايـهٔ البيت الحرام، ويجب عليهم تحرير هـذا البيت من نفوذ الطـاغوت وسـلطانه، كمـا يجب عليهم تمكين المتقين منه؛ وقد وصف اللّه تعالی هذا البيت ب (العتيق) فقال تعالی:

(ثم مَحِلّها الی البيت العتيق) (۴).

وقال تعالی:

(وليطّوفوا بالبيت العتيق) (۵).

والعتيق من العتق، وهو التحرير. فهـذا البيت حَرره اللّه تعـالی من قبضـهٔ الظـالمين مثـل أبرهـهٔ، وعتـاهٔ قريش، ولـم يجعل اللّه لأحـد عليه سلطاناً، ولم يملكه أحداً من الناس حتی يكون بيتاً للناس جميعاً.

۱- ۱ الانفال: ۳۴.

۲- ۲ الحج: ۲۵.

۳- ۳ الفتح: ۲۵.

۴- ۴ الحج: ۲۹.

۵- ۵ الحج: ۲۹.

ص: ۷۵

يقول الجزائرى فى آيات الأحكام فى معنى العتيق: (إنه لا يملكه أحد من الناس).

ثم ذكر فى معناه أيضاً: (أنه عُتِق من الجبابرة، وحفظه منهم كأبرهة وغيره) (۱).

عن أبى جعفر الباقر عليه السلام فى جواب من سأل: لِمَ سمَّى البيت عتيقاً؟ قال: هو بيتٌ حرٌ عتيق من الناس لم يملكه أحد (۲).

الهوامش:

لمحة عن الحجّ ومناسكه

۱- ۱ آيات الأحكام للجزائرى ۲: ۲۶.

۲- ۲ وسائل الشيعه ۳: ۳۴۷.

ص: ۷۹

لمحة عن الحجّ ومناسكه

محمّد جواد حجّتی کرمانی

۱- لمحة عن الحجّ

کلمة الحجّ وما يندرج تحتها من عناوين المناسک، تستطيع التعبير بنفسها- عن المحتوى العظيم لهذه الفريضة الإلهيّة المَلْأى بالأسرار والرموز، والمكتظّة بالإشارات والكنايات.

فالحجّ- هذه اللّفظة القصيرة ذات النغم المحبّب، التى تستبطن معانى القصد والعزم والتصميم- يحمل معنى بشموخ التأريخ المعنوىّ للبشرية، التأريخ المعنوىّ الذى يضفى النظام على الحياة الإنسانية- سياسيّاً واجتماعيّاً- على أساس الحقّ والعدل.

والحجّ الذى يتكوّن- عموماً- من عناصر السكون والتأمّل والتدبّر والحركة والسعى والصراع، فيه إشارات جامعة وشاملة إلى السنن الإلهيّة الجارية على الصعيدين:

التكوينى والتشريعى.

لغة الحجّ لغة نموذجية، وأعماله- بتعبير متعارف- تمثيلية إيمائية يمكن أن تكون حاكية ومجسّدة

ص: ۸۰

لتأريخ الأنبياء، وعالم الدنيا وعالم الآخرة.

كان الحجّ- هذه الفريضة الرمزية والمشحونة بالإشارات والشعارات- موضوعاً للدّراسة والتحليل من زوايا متعدّدة، وبنظرات مختلفة، من قبل الباحثين والكتّاب والمحلّلين، فرديّاً واجتماعيّاً، وعباديّاً وسياسيّاً، وعسكريّاً، وعالميّاً، ويتّصف بعض هذه البحوث والتحليلات بشمولية نسبية ناقصة لأبعاد الحجّ، بينما يختصّ البعض الآخر ببعد وجانب واحد، وبرؤية لا تتعدّى حدود مجتمع معيّن. وقد أغفلت هذه التحليلات والدراسات، ذات البعد الواحد الشمولئيةَ المحيّرة والمتناقضة- أحياناً- فى ظاهرة الحجّ، التى تجعل الزاهدين المعرضين عن الدنيا غافلين عن أحد جانبى الشمولئة، وتجعل أصحاب السياسة والمتصدّين لإدارة الدول الإسلامية غافلين عن الجانب الآخر. ولهذا سوف نسعى- فى هذا المقال القصير- إلى اختصار الكلام، وأن نشير إشارة عابرة إلى شمولئة الحجّ، ونحن على ثقة بأنّ أهل الفضل والعلم سوف لا يكتفون بهذا المختصر، ولكنّهم سيبذلون ما عندهم فى توسيع البحث وإكماله وشرحه.

يُعدُّ الحجّ- من زاوية- اجتماعاً للطاهرين والأخيار، وأصحاب المعنى وطلاب الآخرة...، وهو اجتماع يغلب عليه طهر المقدّسين وملائكة الملإ الأعلى، الذين يحتشدون- كما هو المشهور- حول أوّل بيت وضع للناس، كالبحر المتلاطم، وما الحاجّ لبيت اللَّه إلّاقطرة من هذا البحر.

وإنّ الحجّاج فى هذا الاجتماع العظيم- منذ اللحظات الأُولى التى ينوون فيها الحجّ، ويرحلون عن أهاليهم وديارهم، وينقطعون عن كلّ ما يجذبهم إلى الدنيا، حتى الإحرام من الميقات، فالطواف، فالوقوف، فالرمى، وفى كلّ حلّ ومرتحل لهم‏يبحثون عن اللَّه، ويطلبون الزلفى إليه.

وما مناسك الحجّ وشعائره إلّا

ص: ۸۱

تجسيد لأحوال الإنسان الباحث عن ربّه، المتوجّه إليه أينما حلّ وارتحل، يلتمس سُبُلَ الوصول إليه، ويتعرّض لأنفاس رحمته، فالعاشق الذى أشرف على الهلاك من فراق محبوبه، وسُلب منه الاختيار، فهو مختلف الأطوار فى سبيل الوصول إلى الحبيب، فتارة تراه متأمّلًا تعلوه السكينة، وتارة تراه مضطرباً غير مستقرّ، ينتقل من مكان إلى مكان صباحاً ومساء، فربّما التجأ إلى جبل، أو أفضى إلى صحراء، لا يهدأ له بال ولا ينعم بقرار.

والحجّ- من هذه الزاوية- حركة إنسانيّة روحيّة، يقوم بها- فى زمان واحد ومكان واحد- جمعٌ غفير من الناس، يأتون من جميع أرجاء الأرض وأقطارها إلى البيت الذى أُعِدّ للتقرّب إلى المبدإ الأعلى للخلق.

وهو- من هذه الزاوية أيضاً- مؤتمر للّه يضمّ المخلصين والمتّقين والصالحين والعابدين والقانتين على وجه الأرض.

وما أكثر الاجتماعات والمؤتمرات العالميّة التى تعقد فى مختلف شؤون الحياة الإنسانيّة؛ الدينيّة والسياسيّة والعسكريّة والتأريخيّة والأدبيّة، ولكنّك لن تجد فى أىّ مكان- غير الحجّ- مؤتمراً للتوحيد والإخلاص والعبادة، ومؤتمراً لجهاد النفس والانقطاع عن الدنيا والاستعداد للآخرة، ومؤتمراً للسير إلى اللّه، وما يتضمّنه السير من مراقبة ومكاشفة.

ولن تجد- غير الحجّ- مؤتمراً يُذيب الفرد فى الجماعة والجماعة فى الفرد، فإذا بالأعمال الفرديّة تضمحلّ لتمتزج فى أجواء الجماعة، وأجواء الجماعة تضمحلّ لتمتزج فى الأعمال الفرديّة؛ بحيث أنّ الحاجّ يظلّ- فى أيام الحجّ- عاكفاً على نفسه يحاول اكتشافها وسبر أغوارها، قد شُغِلَ بحديث النفس والمناجاة، وتصفية باطنه ممّا علق به من الشوائب، وهذا من قبيل الرهبانيّة التى يمارسها الرهبان المنقطعون عن هذا الخلق، وهى تدعو صاحبها إلى الخلوة والاعتزال ومفارقة الناس، وتؤكّد

ص: ٨٢

فرديّـة الفرد. ونجـد- إلى جانب هذا ومتزامناً معه- هذه الفرديّة تفنى وتتلاشـى فى الجماعة، فى كلّ موقف من مواقف الحجّ العظيمة، وأكثر ما تتجلّى روعـة هـذا الفناء فى عرفات. وإفناء الفرديّـة فى العمل الجماعى يساهم فى رسم الخطوط السياسـيّة والاجتماعيّـة للأمّة الإسلاميّة، كما يساهم فى توحيدها، وسنشير إلى هذا فيما بعد.

وفى الحـجّ- من ناحيـة أُخرى- أثر بـاق من أعماق التأريـخ النورانىّ لأنبياء اللّه وأوليائه، من آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسـى، وعيسـى، ومحمّـد صـلى الله عليه و آله، وآله، وأصـحابه، ففيه يتمّ إعادة بناء وصـياغة هذا التأريخ الممتلئ بحوادث ومحاولات حُفت بالأخطار، أبطالها الأنبياء والأولياء، فالحجّ- من خلال هذه الرؤية- إعادة بناء لتأريخ الأنبياء.

والحـجّ عبـارة عن أعمال وألوان من السـلوك تعود فى جـذورها التشـريعيّة- طبقاً لما جاء به الكتاب، والأحـاديث الواردة بطرق السـنّة والشيعة- إلى عهد آدم أبى البشر عليه السلام.

وقـد طـاف حول هـذا البيت كلّ من جاء- بعـده- من الأنبياء إلى نبيّنا عليهم السـلام وأدّوا مناسـكهم على هـذه الأرض المقدّسـة، فى عرفات، والمشعر، ومنى.

والحـجّ- على وجه التحديد- هو الرقيب على إعادة بناء وتجديد نظام مؤسّـسة التوحيد، الذى تمّ بواسـطة أبى الأنبياء إبراهيم خليل اللّه عليه السـلام حين رفع قواعـد البيت وطهّره للطائفين والعاكفين والركّع السـجود، كما قصّ لنا ذلك القرآن الكريم. فتضـحيات وجهود إبراهيم وهاجر وإسـماعيل عليهم السلام وما راودهم خلال ذلك من انفعالات ومخاوف وآمال، تُعاد صياغتها وتتجدّد فى كلّ منسك من مناسك الحجّ بالشكل الذى سنشير إليه فيما بعد.

وفى الحقيقـة: إنّ إبراهيم عليه السـلام بطـل التوحيـد، وإنّ الملايـين من حجّاج بيت اللّه العاشـقين، ليقومون- فى كلّ عام، ومن خلال مناسك الحجّ- بتجلية هذه

ص: ۸۳

الشخصيّة العظيمة وإمدادها بالبقاء.

ولنتذكّر أن إبراهيم كان أبَ الأنبياء الموحّدين: موسى، وعيسى، ومحمّدصلوات اللّه عليهم أجمعين؛ وأنّ الأُمّة الإسلاميّة- دون بقية الأمم الأخرى- هى وحدها التى تحتفى بذكرى رائد التوحيد، وتحترمه بما يتناسب مقامه الشامخ، وتخلّد ذكره فى مناسك الحجّ العظيمة بالعمل لا بالقول فحسب. وسوف نشير إلى هذا الإحياء والتجديد أثناء الإشارة إلى مضمون كلّ واحد من المناسك.

الحجّ- من زاوية أُخرى- تدريب متعدّد الجوانب، أو هو- كما يُصطلح- استعراض شامل للنواحى السياسيّة، والعقائديّة، والعسكريّة؛ لبعث روح الحماس وإحياء الغيرة والحميّة الدينيّة فى المجتمع الإسلامى.

ولتوضيح الصورة أكثر نتساءل:

ما هو الهدف من الاستعراض العسكرى، أو التدريب الذى تقوم به فرق إطفاء الحريق أو إنقاذ الغريق، أو الفرق الأُخرى المخصّصة لمواجهة الحوادث الجويّة والبريّة والبحريّة، مثلًا؟

والجواب: أنّ هذا الاستعراض والتدريب، وإن كان لا يتمّ على أرض الواقع، بل ينطلق فى أرض مفروضة، ويتابع أهدافاً مُفْتَرَضة، لكنّهُ أمر ضرورىّ جدّاً لإيجاد الكفاءة العسكريّة، والاستعداد القتالى، والمهارة، وسرعة الانتقال، وسرعة التصميم والعمل، وغيرها ممّا ينبغى توفّره فيمن يمارس هذه الأعمال المهمّة والمصيريّة.

وهكذا الحجّ، إذ إنّ له دوراً مهمّاً فى رسم الطريق، ووضع الخطوط والملامح الرئيسية للحياة الإنسانيّة، التى هى مزيج من العمل، والصراع، والسعى، والمتابعة، وكونها كذلك يستتبع لا محالة كفّ النفس، والأخذ بزمامها، ولا يلائم التنعّم وطلب الراحة.

فالحجّ تدريب واستعراض وتعليم يستغرق عدّة أيام، ويبتغى من ورائه إعداد الإنسان ليكون متمرّساً

ص: ۸۴

ومهيّئاً لخوض الصراع الضارى فى ميادين الحياة.

فى الحـجّ يتعلّم الإنسان أنّ عليه أن يترك وطنه وأهله وماله، ويقطع كل علائق الـدنيا، ويتحمّل مصاعب السـفر والسـهر والقلق والغربة والهجرة، ويتخلّى عن كلّ ما يرتبط بمظهره من اللباس والرياش، فى سبيل الوصول إلى حياة إنسانية إسلامية مليئة بالفخر.

يتعلّم أن عليه أن يُعرض عن كـلّ ذلـك، ويستجيب لـدعوة الحقّ الأزلىّ، فلا يسـمع سائر الـدعوات الأخرى الباطلـة، ويـدور مع الحقّ حيثما دار، ولا يسعى- فى هذه الحياة- إلّاإلى الطهارة والنزاهة والصدق والحقّ.

ويتعلّم أنّ عليه أن يمزج التوقّف والتّروّى بالسـعى والعمـل؛ لأن كلًّا من التوقّف والتروّى يجب أن يسـتتبع سـعياً وعملًا، كما أنّ السـعى والعمل لا يكونان إلّابعـد تروٍّ وتوقّف؛ ونظر فى العواقب، وحسابٍ للمسـتقبل، فالتروّى دون عمل والعمل دون رويّة، آفتان للإنسان فى دينه ودنياه.

فى الحجّ يطوى الإنسان مراحل متعدّدة فى أيّام قلائل، تعلّمه أنّ ما طواه منها يجب أن يكون مثالًا يحتديه فى حياته.

الحـجّ- بمنظار آخر- تمثيل لعرصات القيامـة، وتجسـيد لحشـر الخلق، فالكلّ إلى جهـة واحدة، لا شـىء يميّز بينهم، متوجّهون إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار، حشر عظيم فى هذه الحياة الدنيا، ونموذج مصغّر عن الحشر الأكبر فى الآخرة.

الرحيل عن الدار والأهل يشبه الموت الذى هو بداية الحياة الأُخرى، ومواقف الحجّ ومناسكه، كلّ واحد منها يذكّر بمواقف العبد أمام مولاه فى يوم القيامة، حيث ينتهى به المطاف إلى الردّ أو القبول: فريق فى الجنّة وفريق فى السعير.

والحاج- من خلال هـذه الرؤيـة التطبيقية بين مواقف الحجّ ومواقف القيامةفى قلق واضـطراب دائمين، واقف بين الخوف والرجاء فإلى أىّ

ص: ۸۵

ناحية سيتوجّه، ومع أىّ فريق سيحشر؟

وذلك لأنّ بعض الحجّاج- كبعض من يحشر يوم القيامة- سيؤخذون الى الجحيم، ولا يزيدهم الحجّ غير تبار وتخسير.

وإنّ شرح مواقف الحجّ ومواقف القيامة، والتطبيق بينهما، وتجلية روعة هذا التطبيق، ليحتاج إلى مقال مستقلّ، ولكن فى هذه الإشارة كفاية لليقظين الموقنين بالموت، والدائمين على التفكّر فى الدار الآخرة، يخافون سوء الحساب وسوء الدار.

والحجّ- أخيراً، ومن خلال رؤية أعمق- صعود للإنسان فى مقابل هبوطه التأريخى، وتسالم وتعاون للبقاء فى مقابل تنازع البقاء المتأصّل فى حياة الإنسان.

وهذه النقطة جديرة بالعناية والتأمّل، ولهذا سنتريّث فى الحديث عنها قليلًا:

لقد بدأ السقوط والهبوط الإنسانىّ عندما التفتت البشريّة- بحكم حاجاتها الطبيعية والفطرية- إلى ضرورات الحياة، وسعت إلى استخدام الطبيعة من أجل مواصلة الحياة، وسرعان ما جعل هذا الاستخدامُ الإنسان مفتوناً بالطبيعة، ودفعه خياله المطلق العنان إلى طلب الزيادة بعد الزيادة، ومن هنا كان الانحدار شيئاً فشيئاً، ثمّ استمرّ هذا الانحدار مع بروز الصراع والنزاع بين أفراد النوع الإنسانى، وأخذ يتضاعف مع مرور الأيّام أَلهاكم التكاثر ...، وكان هذا منشأً لكلّ الحروب الطويلة المدمّرة فى التأريخ الإنسانى الزاخر بالحوادث والوقائع.

وأمّا الحجّ، فهو تعليم، وتجربة مؤقّتة، ومظهر للمثل العليا، يحثّ الإنسان على كبح جماح غرائز حبّ الزيادة والمكاثرة، ويظلّ الإنسان ينهل من هذا التعليم- المحدود زماناً- طوال عمره.

كما أنّ هذه الرؤية... تتّضح أيضاً بوصفه مدرسة أخلاقيّة ومعنويّة، بنّاءة ومؤثّرة؛ فالحجّ

ص: ٨۶

بتهذيبه للنفس وتزكيته للأخلاق، وإحيائه للروح، يُطلق الإنسان، ويحرّره ممّا يكدّر صفاء روحه؛ من حرص وطمع وتكاثر وتفاخر وتكالب، وينقذه من السقوط، ويعرج به إلى الأعلى والأوج.

وهذا العروج الإنسانى إلى الأوج، وإن كان أخلاقيّاً وعباديّاً وعرفانيّاً فى جوهره، إلّاأنّهُ أساس انتصار الإنسان على الصعيد السياسى، والعسكرى، والاقتصادى ...

كما هو واضح عند أرباب الرأى والنظر.

الحجّ- من زاوية أُخرى، وعلى المدى البعيد- يُعدُّ إعداداً لتأسيس حكومة عالميّة موحّدة، وإزالة الحدود الجغرافيّة، وإدارة المجتمعات البشرية من قبل حكومة عادلة عالمة مقتدرة.

وكما نعلم فإنّهُ قد بشّر بفكرة الحكومة العالميّة الواحدة كثيرٌ من روّاد الفكر، وعلماء الاجتماع، والسياسيين، والفلاسفة فى العالم.

ومع أنّ تحقيق هذه الفكرة فى هذه القرون الأخيرة- التى يمكن عدّها آخر أدوار الترقّى البشرى- أمرٌ متعذّر، إلّاأنّ تحقّق الأفكار الإلهيّة، وتطبيق الأهداف السماوية العظيمة، له أجل معيّن، ويتعاقب بشكل ينسجم والتأريخ البشرىّ، ومن هذه الناحية فإنّ عرض الوحدة السياسيّة الاجتماعيّة من قبل الحجّاج، الذين يحضرون مراسم الحجّ من جميع أقطار الأرض، سيكون أحد العوامل المهمّة فى تحقيق الجزء الأخير من هذه الوحدة.

والحجّ- على المدى القريب- يسعى لوضع قضايا ومشاكل المجتمع الإسلامى- الداخلية والخارجيّة، اجتماعية كانت أو سياسيّة، أو اقتصاديّة- موضعَ البحث والمطالعة.

ويخطّط لمواجهة الأعداء الذين نذروا أنفسهم لحرب الإسلام والمسلمين.

ويحتضن كلّ أرباب الرأى والفكر، والمصلحين، والمؤرّخين، وعلماء الاجتماع، والسياسيّين، وعلماء الدين، وزعماء المذاهب، من كلّ أطراف

ص: ۸۷

الأرض؛ لتتجدّد روابط الأُخوّة الإسـلاميّة، وتشيع المودّة والمحبّة بينهم، وليتعرف كلّ منهم على ما يحمله الآخرون من أخلاق وآداب، وطبـائع، وأفكار، وعقائـد، وخُطَط واقتراحات، ثمّ ليصـلوا من خلال المشاورة، واسـتطلاع الرأى، والبحث الجماعىّ المنسّق- مع الأخذ بنظر الاعتبار مسـتجدّات العصر ومتغيّراته- إلى طرق الحلول المناسبة، الشاملة، المتكاملة؛ وليقوموا- بعد ذلك- بإيصال ما حصلوا عليه من هذا السـفر المبارك إلى أسـماع شعوبهم والمسلمين المقيمين فى الدول غير الإسلاميّة، وإلى أسماع العلماء وأرباب الرأى فى كل أرجاء البلاد الإسلاميّة وغيرها، حتى يتعرّفوا على آرائهم فيما سمعوه، ويستفيدوا منها.

وينبغى على هؤلاء أن يخضـعوا هـذا الارتباط العلمى، والاسـتطلاع، والحِجاج، والبحث الجماعىّ، لإدارة منظمـة، ويقوموا بوضع نظام وقواعـد لهـذا البحث بشـكل يكون معروفاً ومقبولًا لدى المسـلمين، وبهذا يتمّ تعزيز الروابط بين الدول الإسـلاميّة، ويُفسح الطريق أمام الوحدة المستقبليّة الكاملة للعالم الإسلامىّ.

والحجّ- مع حفظ كلّ ما فيه من نواحٍ معنويّة وسياسيّة واجتماعيّة سـبق ذكرها- يشتمل على جانب آخر، ألا وهو الرؤية الاقتصادية فى الحجّ.

والحجّ- من خلال هذه الرؤية- سوق حرّة للدول الإسلاميّة.

والرقى الاقتصادى لهذه الدول مرهون بتبادل المنتوجات الصناعيّة واليدوية والزراعيّة، وتبادل الخبرات فى هذه المجالات. ولو أنّ دولة من هذه الدول انطوت على نفسـها، وقطعت روابطها الاقتصادية مع سائر الدول الإسـلاميّة، فإنّها ستكون عُرضةً للتخلّف الاقتصادى، أو الانجذاب إلى فلك إحدى القوى الاقتصاديّة الكبرى فى العالم، والتبعيّة لها.

والحجّ- بصورته الفعليّة- لا ينسجم اقتصاديّاً مع الغايات التى يسعى إليها الاقتصاد الإسلامىّ، بل

ص: ۸۸

هو- فى أكثره- معرض ومكان لبيع وشراء السلع المستوردة من دول غير إسلاميّة، وهذا أمر طارئ على الحجّ أفرزته المشاكل السياسيّة التأريخيّة فى العالم الإسلامى، وليس له ارتباط بنفس الحجّ.

فالحجّ- بنفسه- ملتقىً اقتصادىّ للدول الإسلاميّة، ولا ريب فى أنّ له دوراً أساسيّاً ومؤثّراً فى تسريع عجلة الاقتصاد، وإيصال العالم الإسلامى إلى الاكتفاء الذاتىّ، علميّاً، وصناعيّاً، وزراعيّاً.

نضيف إلى كلّ ما مرّ أنّ الحجّ- كما تشهد به التجربة- عمل صحّىّ وعلاجىّ، يضمن سلامة أفراد الحجّاج، إذ لا شكّ فى أنّ سفراً حيّاً مليئاً بالحركة والنشاط كهذا السفر، إضافةً إلى أنهُ يدفع بالسموم المستقرّة فى البدن إلى الخارج، وينظّم الدورة الدموية، ويساعد على تنشيط الدماغ والأعصاب، وذلك بسبب المجهود البدنى والحركة الكثيرة، فإنّهُ- أى الحجّ- بما فيه من روحانيّة ومعنويّة يضفى على الزائر جوّاً روحانيّاً مؤثّراً يملأ نفسه صفاءً وقلبه راحة واطمئناناً، وينعكس هذا بشكل إيجابىّ على صحّته البدنيّة. وكلّ من وُفّق إلى هذا السفر العظيم، لمس ذلك بالتجربة.

ونقول باختصار: إنّ الحجّ رهبانيّة إسلاميّة، فيه قوام الدنيا والدين، وهو كله منافع للناس، وذكر اللَّه.

الحجّ عبادة وسياسة، سياحة وزيارة، اقتصاد وصحّة، الحجّ فرد ومجتمع، مادّة ومعنى، دنيا وآخرة، وهو كهذا العالم، وهذا الإنسان، مركّب ثنائىّ من جسم وروح.

وينبغى أن نُشير إلى نقطة جديرة بالاهتمام، وهى: أنّ الحاجّ إذا لم يسعَ فى إصلاح نفسه، وينعتقْ من أنانيّته، ويهتمّ بتزكية نفسه وتصفيتها، ويتدبّر فى أسرار الحجّ ورموزه، وإذا لم يطهر ممّا إلتاث به من مساوئ الأخلاق وأمراض النفس، فإنّهُ سوف لن يصل إلى أىّ منفعة من المنافع الآنفة الذكر.

ص: ۸۹

لا ـ فى السياسة، ولا ـ فى الاقتصاد، ولا فى جهاد الأعـداء، ولا فى الفكر، ولا فى أىّ مجال آخر، وذلك لأنّ الإنسان إذا لم ينتصـر على عدوّه الداخلى- وهو النفس الدائبة على معاداة اللَّه وكلّ المظاهر الإلهيّة، والتى لا تبرح زائغة عن صراطه المستقيم- فإنّهُ ليس منتصراً. والانتصـار على العـدوّ الخارجىّ معناه تضافر وتجسّـد كلّ القوى المعاديـة للَّهوالموجودة فى كلّ نفس، وليس انتصاراً أن يظهر عـدوّنا الـداخلىّ ويبرز. ففى الحقيقـة أنّ كـلّ واحـد منّا يحمـل فى داخله عـدوّاً من قبيـل الطابور الخامس- إذا صـحّ التعبير- وهو الأنا وحبّ الذات، وإذا لم يتمّ القضاء على هذا الطابور الخامس، الذى هو- بتعبير أدقّ- مقرّ قيادة العدو، فلن نكون بمأمن من شرّ العدوّ.

والمقصود: هو أنّ إعطاء الأهميّـة للجانب المعنوىّ من الحـجّ، والاسـتناد إلى الزوايا العرفانيّـة والأخرويّـة، وإلى معانى ورموز وإشارات السـير والسـلوك الكامنـة فى الحـجّ، ينبغى أن لا يمنع من الرؤية الاجتماعيّة والسياسـية، وأن لا يحول دون النظر إلى الجوانب الدنيويّة الأُخرى فى الحجّ.

۲- لمحة عن مناسك الحج

نقصد فى هذا القسم من المقالة تطبيق ما عرضناه فى القسم الأوّل منها وبشكل كلّى على كلّ منسك من مناسك الحجّ.

فلابدّ- إذن- من أن نبدأ بالكعبة:

البيت الذى عبّر عنه القرآن أنّهُ أوّل بيت وضع للناس (۱)

بيت حجرىّ بسـيط، بنى بهندسة معماريّة بدائيّة، تفتقد كلّ أنواع المظاهر والزينة ومع هذا كلّه فهو رمز للوحدة البشـريّة، وشـعار للأمن والأمان فى المجتمع الإنسانىّ. هذا البيت العتيق- الذى هو أقدم معبد على وجه

۱- ۱ آل عمران: ۹۶.

ص: ۹۰

الأرض، وقد أُعيد بناؤه على يد إبراهيم الخليل- هو الحمى، والملجأ الدينىّ والكهف الاجتماعىّ الحصين لجميع الناس.

ولا يوجد فى أىّ نقطة من هذا العالم- لقوم، أو قبيلة، أو عرق، أو طائفة- مركز فيه هذه المميّزات مع ما فيه من الجاذبية والمعنوية والحرمة والقدسيّة لهذا البيت.

ومراكز الأمن (الدول المحايدة) التى تُعدُّ ملجأً للمظلومين وحتّى المجرمين، ما هى إلّامن الإبداعات الحديثة فى القرون المتأخّرة، وكما قال الطنطاوى: إنّ اللَّه ألهم الناس أن يقوموا بعمل أوحاه إلى نبيّه إبراهيم عليه السلام.

الحرم:

تحيط بالكعبة من جهاتها الستّ منطقة محرّمة، وهى الحرم الإلهىّ الآمن، وفى هذه المنطقة- التى ذكرت حدودها فى الكتب الفقهيّة- تقع على عاتق الحجّاج بل وغيرهم، أحكامٌ ومسؤوليّات، منها عدم جواز التعرّض لأمن ما يضمّه الحرم: فنبات الحرم آمن، وحيوانه آمن، واللاجىء إليه آمن، والحرب فيه محرّمة و ...، كلّ هذا رعاية لحريم بيت اللَّه المطهّر، وإسباغاً للمعنويّة والقدّسيّة والإحترام على هذه البقعة، وليكون هذا المكان الواسع- إلى حدّ ما- مكاناً يتميّز على كلّ ما سواه، خالصاً لمنافع الإنسان المادّية والمعنويّة.

فالحرم منطقة صلح كامل، وأمن كامل، وحبّ وتعاون كاملين، يخضع فيه الإنسان لسيطرة كاملة، فيمنع حتّى من التعرّض للنبات والحيوان، فما بالك بأخيه الإنسان؟!

الإحرام:

من جملة الأفعال الواجبة لدخول الحرم، الإحرامُ، وما أروع اتّحاد مادّة (الحرم) و (الإحرام)، ويمكننا القول- بتعبير أدقّ- إنّ الإحرام يُعدّ تمثيلًا للحرم فى وجود المحرِم؛ فكأنّ الحاجّ الذى يلبس ثوبى

ص: ۹۱

الإحرام يجسّد الحرم الإلهىّ الآمن فى وجوده، ويعلن أنّ حدود وجوده منطقة محرّمة، منطقة صلح وسلام وأمن وأمان.

وهذا هو واقع الأمر؛ إذ يحرم على الحاجّ- بعد الإحرام- ارتكاب أربعة وعشرين شيئاً، فلا يجوز له حتّى قطع شعرة من شعره، ولا يجوز له قلع واحد من أسنانه، ولا إخراج الدم من بدنه وبدن غيره، وليس له الحقّ فى أن يتعرضّ لحيوان فى الحرم ولو كان حشرة استقرّت على بدنه أو ثيابه، ويحرم عليه أن يجادل أحداً بقول:

«بلى واللَّه، ولا واللَّه» ولو كان غير حاجّ، إلى غير ذلك.

ولا- يحقّ له- من ناحية أخرى- أن يدور على محور الشهوة، بل ليس له الحقّ فى أن يحوم حول مقدّماتها؛ كالخطبة لنفسه وغيره، وإجراء العقد كذلك، فلا- يجوز له النظر بشهوة، ولا العمل الشهوانىّ (ولو كان محلّلا قبل الإحرام)، بل يمنع حتّى من التعطّر، وشمّ الروائح الطيّبة، وسدّ أنفه عن الروائح المنتنة، والاستظلال من الشمس، وتغطية رأسه، و ...

وليس المقصود أن نقوم بتعداد كلّ محرّمات الإحرام، ولكنّا نريد من وراء ذلك تجسيد تلك الحالة المفعمة بالروحانيّة والتنزّه التى تستغرق كيان المحرم، فتجعل من وجوده حرماً إلهيّاً آمناً.

ونقول باختصار: إنّ الحاجّ- بعد الإحرام- يجد نفسه ملائكىّ الصفات، طاهراً من شوائب المادّة، من الشهوة والغضب، ومن كلّ ما يمثّل حيوانيته.

ومثل هذه الحالة لا يعفوها النسيان، بل تبقى ملازمة لذاكرة الإنسان، منبعاً للمُثُل ومصدراً للموعظة، فى جميع مستقبله، ولابدّ لتربية الإنسان- من سلوك طريقة تبقى حيّة فى ذاكرته على الدوام، ولهذا أُمر الحاجّ بمفارقة لباسه المخيط، حيث يخلع عن بدنه لباسه المعتاد، ويكتفى بقطعتين من لباس أبيض بسيط، علامةً على مفارقته لكلّ العلائق والروابط، وإعراضه عن كلّ مظاهر

ص: ۹۲

الامتياز والتعالى والتفاخر، وهو بذلك يضع- تحت قدميه- كلّ الامتيازات التى أضفاها مصمّموا الأزياء والخيّاطون على آلاف من أنواع الملابس العسكريّة والدينيّة والعرقيّة والطائفيّة، وعلى أنواع ثياب الملوك المتكبرين، وأصحاب المناصب المدّعين.

وإذا بهذه الأُمم المختلفة، وهؤلاء الأفراد المختلفين، شؤوناً ومناصب، حكّاماً ومحكومين، ينصهرون فى وحدة خالصة مُخْلَصة من كلّ غلّ وغشّ، ويظهرون بمظهر الاتّحاد والأُخوّة والمساواة، فى شكل واحد ظاهر وطاهر، أبيض نورانىّ، إلهىّ، ومعرض هذه الوحدة صحراء أرض التوحيد المترامية الأطراف، والحرم الإلهىّ المقدّس.

ويظلّ هذا العرض- إلى الأبد- عالقاً فى ذاكرة كل فرد من الحجّاج الذين حضروا هذا المشهد، كما يظلّ عالقاً فى ذاكرة المجتمع الإسلامى، وذاكرة كلِّ المجتمع البشرىّ أيضاً، بوصفه لوحة رائعة منقطعة النظير، ملهمة للأجيال، ومشحونة بالدعوة إلى الصلح والسلام، والمعنويّة، والإخلاص، وعبادة الواحد الأحد.

التلبية:

«لبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبّيك».

إذا ما استثنينا صلاة الطواف التى هى بهيئة الصلاة المتعارفة، فليس فى فروض الحجّ فرض يكون من مقولة اللّفظ والكلام سوى هذه الكلمات المدوّية، والملْأى بالجلال والعظمة. ولا يجب على الحاجّ- فى جميع مناسك الحجّ- قول أو دعاء أو ورد أو ذكر، غير التلبية.

وقال الفقهاء: المقدار الواجب من التلبية هو هذه التلبيات الأربع الأولى، لا غير.

ولهذه الترنيمة الرائعة المتناسقة- التى يردّدها الحجّاج بإخلاص منقطع النظير، وبصوت عالٍ

ص: ۹۳

متناغم متكرّر- أثر فی تلقین روح الطاعهٔ واتّباع حکم اللّه، والاستجابهٔ لدعوته، وهذا الأثر شیء لا يناله الوصف، و لا یسبر أعماقه قلم أو بیان.

وللكلام فی الموضوع مجال واسع یضیق به هذا المقال.

عرفات:

أرض معرفهٔ، أرض أوّل إنسان هبط، ثمّ أخذ فی طریق الصعود، أرض آدم وإبراهیم ومحمد علیهم السلام، أرض تجلّی فیها جبرئیل بحقیقته لنبیّنا صلی الله علیه و آله، أرض صحراویهٔ قاحلهٔ، تخلو من أیّ معلم أو بناء، فیها یفترش الإنسان الأرض ویلتحف السماء، فأیّ أرض هذه التی تضع الإنسان فی صمیم خلقه الطبیعی والحقیقیّ بهذا الشکل؟!

هنا- فی عرفات- عصر التوبهٔ والإنابهٔ المضیء، وعهد إعادهٔ بناء وتکوین الشخصیّهٔ الجدیدهٔ، هنا المقرّ الأبدیّ لإعلان شریعهٔ الإسلام عبرَ آخر سفیر من سفراء الوحی الإلهیّ.

هنا یفنی الإنسان فی هالهٔ من العظمهٔ والسکون، والإلهام والروحانیّهٔ، والفکر والتدبّر، والمناجاهٔ والدعاء والعبادهٔ.

قال النبیّ صلی الله علیه و آله: «الحجّ عرفهٔ».

ولو أنّک- فی أوّل منازل الحجّ- لمست فی روحک وقلبک التغیّر والتحوّل، ودفعک الوقوف فی عرفات إلی التأنی والتفکّر والتدبّر، ثمّ انتهی بک الوقوف فی المشعر إلی إکمال ما بدأته فی عرفات، فهذا یعنی أنّ أساس سائر المناسک قد استقرّ وأحکم بما لا یقبل الزعزعهٔ، وأنَّ الوقوفین قد أُدّیا علی أحسن وجه.

وقد أشرنا- آنفاً- إلی أنّ التدبّر والتأمّل لابدّ من أن یکونا أساساً للحرکهٔ والانبعاث. والوقوفان هما أساس وجوهر مناسک الحجّ الشریفهٔ؛ ولهذا فلا یوجد رکن یبطل الحجّ بترکه سهواً ودون تفریط، غیر هذین الوقوفین (۱).

الحاجّ فی عرفات یُلْهم من الأرض والسماء؛ یلهم من نفسه التی تطهّرت وتنزّهت، ویلهم من هذه

۱- ۱ راجع الرسائل العملیّهٔ.

ص: ۹۴

الأفواج التی تقاطرت من کلّ مکان، علی اختلاف لغاتها وألوانها وأعراقها، ثمّ ظهرت بمظهر واحد، لتشغل بمعرفة أنفسها، وعالمها، وربّها.

وهناک نقطة أُخری جدیرة بالتأمّل فی صحراء عرفات، وهی أنّها تصوّر لنا عرصات المحشر، فإذا بالحاجّ- حیث تتمثّل یعینه صور القیامة والحساب- یستغرق فی حالة من الانقطاع والتضرّع، تجعل منه- بحقّ- إنساناً آخر، إنساناً متعالیاً متکاملًا، قد أقبل علی الآخرة، وکان أهلًا لوصال الحبیب والتشرّف بدخول الحرم.

المشعر الحرام:

فإذا أفضتم من عرفات فاذکروا اللَّه عند المشعر الحرام (۱).

هذه الآیة الکریمة تعنی الحجّاج الذین أفاضوا إلی المشعر الحرام غروبَ الیوم التاسع من ذی الحجّة.

وللمشعر لون وعطر وإشراق، وله جاذبیّة خاصّة، وحالة خاصّة، فالمشعر حرم، وعرفات لیست من الحرم.

وأنت- أیّها الحاجّ- تحرم من حرم إلی حرم- ولکی تکون مؤهّلًا لدخول الحرم، فإنّک عدت إلی معرفة ذاتک، وأعدت بناءها خارج الحرم فی صحراء عرفات، وهنا أنت تعزم- لیلًا- علی الرحیل إلی حرم اللَّه، فالمشعر حرم، ومنی حرم، ومکّة حرم، وتطلب الإذن بالدخول مرحلة بعد مرحلة.

وها أنت تقضی لیلتک فی المشعر الحرام بذکر اللَّه، طبقاً لهذه الآیة المبارکة وللسنّة، وجریاً علی السیرة المتعارفة، وتعدّ ما استطعت من قوّة وسلاح لمقارعة الشیطان. ومن السنّة أن تقوم بجمع أحجار الرمی من أرض المشعر الحرام، وهذا التشریع إعداد للأفراد من أجل مواجهة العدوّ، ویکون ذلک لیلًا وفی صمت، فی الخفاء أو نصف الخفاء، وهذه الحالة من الخفاء أو نصف الخفاء محسوسة بالکامل لمن کانوا لیلةَ العاشر فی

۱- ۱ البقرة: ۱۹۸.

ص: ۹۵

المشعر الحرام.

وأرض المشعر- هذه المنطقة الجبليّة الوعرة، بخلاف أرض عرفات- شاهدة على الآلاف والآلاف من الحجّاج الذين ينتشرون فی أرجائها، فرادی، وجماعات من الثلاثة والأربعة، ليجمعوا الأحجار لمعركة الغد.

وتذكّر أنّك لن تكون جديراً بدخول المعركة إلّابالوقوف فی عرفات والمشعر، وتهذيب نفسك، والظفر بشخصيتك المعنويّة الجديدة.

منی:

أرض الآمال، أرض معركة إبراهيم المنتصرة، وفيها يُؤدّی أكثر مناسك الحج صعوبة فی زمان يزيد علی كلّ مدّة الحجّ، مع أنّ ما يؤدّی فيها هو من أقصر الفروض، منی أرض الصراع ضدّ الشيطان، وأرض القرابين، والتقصير، ووصل اللّيل بالنهار علی حال من الخوف والرجاء، بذهنيّة ومعنويّات المجاهد الصامد الذی يدأب فی ثلاثة أيام متوالية علی إسناد المعركة وتغذيتها والاستمرار فيها حتّی الوصول إلی النصر المحتّم علی العدوّ، ويواصل هذا الجهاد مشفوعاً بالنشاط والأمل والاجتهاد واليقظة.

فی هذا المكان يحلّ للحاجّ- بعد التقصير- كثير من المحرّمات، علی التفصيل المذكور فی كتب الفقه، ويعود الحاجّ- بعد نحر أُضحيته- إلی ما اعتاده من اللّباس، ليكون مستعدّاً لوصال الحبيب، والدخول إلی حريم المعبود، والطواف ببيت اللَّه، والسعی بين الصفا والمروة.

فی منی يقترن الجهاد أطراف النهار بالتدبّر آناءَ اللّيل، ويكون كل منهما مكمّلًا للآخر.

ويتوافد كثير من الحجّاج- بعد النحر- إلی مكّة؛ ليؤدّوا الطواف والسعی، ثمّ يعودوا أدراجهم إلی منی، ويمكنك أن تقضی ثلاثة أيّام بليلتيها فی منی، ثمّ تتوجّه عصرَ اليوم الثانی عشر إلی مكّة لإتمام المناسك

ص: ۹۶

مرّة واحدة.

ونودّ الإشارة إلى أنّ العادة جارية- فى عصرنا- على إقامة المؤتمرات والاجتماعات فى أرض منى؛ للبحث وتبادل الآراء فى أُمور المسلمين، وهو أمر مقبول إجمالًا، شريطة أن لا- يكون مظهراً خالياً من المحتوى، وكلاماً لا يقترن بالعمل، أو يكون- لا قدّر اللَّه- مخالفاً لمرضاة اللَّه ومصلحة المسلمين.

رمى الجمار:

وهو تدريب رائع لبعث روح الجهاد ضدّ العدوّ، فالجمرات الثلاث معالم للشرّ والخبث، وهنا التحم إبراهيم مع وسوسة الشيطان فى صراع مرير، ثمّ ظهر على الشيطان، وليس المقصودُ من رمى الأحجار التافهة، ضربَ معلم الشرّ (البناء) البارز، بل هو إعداد نموذجىّ للبشريّة من أجل خوض الصراعات المستمرّة فى جميع ميادين الحياة.

وميدان الرمى هذا- على حدّ تعبير حافظ عامر بيك- مكان لصناعة اليد المحاربة. فالرمى باليد مباشرة يوجد فيك ملكة الكفاءة القتالية، ومتابعة العدوّ، والتهديف الدقيق، وإنّ يداً- كهذه اليد- سوف تكون نافعة وقادرة على حلّ المشاكل فى مستقبل الحياة.

الأُضحية:

هذه السنّة العظيمة لإبراهيم خليل اللَّه، والذكرى الخالدة لفداء إسماعيل تذكّر أنّ شيخاً طاعناً فى السنّ قضى سنين عمره الشريف فى السعى، والجهاد، والهجرة، والإعراض عن المال والولد، وها هو- فى أواخر عمره- يؤمر بتقريب ونحر ولده الحبيب الذى أصبح- الآن- شمعة تضىء لهذا الشيخ الكبير ظلام الحياة على حين انقطاع الأمل، وعندما عزم إبراهيم- صادقاً ومن أعماق قلبه- على التضحيّة بولده، وتلّه للجبين مُمِرّاً المدية على نحره، نودى بما أخبرنا به القرآن: وناديناه أن يا إبراهيمُ قد

ص: ۹۷

صدقت الرؤيا إنّا كذلك نجزى المحسنين ... وفديناه بذبح عظيم .... (۱)

، وجاء الفداء، وأُمر إبراهيم بذبح الكبش مكان ولده.

ومن هنا فإنّ نحر الأُضحية- وهو آخر أعمال الحاجّ فى حال الإحرام- إلى جانب كونه إحياءً لذكرى فداء إبراهيم العظيم فى مقابل تلك التضحية التى تحيّر العقول وتأخذ بالألباب، فإنّهُ يعلّم الحاجّ التضحية بماله فى سبيل اللَّه، تضحيةً تعود عليه وعلى سائر المسلمين بالنفع المادّى، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (۲).

وعلى المسلمين فى العالم أن يسعوا بتعاونهم وتخطيطهم المشترك- إلى إكمال مشروع تجميد لحوم الأضاحى وتعليبها، بشكل يضمن التطبيق الكامل لحكمة هذا التشريع الواردة فى القرآن الكريم، ويحول دون الإسراف وإفساد هذه اللحوم ودفنها فى التراب، حتّى لا يتسبّبوا فى تضييع هذه المنفعة العامّة.

التقصير:

هو أحد مناسك عمرة الحجّ، وبه تختم العمرة، فهو خاتمة مقطع من الحجّ، ويؤدّى بأخذ مقدار من شعر الرأس، أو اللحية والشارب، أو تقليم الأظفار.

ويحل لك- بعد التقصير- كثير من محرّمات الإحرام، ولكنّك لستَ محلًا بالكامل بعدُ، ولا تزال غير قادر على الاستجابة لكلّ غرائزك الشهوانيّة الأساسيّة، إذ إنّ حرمة التعطّر والجماع مستمرّة إلى ما بعد التقصير فى مقطع من الحجّ.

ويمكن أن يكون التقصير علامة على أنّك وفّقت- إلى حدّ ما- فى مرحلة تطهير الجسد والروح، وها أنت يجب عليك- لتنجح نجاحاً كاملًا- أن تؤدّى قسماً آخر من المناسك فى منى، ومكّة أيضاً. إذن، فإنّ للأمل والرجاء- هنا فى منى- تجلّياً خاصّاً، فهل- تُرى- سمّيت منى بمنى لهذا السبب؟!

أورد كلّ من محمّد الغزالى فى

۱- ۱ الصافّات: ۱۰۴- ۱۰۵- ۱۰۷.

۲- ۲ الحجّ: ۲۸.

ص: ۹۸

إحياء علوم الدين، والفيض الكاشانى فى المحجّة البيضاء بعض المطالب، وإليك منتخباً ممّا تحتويه:

الطواف صلاة. احفظ مراتب التعظيم والتكريم والخوف والرجاء والمحبّة. ها أنت كالملائكة الذين يطوفون بالعرش الإلهىّ، ولا تحسب أنّ المقصود طواف بدنك فى أطراف البيت، بل المقصود طواف قلبك بذكر صاحب البيت، فلا تبدأ ذكراً ولا تختمه إلّاباسمه، كما أنّ الطواف يبدأ من البيت وينتهى إلى البيت واعلم أنّ جوهر الطواف طواف القلب بالحضرة الإلهيّة، وما البيت إلّامثال ظاهرىّ فى عالم الملك للحضرة الربوبية التى لا ترى بهذه العين، كما أنّ الجسد مثال ظاهرى للقلب (۱) فى عالم الشهود، ولابدّ من معرفة أن عالم الملك والشهود العالم الحسى يرقى درجة بعد درجة لمن فتحت له الباب.

وما ورد فى الأخبار من أنّ فى السماء بيتاً وضع قبالة الكعبة، يسمّى بالبيت المعمور، تطوف حوله الملائكة كما يطوف الناس حول الكعبة، فيه إشارة إلى هذه الموازنة والمسانخة بين عالم الملك والملكوت.

وبما أنّ أكثر الناس قاصرون عن الوصول إلى هذه المرتبة من الطواف، فقد أُمروا بالتشبّه ما وسعهم ذلك. (إلى هنا ينتهى ما انتخبناه من محتوى كلام الغزالى).

فالطواف هو بيت القصيد الرقيق والمتغلغل إلى أعماق القلب، من ملحمة الحجّ الرائعة.

الطواف تبلور لمقام القرب والوصال بين العابد والمعبود، وينفرد الطواف مع صلاته عن بقيّة المناسك باشتراط الطهارة فيهما، فلا يجب على الحاجّ الوضوء أو الغسل (إذا صدر منه أحد موجباته) لسائر أعمال الحجّ الأُخرى، كما لا تشترط الطهارة من الحيض فى المرأة- لغير الطواف وصلاته.

الطواف حول البيت عدل وموازن للصلاة، فالصلاة هى الطواف بصورته الساكنة مقابل الكعبة،

۱- ۱ المراد من القلب فى هذه الموارد، الجوهر النفسانىّ المجرّد، المتّحد مع نفس الإنسان.

ص: ۹۹

والطواف هو الصلاة- بصورتها المتحرّكة- حول البيت.

وتقريب هذه الصورة أكثر، افترض أنّ الكعبة مركز لدوائر كثيرة يحيط بعضها بالبعض الآخر، أوّلها المطاف- وهو أقرب وأصغر دائرة ترسم بالطواف حول البيت- وآخرها ما يستدير في أقصى نقاط الأرض المختلفة، وتتشكّل هذه الدوائر من المصلّين الذين يتوجّهون من جهات هذا العالم الأربعة إلى الكعبة المكرّمة، ولو أنّك أمعنت النظر في دائرة من هذه الدوائر، لرأيت أنّ المصلّين في حالة من الطواف، غير أنه طواف ساكن بصورة الصلاة.

ومن جهة أخرى فإن الطائفين حول البيت يشكّلون دائرة بالطواف أيضاً، وهم بهذا الطواف يقومون بتصوير وعرض كلّ الدوائر التي يرسمها المصلّون في أرجاء الأرض وكلّ واحد من المصلّين- في أيّ قوس، ومن أيّ دائرة- ما هو إلّاممثّل لطواف الطائفين بالبيت، كما أنّ الطائفين بالبيت يمثّلون بطوافهم صلاة المصلّين في جميع أرجاء الأرض.

فأنت- أينما ومتى وقفت للصلاة- قوس من دائرة أقواسها الأخرى في شعاعك، وهذه الدائرة- حتّى في أبعد فاصلة من الكعبة- ما هي إلّاتمثيل لدائرة الطواف الصغيرة بمقياس أوسع وأكبر.

والطائفون المتحرّكون الحاضرون في المسجد الحرام، هم- أيضاً- المجسّدون للدوائر الكثيرة المتكررة من الطائفين الساكنين، والمنبثّين في أرجاء العالم، الغائبين عن البيت.

يتّضح بهذا أنّ الطواف حول البيت ليس أمراً ينفرد به حجاج البيت؛ فالمصلون أينما وقفوا- في أي شعاع، وأيّ دائرة، صغيرة كانت أو كبيرة- كأنّهم يطوفون بالبيت طوافاً ساكناً في صورة الصلاة.

وباختصار: فإنّ الطواف صلاة متحرّكة، والصلاة طواف ساكن.

والصلاة والطواف عبادة واحدة تؤدّى

ص: ۱۰۰

بشكلين، أو هما روح واحدة فى بدنين.

ويمكننا القول- زيادة فى التوضيح- إنّ الانجذاب والعشق يتجلّيان فى أفعال العاشق بصورتين مختلفتين: فطوراً بالهدوء والتأمّل والانفراد والترنّم بأسرار الحبّ، وطوراً بالنهوض والحركة والعجز عن امتلاك زمام النفس، التجلّى الأوّل هو الصلاة، والتجلّى الثانى هو الطواف.

الطواف والصلاة مظهران لأطهر وأقدس وأروع حالات الإنسان، وأكثرها جذباً وروحانية وملكوتية، (الصلاة معراج المؤمن).

وليست هناك حالة أُخرى ينتفع فيها الإنسان إلى هذا الحدّ بالوصال والقرب التام من سرّ الخلق، وكنه الوجود، ومعشوق العالم، ومعبود الكلّ.

الطواف- من زاوية أُخرى- تصوير للسير الدائرى لكلّ نظام الخليقة على محور الخالق الذى منه يبدأون وإليه ينتهون. الطواف تجسيد للسير الدائرى- المحيِّر، والحائر- لكلّ ذرّات عالم الوجود.

والطواف- فى الوقت نفسه- بدايةٌ لدوران جديد، وعثورٌ جديد على المحور، يعيد حياة الإنسان المنفصل عن الحقيقة والدائر على محاور الدنيا الباطلة، إلى الدوران على محور الحقّ والعدل والطهارة. وإذا ما كان المحور الذى تدور عليه حركتنا وأعمالنا هو الحرص والطمع، وهذه الأهداف الدنيوية الفانية المادّية، فإنّ الطواف هو المغيّر لهذا المحور الذى تدور عليه حياتنا.

وفى الطواف رمز آخر، وهو أنّهُ يدعو الإنسان ذا الأُفق الضيّق والبعد الواحد إلى النظر من جميع الجوانب، ويجلب انتباهه إلى جميع الجهات.

الطواف سير فى اللانهاية، ودوران من الحقّ إلى الحقّ، وأنت تصبح بهذا السير إنساناً لا يهدف إلّا إلى الحقّ، ولا يدور إلّاعلى محور الحقّ يفضل الطواف كالصلاة معراج للمؤمن. الطواف الصلاة فى عرضه للحركة وعدم الاستقرار، والصلاة

ص: ۱۰۱

تفضله بتجسيدها للهدوء والتأمّل.

الحجر الأسود:

حجر أسود، لا يتميّز- بطبيعته- على غيره من الأحجار، خلق بشكل غامض ومجهول، وعرّف بأنّهُ يمين اللَّه.

الحجر الأسود بمنزلة العَلَم الذى لا يختلف عن نظائره بشكله وصناعته الظاهرية، ولكنهُ رمز يعكس كلّ تأريخ الأمة ووجودها وشرفها.

تصوّر البعض أنّ استلام الحجر يشبه احترام أو تحية العلم، وهو أمر معتاد ومرسوم فى جميع الدول، ويبدو أنّ هذا التصوّر صحيح، وينسجم مع الروايات التى عبّرت عن الاستلام بأنّهُ (مصافحة مع اللَّه) أو ما يشبه ذلك.

والحجر- فى تصوّر بعض آخر- هو قلب البيت، فكأنّ كلّ ما هناك من قدس وجلال ومعنوية وجاذبية وعظمة ينبعث من هذا الحجر إلى جميع أرجاء البيت. ومن البيت إلى المسجد، ومن المسجد إلى مكة، ومن مكة إلى الحرم، ومن الحرم إلى جميع أنحاء العالم، فقلب المعنوية نابضٌ فى الحجر، ومنه تسرى المعنوية إلى البيت، والبيت قلب المسجد النابض؛ والمسجد قلب مكة الذى يضخّ المعنوية والقدسية فى عروقها، ومكة- بدورها- تسقى منطقة الحرم، ومن هذا المركز المطهّر المضىء (الحرم) ترتوى كل أرجاء العالم من نبع التوحيد الأصيل.

والحجر- من خلال رؤية أُخرى- رمز لوحدة البشريّة، فكأنّ جميع الناس على هذه الأرض، يعلنون- باستلامهم الحجر- الوحدة فى التراب والوطن، فالكلّ من أرض واحدة، ولا حدود تفصل بين أوطانهم، وعند هذا الحجرالأسود يُعلَنُ أنّ الناس من عرق واحد وتراب واحد وطبيعة واحدة (۱).

السعى بين الصفا والمروة:

السنّة أن يتوجّه الحاجّ بعد الطواف إلى بئر زمزم، ويشرب من مائه، ثمّ يذهب إلى جبل الصفا، ليبدأ

۱- ۱ فلسفة الحجّ، حافظ عامر بيك.

ص: ۱۰۲

سعيه إلى المروة، بأدعية طويلة رائعة تعبق بذكرى الروح الملكوتية لآخر سفير من سفراء الوحى الإلهيّ.

الصفا، هو ذكرى أوّل نداءٍ أعلن عن نبوّة خاتم الأنبياء محمّد (صلّى اللَّه عليه وآله وصحبه المنتجبين).

والسعى من هذا الجبل إلى ذاك الجبل- إضافةً الى كونه تجديداً لقصّة هاجر أمّ إسماعيل فى بحثها المتواصل المنهك عن الماء لولدها الرضيع- يصوّر حالة الخوف والرجاء التى تعترى الزائر فى الحجّ.

وليس هناك فى العالم فاصلة بين جبلين كهذه الفاصلة القصيرة بين الصفا والمروة، تثير فى النفس كلّ هذه الخواطر الروحانية والملكوتية.

فما الذى تريده من السعى بين الصفا والمروة؟ أتريد الذهابَ من جبل إلى جبل بحثاً عن الحبيب، أو طلبَ القرب على حال من نفاذ الصبر والاضطراب، أو تجسيد حالة الحيرة بعد الظفر بالقرب فى الطواف؟

الحاجّ- فى هذا المنسك- يظهر سعيه المتواصل والمكرّر للاستمرار فى طريق الوصال، ويبدى اضطرابه. وفى الهرولة- بشكل خاص- مدّ وجزر روحىّ، ويتّضح انعكاس هذا المدّ والجزر على كلّ أعضاء بدن الساعى؛ بما يعتريه من قلق ونفاد الصبر. كما أنّ الهرولة- من جهة أُخرى- تلقى عن كاهل الإنسان أثقال الكبر والأنانيّة وحبّ الذات. وقد جاء فى الرواية:

«ما للَّه- تعالى- من منسك أحبّ إلى اللَّه- تبارك وتعالى- من موضع المسعى؛ وذلك أنّهُ يذلّ فيه كلّ جبّار عنيد (۱).

۱- ۱ علل الشرائع.

ص: ۱۰۳

الهوامش:

مهمّات مشبوهة فی الدیار المقدّسة (۱)

ص: ۱۰۴

مهمّات مشبوهة فی الدیار المقدّسة (۱)

حسن السعید

بادئ ذی بدء، نجد أنّ من الضروری تحدید المقصود ب «الدیار المقدّسة»، التی نعنی بها هنا «الحرمین الشریفین»: [مکّة المکرمة والمدینة المنوّرة]، وذلک رفعاً لالتباس قد یحصل، إذ یزخر الوطن الإسلامی بالأماکن المقدّسة: القدس الشریف، النجف الأشرف، کربلاء، الکاظمین، خراسان، سامراء... الخ (۱) وتأتی خصوصیّة مدینتی مکّة والمدینة، من کونهما معقل الإسلام الحصین لقرون طویلة، وهما مهبط الوحی والتنزیل، ومحط أنظار المسلمین. وقد بقیتا فی ظل العصور الإسلامیة الزاهرة، عصیّتین علی أعداء الإسلام من الکافرین، إذ لم یکن بمستطاع القوی الغربیّة، أن تعرف تفاصیل کافیة، عن طبیعة سکان الجزیرة العربیة، وتضاریسها الجغرافیة. ومع تزاید قوّة اوروپا، فی القرون المتأخرة، وضعف العالم الإسلامی، انطلقت فی الغرب موجة من الاهتمام الظاهری الذی أخفی ذلک الاهتمام الحقیقی، الناتج عن اعتبارات سیاسیة واستراتیجیة (۲).

ولیس بوسعنا الاحاطة بأبعاد هذا الاهتمام وحقیقته، دون معرفة خلفیاته

۱– ۱ فی حدود علمنا، تُعد «موسوعة العتبات المقدّسة» التی أعدها وأشرف علیها المرحوم جعفر الخلیلی أفضل عمل فی هذا الباب.

۲– ۲ یُراجع مقال «من تاریخ رحلات الاستکشاف الغربیة إلی الجزیرة العربیة وأغراضها؛ رجال علی ظهر الرمال العربیّة لعبد الرحیم حسن، مجلة العالم لندن– ۲۷۶: ۵۰ ۲۷ آیار مایو ۱۹۸۹ م– ۲۲ شوال ۱۴۰۹ ه.

ص: ۱۰۵

التأریخیة، وظروفه السیاسیة، وفی سیاق معترک الصراع الحضاری المحتدم، منذ قرون، بین الإسلام والغرب.

أبرز محطّات الاحتکاک

وباختصار شدید، إن الغرب ما یزال، منذ ۱۴ قرناً، مفتوناً بالإسلام فی شکل ما. ذلک أن الإسلام ظلّ دائماً- من وجهة نظر غربیّة طبعاً- خصماً ومنافساً وعدواً للغرب الأکثر قرباً إلیه، علی مستوی العوالم الثقافیة الشمولیة، وعلی حدّ تعبیر المستشرق الفرنسی «مکسیم رودنسون» فإن الإسلام قدّم نفسه، منذ نشأته، علی أنه الخصم الأکبر لأوروبا المسیحیة، بعد أن انتزع منها السیطرة علی عدد کبیر من المناطق فی العالم (۱).

فی البدایة کان ردّ الفعل المسیحی للإسلام هو، ببساطة، نوع من التذمّر المکتوم، ولکن عندما دمّر الخلیفة الفاطمی «الحاکم بأمر اللّه» المزارات المسیحیة المقدّسة فی القدس، فإنّ هذا التذمّر تطوّر إلی صخب هادر (۲) لتتفاقم تداعیاته لاحقاً علی غیر صعید، فی ظل خوف أوروبی من غزو إسلامیّ قادم، ومن ثمّ لتلملم أوروبا شتاتها، وتقوم بالهجوم المضاد، حتی انتصارها المدوّی، یوم أجهزت علی العالم الإسلامی، خلال الحرب العالمیة الأولی، لتمزقّه أشلاء وکیانات هزیلة.

وبالإمکان إجمال أهم محطّات الاحتکاک المباشر بین الإسلام والغرب فیما یلی:

۱- مواقف الإسلام أمام الرومان منذ غزوات «تبوک»، و «الیرموک»... الخ.

۲- فتوحات المسلمین فی صقلیة والأندلس وجنوب فرنسا، قبل أن تستیقظ أوروبا من غفوتها إلی وعیها الثقافی الجدید.

۳- الاصطدام العنیف بین أوروبا المتحدة وبین الإسلام، تحت شعار

۱- ۱ للمزید من الاطلاع علی هذه النقطة، یُراجع کتاب «الإسلام والغرب؛ الوجه الآخر» لکاتب السطور، من اصدار مؤسسة التوحید للنشر، طهران، ۱۴۱۸ ه- ۱۹۹۷ م: ۱۴ وما بعدها.

۲- ۲ بربارا براون: «نظرة عن قرب فی المسیحیة» ترجمة مناف حسین الیاسری، نشر توحید، طهران، ۱۴۱۶ ه- ۱۹۹۵ م.: ۸۵.

ص: ١٠٦

«الحروب الصليبية».

۴- سقوط القسطنطينية فى يد الأتراك عام ۱۴۵۳ م، وبسقوطها فُتح باب أوروبا على مصراعيه للسيل الإسلامى (١).

ثمّة حدثان خطيران آخران، فى هذا الاتجاه، لعبا دوراً مهماً فى تحديد مسار الصراع، هما: سقوط الأندلس عام ۱۴۹۵ م، وبلوغ العثمانيين مشارف فينا مرتين، عامى ۱۵۲۹ م، ۱۶۸۳ م. ففى الوقت الذى استمدّ فيه الغرب من الحدث الأول زخماً هائلًا لمواصلة هجومه على الإسلام، فى بقعة أو بقاع أخرى.. كان الحدث الثانى، وما أثاره من خوف دفين، باعثاً قويّاً لابعاد الخطر المحدق.

ومن هنا نشأت المسألة الشرقية، حيث كان الأتراك- فى البداية- يشكلون تهديداً حقيقياً للنظام السياسى والاجتماعى فى أوروبا. أما فى المرحلة الثانية، من مراحل هذه المسألة، فلم يكن الأتراك يشكلون خطراً على أوروبا، بل كانت الدول المسيحية، فى أوروبا، تشكّل خطراً على الأتراك، ينذر بزوالهم من الوجود.

وينبغى لنا الآن- يقول أحد الباحثين- ألّا ننسى وألّا نقلّل من شأن هذه الحقيقة، وهى أن العامل الدينى كان من أهم عوامل المسألة الشرقية. فإن الأتراك لم يكونوا فقط غرباء عن أوروبا عرقياً ولغوياً واجتماعياً، وبلغة ه. أ.

ماريوت (Marriott) «مادة غريبة كليّاً مغروسة فى جسم أوروبا الحى» بل كانوا أولًا وآخراً مسلمين.. ولذا فإن المسألة الشرقية، كما عرّفها ادوارد دريو (Driault) هى «مشكلة القضاء على قوّة الإسلام السياسية» (٢).

ولكن كيف يتسنّى للغرب ذلك؟

جزيرة العرب: بؤرة الاهتمام

لسنا، هنا، بصدد الإجابة عن هذا التساؤل، غير أنّ ذلك لا يعفينا عن

١- ١ د. محمد إبراهيم الفيومى: «الاستشراق رسالة استعمار»، دار الفكر العربى، القاهرة ۱۹۹۳ م،: ۳۰ بشىء يسير جداً من التصرّف.

٢- ٢ زين نورالدين زين: «الصراع الدولى فى الشرق الأوسط وولادة دولتى سوريا ولبنان»، دار النهار للنشر، بيروت، ۱۹۷۱ م،: ۲۳.

ص: ۱۰۷

تسليط بعض الضوء، على بعض الإجابة، وبما يتماشى مع منهجيّة البحث، وبشكل موجز.

بعد أن افتتح الأتراك مدينة القسطنطينية سنة ۱۴۵۳ م، وُضعت خطط عديدة لتقسيم الامبراطورية العثمانية. وقد جمع ت. ج. جوآرا (Djuwara) الديبلوماسى الرومانى، لا أقل من اثنتين وتسعين خطة من هذه الخطط. ومن بينها خطط وضعها بابوات مشهورون، مثل البابا ليون العاشر، وكليمنت الثامن، وأخرى وضعها ملوك وأباطرة أمثال: مكسيميليان الأول، ونابليون الأول، وديبلوماسيون ورجال سياسة أمثال البرونى (Alberoni) وتاليران (Talleyrand)، كما أن رجالًا من أصحاب الخيال الشارد، ومن المثاليين أمثال ليبنتس (Leibnitz) وراهب سان بيير.. اشتركوا أيضاً فى وضع مثل هذه الخطط لاقتسام الدولة العثمانية (۱).

وحينما كتب «وليم بلغريف» فى مشاهداته الشخصيّة عن «رحلة عام فى وسط وشرق الجزيرة العربية» عام ۱۸۷۳ م: «لقد حان الوقت لأن نملأ هذا الفراغ الموجود فى خارطة آسيا، وهذا الذى سنحاوله رغم كل خطر، فامّا أن تصبح الأرض الممتدة أمامنا قبراً لنا، أو أننا سنعبر أوسع امتداداتها عرضاً» فإنه كان يلخّص حلم الرحالة الذين سبقوه، وأغراض أولئك الذين سيأتون بعده.

قد تكون ملاحظة «بلغريف» مقطعاً عرضياً، فى تأريخ واهتمام واسعين، يتجاوزان الجزيرة ورمالها إلى حلم الشرق، وهو يدخل المخيلة الغربية، بعد أن عاد لها الصليبيون بحس عالم مختلف. ويرتبط ذلك الحلم بروح عصر النهضة الذى أخذ يدبّ فى أوروبا، ويفتح عيونها على البحار البعيدة والقريبة، والشعوب التى تقطنها. واكتسب الشرق صورة خاصة، فى تشكيلات الحلم الغربى، وتلوّن بمختلف حالات أوروبا الفكرية وأوضاعها السياسية والعسكرية (۲).

وما أن انتهى القرن التاسع عشر الميلادى، حتى كان معظم العالم الإسلامى

۱- ۱ المرجع السابق.

۲- ۲ لعل أوسع تاريخ للحلم الغربى عن الشرق ذاك الذى كتبه «ادوارد سعيد» فى كتابه «الاستشراق»، إلّاأنه قصر الجهود المتقدّمة على النصف الثانى من القرن الماضى على الطابع العلمى الأكاديمى وحده. مجلة العالم؛ المرجع السابق.

ص: ۱۰۸

قد استحوذت علیه الدول الأوروبیة، أو خلقت فیه مناطق نفوذ سیاسیة أو اقتصادیة. ففی الخلیج الفارسی کانت بریطانیا تتسلل تدریجیاً، منذ فترة مبکرة، خاصة بعد انتصار الاسطول البریطانی علی الاسطول الأسبانی، فی معرکة «الارمادا» عام ۱۵۸۸ م، وتأسیس شرکة الهند الشرقیة عام ۱۶۰۰ م، حیث أخذت الشرکة تستولی علی إمارات الساحل العربی فی الخلیج الفارسی، وتطوّر علاقاتها مع کل من ایران والعراق.

ومن المعلوم أن معظم الشمال الأفریقی قد سقط بید الاحتلال الفرنسی، ابتداءً من عام ۱۸۳۰، واحتلت روسیا القیصریة المناطق الإسلامیة فی آسیا، ولم یبق بید الدولة العثمانیة إلّاالأناضول والعراق والشام والجزیرة العربیة. أما مصر فقد خرجت من السلطة الحقیقیة للدولة العثمانیة، منذ عام ۱۷۹۸ م، حین غزاها نابلیون بونابرت. ولکنّها بقیت علی شبه ولاء، حتی جاء عام ۱۸۸۲ م، لتصبح ضمن ممتلکات الاستعمار البریطانی.

وکانت الخطة الأوروبیة للاستیلاء علی العالم الإسلامی، تتمثّل بالاحتلال العسکری التدریجی، أو التعامل الاقتصادی، أو التسلل من خلال التبشیر، أو الرحالة الجغرافیین، أو إیجاد العملاء المحلیین، حیثما کان ذلک ممکناً. وبدون ذلک ما کان یسهل لأوروبا أن تدخل فی صراع مباشر، مع العالم الإسلامی الواسع الأرجاء، والذی یملک حصانة دینیة متینة، تعضدها روح جهادیة تخیف أوروبا وتقلقها.

من أجل ذلک، کانت المنطقة العربیّة من أکثر المناطق الإسلامیة اهتماماً من لدن الأوروبیین، نظراً للموقع الاستراتیجی والتأریخی، وکانت الجزیرة العربیة بؤرة هذا الاهتمام الذی سیعجّل من رجحان کفّة الأوروبیین، وتمزیق العلاقات العربیة- العثمانیة (۱).

وبدیهی أن تحتل مکة المکرمة والمدینة المنورة موقع الصدارة فی قائمة

۱- ۱ د. شلتاغ عبود شرّاد: «غیاب الوعی فی موقف الشعراء العرب من ثورة الحجاز ۱۹۱۶: البطولة الفردیة وحلم الوحدة»، مجلة العالم لندن- ۳۴۳: ۵۰ ۸ أیلول/ سبتمبر ۱۹۹۰ م- ۱۷ صفر ۱۴۱۱ ه.

ص: ۱۰۹

أولويات الاهتمام الغربى بالجزيرة العربيـة. فقـد كان لظهور الإسـلام- الـذى تفجّرت ينابيعه من بطاح مكّة ووهادها القاحلة، وللمعجزة الخالدة التى حقّقها (النبىّ) محمد صـلى الله عليه و آله والمهتدون بهديه، فى نشـر الإسلام، بمثل تلك السرعة الخاطفة، فى الخافقين- صـدًى مـا زال يرنّ فى الغرب، ويـدوّى فى أرجـائه. فراح علمـاؤه ومستشـرقوه يبحثون فى كـل ماله علاقه بهـذه الـدعوة، التى اهتـدى المسـلمون بهـديها، واسـتضاءُوا بنورها، فأخذ العالم يدرس أحوال مكّة التى انبثق منها ذلك النور، ويمحّص المؤرخون جميع ما يمتّ إليها بصـلة. وقـد بلغ من اهتمام الغربيين بمكّة أن دخل اسـمها فى لغتهم، وأصـبح كلمة خاصة تدرج فى القواميس، لتدل على الجهة التى يتوجّه إليها الناس، أو يقصدونها بصفة دائمة.

لم يكتفوا بذلك فقط، وإنّما شدّ لها الرحالون الغربيون رحالهم أيضاً، وقصدها السيّاح والمسافرون منهم، فجازفوا بأنفسهم وأرواحهم؛ ليـدخلوا فيهـا ويحجّوا إليها متنكّرين. وقـد حالف التوفيق عـدداً منهم، وفشل كثيرون غير هؤلاء، فتكونت ممّا كتبوه ودونوه، عن تلك الـدراسات والمجازفات، ثروة علمية يصـعب على الباحث أن يحيط بها كلّها، ولا سيّما أن ما كتب لم يكن فى لغة واحدة، من اللغات الغربيّة الحيّة، وإنّما كتب بلغات عدّة أخصّها؛ الانكليزية، والألمانية، والفرنسيّة.

ولاـ يخفى أن الـدوافع التى تـدفع الغربيين إلى الاهتمـام بمكّـة، ومـا يتصـل بها من شؤون، أو الكتابـة عنها، هى دوافع معروفـة أهمها: الأغراض التبشيرية، أو البحث العلمى، أو المجازفة والتطويح، أو التجسس والأغراض السياسية فى الغالب (۱).

المغامرون يتقاطرون على الشرق

صحيح أن جزيرة العرب ورد ذكرها فى بعض المصادر الغربية، ومنذ وقت

۱- ۱ جعفر الخليلى: «موسوعة العتبات المقدّسة» [قسم مكّة]- ۲: ۱۸۰ مؤسسة الأعلمى، ط ۲، بيروت، ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م.

ص: ۱۱۰

بعید، إذ ذکرها فی کتبه مؤرخ القرن الخامس قبل المیلاد، هیرودوتس، وکذلک تحدّث ثیوفرست تلمیذ أرسطو حدیثاً شیّقاً عن طیوب بلاد العرب الشهیرة فی کتابه «تاریخ النبات»، والجغرافی الیونانی سترابون (حوالی مستهل القرن الأول المیلادی)، والمؤرخ الرومانی بلینی فی القرن الثانی للمیلاد، الذی وضع لوائح بأسماء القبائل والمدن والقری الموجودة فی وسط شبه جزیرة العرب.

ولکن کل ما کتبه هؤلاء الکتاب لم یکن کافیاً لإماطة اللثام عن حقیقة شبه جزیرة العرب، وإن کان کافیاً لإثارة همّة الدول لاکتشاف ما خفی منها (۱).

وفی خضم دوّامة الاحتکاکات بین الإسلام والغرب، غاب الکثیر من الحقائق، وانطمس وراء ستار الدخان الکثیف، حتی آلت الأمور إلی أن کل ما کان یعرفه الأوروبیون، عن جزیرة العرب، هو أن الرسول الکریم ولد بها، وفیها المدینتان المقدّستان عند المسلمین؛ مکة المکرمة والمدینة. وکان یسود بینهم اعتقاد خاطئ، بأن جثمان النبی الکریم معلّق فی الهواء!! (۲) ولیس هذا الاعتقاد الخاطئ هو الیتیم فی تصورات الغربیین عن الإسلام، فهناک رکام من الأوهام قد یصل حدّ الخرافات والأساطیر، وهو ما اعترف به الکاتب «بیتر برینت»، حینما یقول: «لقد وصلت إلینا- نحن الأوروبیین- خرافات وأساطیر تصف أعداءَنا، وهم یجوبون جیئة وایاباً أوروبا، ووصلت إلینا معلومات عن المشرق الإسلامی، تتّسم بطابع الإشاعات والخوف والحسد، بدلًا من البحث والاستقصاء والتبصّر بالأمور. فقد أصبحت بلاد العرب، ولا سیّما مکّة مجرد مناطق خرافیة یکمن فیها الخطر، وهی أصل وقلب ذلک الدین الذی یهدّد کیان المسیحیة بأسرها. فشوارعها وأرضها محظورة علی الغرباء الکفّار. والسیف یحمی حماها، والتعصّب الأعمی یسیطر علی المدافعین عنها. وهکذا تراجعت حقیقتها عن الأوروبیین الذین لم یمارسوا أی تفکیر سویّ تجاهها، بل بالعکس أصبح الرحالة الأوروبیون یخترعون حالة من الظلام، وسحابة کثیفة مفعمة،

۱- ۱ د. محمود السمرة: «مراجعات حول: العروبة والإسلام واوروبا»، سلسلة کتاب العربی ۴- الکویت، ۱۹۸۴ م،: ۱۱۸.

۲- ۲ المرجع السابق: ۱۱۷.

ص: ۱۱۱

ومحفوفة بالأخطار بأن تلك المنطقة هی منطقة غير منظمة، ولا يجوز الاقتراب منها، إلّافی حالة خطر الموت المحدق. فهنالك يكمن فيما وراء حدود سورية، وخلف جبال اليمن، وفی الداخل خلف البحر الأحمر، أساطير خرافيّة وتهديد، وبؤرة ملايين الصلوات، ومولد أعداء المسيحية (هكذا) وموطن ذلك اللغز المحيّر المخيف» (۱).

ويواصل «برينت» حديثه قائلًا: «وهكذا أصبحت شبه الجزيرة العربية بلاداً أسطورية، فلقد أطلقت الاشاعات والتخمينات عليها هذا الاسم، فضلًا عمّا كتبه بعض الرحالة الموسوسين شديدی التدقيق والاهتمام بالتوافه الذين أتوا للاستكشاف.

وبسب عدم قدرة الأوروبيين علی اختراقها، أصبحت المنطقة الإسلامية سرّاً من الأسرار.. وهكذا ظلت بلاد العرب محتفظة بذلك السحر والإثارة بالنسبة للأوروبيين، خلال قرون وقرون. فماذا كان هناك يا تری؟ ما هو قدس الأقداس الذی يستقطب صلوات الملايين، من غرناطة حتی دلهی، ومن سراييفو حتی تمبكتو يا تری؟

وهكذا فالتحدی الضمنی الموجود، فی مثل هذه الأوضاع، أصبح فی النهاية أمراً لا يُقاوم، وكما سنری لم يكن من الممكن مقاومته. وهكذا بدأ المغامرون الدهاة الواسعو الحيلة والتواقون لكشف سرّ وجود مكة والمدينة، هاتين المدينتين المغلفتين بالأسرار والمحروستين بالتعصّب (..!!)، بدأ هؤلاء المغامرون يتقاطرون بشوق للتعرّف علی تينك المدينتين، وعلی شبه جزيرة العرب بأجمعها، مع وجود فوارق كبيرة فی دوافعهم، تراوحت بين الشدّة والضعف» (۲).

مهمّات ومحاولات مشبوهة

ولأسباب كثيرة، دونها حسّاسية الموقف المفرطة، أُحيطت تحركات

۱- ۱ بيتر برينت: «بلاد العرب القاصية: رحلات المستشرقين إلی بلاد العرب»: ۳۲. ترجمة خالد أسعد عيسی وأحمد غسّان سبانو، منشورات دار قتيبة، بيروت، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۰ م.

۲- ۲ المرجع نفسه: ۳۴- ۳۵.

ص: ۱۱۲

الغربيين، حول مكة المكرمة والمدينة المنورة، بالحيطة الشديدة، ولذا اتّسمت- فى الأعم الأغلب- بالسرية التامة.

غير أن هناك تحركاً علنيّاً، هو الأول من نوعه، انفرد بروايته الكولونيل البريطانى «جيرالد ديغورى»، إذ يتحدّث عن إقدام الصليبيين على مهاجمة الإسلام فى عقر داره، بقطع طريق الحج إلى مكّة، ومحاولة الاستيلاء على المدينتين المقدّستين، فى حوالى سنة ۱۱۸۲- ۱۱۸۳ م، على عهد الشريف قتادة، وفى أيّام الخليفة المقتدر فى بغداد.

فهو يقول: إن فارساً من فرسان الصليبيين الفرنسيين يدعى «رينودى شاتيون» Chatillon de Reynaud كان قد استولى على بلاد شرقى الأردن وقلاع مؤاب والشوبك، شرقى البحر الميّت، فأصبح مسيطراً من هناك على طريق الحج إلى مكّة المكرمة، فصارت تراود مخيلته خطة جريئة، يهاجم فيها الإسلام فى عقر داره، ويحقّق آمال الصليبية. وفى السنة التالية خالف شروط الهدنة المعقودة مع المسلمين، وتوغل فى جزيرة العرب حتى وصل إلى تيماء، فقطع طريق الحج، واستولى على عدد من القوافل الغنيّة، غير أنه تخلّى عن فكرته فى مهاجمة المدينة بطريق البر، للاستيلاء على ما كان يؤمل وجوده من أموال ونفائس، فى قبر النبى صلى الله عليه و آله، وقرر أن يفعل ذلك عن طريق البحر..

وبعد قيامه بأفعال شنيعة، من إحراق السفن التجارية، وإغراق سفينة كبيرة كانت تقل عدداً كبيراً من الحجاج إلى جدة.. قرّر صلاح الدين الأيوبى- يتابع ديغورى- أن يضع حدّاً إلى الأبد لهذا الخطر الذى صار يهدّد مكّة وغيرها، من المدن المقدّسة، فأمر بالاستيلاء على قصر رينو وقلعته، وبدأ حصاره بقيادته هو نفسه، فى خريف عام ۱۱۸۳ م، وفلت رينو من الحصار، على أنه لم يبق طويلًا على قيد الحياة، بعد حملته الفاشلة فى البحر الأحمر، على كل حال، لأن صلاح الدين دحر الصليبيين سنة ۱۱۸۷ م، فى موقعة حطين بالقرب من الجليل، فسقطت فى

ص: ۱۱۳

یده مملکة القدس الصلیبیة، وقد أسر أمراء المسیحیین وفرسانهم، وقُتل رینو «عفریت الغرب» وخصم صلاح الدین شر قتلة، فی حضور صلاح الدین بالذات، وفی روایة أنه قتله بیده (۱).

وبإخفاق هـذه المحاولـة الیائسـة، تراجعت- إلی حـدٍّ کبیر- الرؤیة الموضوعیة، لصالح التدلیس والتحریف لحقائق التأریخ، والحط من قیمـة الإسـلام والمسـلمین، واعتبـار أن المسـلمین لیسوا أصـحاب حکمـة ودرایـة بـالحرب وفنونهـا، وأنّهم جبنـاء.. وکفّار، وملاحـدة، ووحوش، وقطّاع طرق.. (۲) لیـأتی لاحقاً أدب الرحلات الاستشـراقی، لیضـفی علی هـذه الأحکام طابعاً نمطیّاً، حتی بـدت المعلومات المقلوبة والشوهاء وکأنّها محایدة وموضوعیة وواقعیة!

یقولالبروفیسور «ادوارد سـعید»: «لم یصـبح الإسـلام رمزاً للرعب، والدمار، والشیطانی، وأفواج من البرابرة الممقوتین، بصورة اعتباطیة. فبالنسـبة لأوروبا کان الإسـلام رجّـة مأساویة دائمة».. ویدعونا «ادوارد سـعید» إلی أن نتأمّل کیف أصـبح الشـرق، منذ القدم، وبخاصـة الشـرق الأدنی، معروفاً فی الغرب بوصفه نقیض الغرب المتمم له .. فیقول: کان ثمّة الکتاب المقدّس وبزوغ المسیحیة وانتشارها. وکان ثمّـة رحـالون مثـل مارکو بولو الـذی رسم خطوط التجارة، وخلق نسـقاً لنظام مقنّن للتبادل التجاری، ومثل لودقیکو قارتیما وبیترو دیلا فالی من بعـده، وکان ثمّـة مؤلّفون للحکایات الخرافیـة مثل مانـدقیل، وکان ثمّـة حرکات الفتوح الشـرقیة المهیبة بالطبع، وفی مقدّمتها الإسـلام، وکان ثمّة الحجاج المقاتلون کالصـلیبیین بشـکل رئیسی. وقد نشأ منمادة الأدب، الذی ینتمی إلیهذه التجارب کلّها، سجلٌ حفظٍ ذو بنیـة داخلیـة متماسـکة. ومن هـذا کلّه ینبع عـدد محـدود من الکسولات النمطیـة: الرحلـة، التأریخ، الخرافة، النموذج المنمّط، والمواجهات التماحکیة. وتلک هی العدسات التی من خلالها یُجرَّب الشـرق ویُعایَن، وهی تصوغ لغة الصدام بین الشرق والغرب، کما تصوغ تصوّره وشکله» (۳).

۱- ۱ ۳۸ ۹۷: De Gaury ,Gerald :Rulerz of Mecca ,London ,۱۵۹۱ .P نقلًا عن موسوعة العتبات المقدّسة ۲: ۲۲۰.

۲- ۲ د. رفعت سید أحمد: «آیات شیطانیة: جدلیّة الصراع بین الإسلام والغرب»: ۵۴. الدار الشرقیة، ط ۲، ۱۴۰۹ ه- ۱۹۸۹ م.

۳- ۳ ادوارد سـعید: «الاستشراق؛ المعرفة، السلطة، الانشاء»: ۸۸. ترجمة کمال أبو دیب، مؤسـسة الأبحاث العربیة، ط ۲، بیروت، ۱۹۸۴ م.

ص: ۱۱۴

ولا ريب، أن الرحالة والمغامرين والمستشرقين الذين قاموا بمهمّات سريّة أو مشبوهة، فی عمق المشرق الإسلامی، والحجاز تحديداً، كانوا بمثابة طلائع الاستعمار وأدلّائه (۱).

قارتيما: أوّل المتظاهرين بالإسلام

ويستفاد ممّا جاء، فی عدد غير يسير من المراجع الغربية، أن مكّة المكرمة تطرّق إلی ذكرها المؤرخون الغربيون، منذ القدم، كما أشرنا، وأن عدداً من رحالی الغرب ومستشرقيه قد تسنّی لهم الدخول إليها، والاشتراك فی مناسك الحج، فی مختلف الأدوار السابقة واللاحقة، بعد أن أعلنوا إسلامهم الحقيقی أو غير الحقيقی.

وقد تهيّأ لعدد من هؤلاء أن يكتب عن مجازفاته ومغامراته (۲).

وسنكتفی بالإشارة إلی المشهورين من هؤلاء، أمّا المغمورون وأولئك الذين بقيت مهمّاتهم طی الكتمان فهم أكثر بكثير من المعلنين والمعروفين لدينا فی الأقل (۳).

وأول أوروپی زار مكّة والمدينة، فی العصور المتأخرة وكتب عن رحلته، فوصلت كتابته إلينا سالمة واضحة رجل ايطالی مغامر يدعی «لودفيكو قارتيما» (۴) «Ludovico de Varthema» وإن كان من الصعب أن نتأكد؛ إذا كان قارتيما هو حقيقة أول شخص أوروپی يغامر باختراق الصحراء العربية، فقد ادّعی أكثر من واحد، أنّهم دخلوا مكّة قبل قارتيما، مثل جون كابوت «John Cabot» الذی ادّعی أنه قد وصل مكّة فی الثمانينيات من عام ۱۴۸۰ م، بيد أنه وأمثاله لم يكتبوا شيئاً، ولم يتركوا أی شاهد علی رحلاتهم.

ولذلك يبقی لدينا أن «قارتيما» كان أول شخص يخترق صخب الخرافات والفزع، الذی كان يغلّف أواسط وقلب بلاد الإسلام ويخفيه عن عيون الأوروبيين. وأن كان ما نعرف عنه- يقول برينت- هو هذه المغامرة التی قام بها

۱- ۱ يُراجع المقال الذی يحمل عنوان «خبراء الاستشراق: طلائع الاستعمار وأدلّاؤه»: ۸۲- ۱۰۷. لكاتب السطور فی مجلة التوحيد، العدد ۸۷ السنة الخامسة عشرة، ذو القعدة ۱۴۱۷ ه- آذار ۱۹۹۷ م.

۲- ۲ موسوعة العتبات المقدّسة ۲: ۲۵۰.

۳- ۳ ما تجدر الإشارة إليه، أنه قد طبع فی فرنسا، فی الفترة الممتدة من [۱۶۶۵- ۱۷۴۵ م] ما يزيد عن مئة وخمسين رحلة، منها علی الأقل مئة رحلة جديدة، قسم كبير منها إلی المشرق، تُراجع قائمة بأهم كتب الرحلات إلی المشرق من القرن السادس عشر حتی القرن الثامن عشر، أدرجها د. جبور الدويهی فی ذيل مقاله «الرحلة وكتب الرحلات الأوروپية إلی المشرق حتی نهاية القرن الثامن عشر» المنشور فی مجلة الفكر العربی- ۳۲: ۵۸ نيسان/ أبريل- حزيران/ يونيو ۱۹۸۳ م.

۴- ۴ موسوعة العتبات المقدّسة ۲: ۲۵۱.

ص: ۱۱۵

بمرح وسعادة ودهاء (۱).

وما زال المؤرخون مختلفين فى أصل قارتيما حتى الآن: فبعضهم يقول: إنه بولونى، وآخرون يقولون: إنه رومانى. وحتى الذين يؤكّدون أنه ايطالى لا يعرفون، تماماً، من أية مدينة ايطالية أتى هذا الرجل. وما يزيد القضية غموضاً أن «قارتيما» نفسه يدّعى أنه من أهالى بولونيا الأيطالية، فى مقدمة كتابه «Itinerario»، ثم يعود ويشير نفسه بأنه رومانى، فيما تطلق عليه بعض المراجع الغربية لقب «نبيل روما» (۲).

وليس المهم عندنا أصله، بل رحلته التى تعاقبت طباعتها وترجمتها، خلال ثلاثين عاماً دون انقطاع (۳) وهو يدّعى أنه طبيب، ومع ذلك فهو يذكر، بقليل من الأسى والأسف، أنه قد ترك وراءه زوجة وأطفالًا، يمرّ على ذكرهم مرّ الكرام.

ثمّ يخبرنا بشىء من التواضع أن ليس لديه شىء من المواهب، ولكنّه لا يخلو من النزر اليسير، ومع ذلك فإن طبيعة ملاحظاته تدل على قدر كبير من الدهاء.

وهو يستعمل مهارته كجندى، ولربما تعلم الفنون، وهو فى خدمة بعض الشخصيات فى ايطاليا.

ولمّا كانت طرق التجارة، إلى الشرق وإلى شمال أفريقيا، تجتذب المغامرين يومذاك، فإنه عقد العزم على خوض هذه المغامرة، مهما كان الثمن، وصرّح بأنه ينوى القيام برحلة، تعتبر من أشق وأصعب أنواع الرحلات التى نسجها خياله، وطغت على أفكاره. فهذا الرجل كان ينوى أن يكون أول مسيحى يتّجه إلى مكّة المسلمة. وعندما غادر ايطاليا لم تكن تلك الفكرة قد استحوذت عليه، بل يبدو أنه بدأ بالتفكير بتلك المغامرة، عندما رأى الفرصة مناسبة لتحقيقها. والأمر الأكيد هو أن «قارتيما» كانت تنتابه بعض الهواجس، وكان يتوق إلى القيام بشىء جديد، كما يتوق الظمآن للماء العذب! (۴) وهكذا أبحر «قارتيما» من البندقية فى عام ۱۵۰۳ م، ووصل الاسكندرية،

۱- ۱ بلاد العرب القاصية؛ م. س: ۵۷.

۲- ۲ للمزيد يُراجع؛ موسوعة العتبات المقدّسة ۲: ۲۵۱ وما بعدها، وبلاد العرب القاصية: ۵۶ وما بعدها، مراجعات حول العروبة والإسلام واوروبا: ۱۱۸ وما بعدها.

۳- ۳ مراجعات حول؛ العروبة والإسلام واوروبا؛ م. س:

۴- ۴ بلاد العرب القاصية: ۵۶- ۵۷.

ص: ۱۱۶

وبعـد أن زار حصن بابليون فی مصـر، على ما يقول، توجّه لزيارة طرابلس وانطاكيـة وبيروت ودمشق. وهناك ارتبط بصداقة مع ضابط من ضباط المماليك، فقرر الذهاب إلى مكّة معه، فی ضمن موكب الحج السنوی الذی يخرج من دمشق، بكثير من المراسيم والتقاليد (۱).

وعلى مـا يبـدو أن الخطوات التی أقـدم عليهـا «قارتيمـا» كانت محسوبـة بدقّـة، ولم تكن محض صدفـة. وما يـدلل على ذلك ما ذكره الكـاتب البريطانی «بيتر برينت»، فقـد سارع، منـذ أول وصوله دمشق، إلى تعلم اللغـة العربيـة، واسـتعدّ لاستئناف الرحلـة جنوباً، ثمّ أمّن لنفسه مكاناً فی القافلـة الذاهبـة إلى مكّة، بعد أن عمل على عقد عُرى الصداقة مع أحد زعماء المماليك، بما بذل من الهدايا والتودد. وهكـذا عينوه حارساً من حرّاس القافلـة. ولم ينزعـج عنـدما طلب منه اعتناق الـدين الإسـلامی. فقد كان ابن النهضة الايطالية البار، فی ذلك الزمن الـذی تألّق فيه الترف والـذكاء، وعنـدما أصـبحت المسـيحية تحت رعاية آل مديشـی وغيرهم من الأمراء المسـتنيرين. فلم يكن ليتعثر عند اعتناق دين غريب، وعندما طلب منه اختيار اسم اختار اسم جونه (۲).

الطريق الى مكّة

وفی الثامن من نيسان (أبريل) ۱۵۰۳ م تحرّك قارتيما إلى مكّة بزی جندی من جنود المماليك، ضمن قافلة الحجاج التی تضم حوالی أربعين ألفاً من الحجاج.

انطلقت القافلـة فی الصـباح البـاكر تكتنفهم أصوات الجمـال وصـرخات سـائقی الأبـل والغبار المنطلق؛ ليملأ جو ذلك النهار الربيعی. وكان «قارتيما» يراقب كل شـیء، وبرفقته ستون حارساً مثله، وهو ممتط صهوة حصانه، وكانت القافلة تسير بشكل متعرّج ملتو، وبدأت تلك الحركات المعقدة فی جانبه وخلفه، والتی أكدت له أخيراً أن مغامرته الحقيقية قد بدأت وأصبحت فی حيّز الوجود والتنفيذ (۳).

۱- ۱ موسوعة العتبات المقدّسة؛ م. س ۱- ۲: ۲۵۲.

۲- ۲ بلاد العرب القاصية: ۵۸.

۳- ۳ المرجع نفسه.

ص: ۱۱۷

ویظهر من الرحلة التی دوّنها «قارتیما» أنه رجل أفّاق، متحامل علی النبی صلی الله علیه و آله والإسلام، بعید عن الثقافة والاتزان. ادّعی أنّه اتصل بکثیر من المسلمات فی رحلاته، ودوّن ملاحظات فیها الکثیر من الخلط والخرافات (۱) والمبالغة. فهو یذکر مثلًا: أن القافلة بلغت وادی سدوم وعمورة، بعد مسیرة اثنین وعشرین یوماً!! ومن الواضح أنّ ذلک لیس صحیحاً؛ لأن هاتین المدینتین تقعان علی شاطئ البحر المیّت.. وأغلب الظن، إذا أخذنا بعین الاعتبار أیام السیر المذکورة، أن المدینتین الواقعتین فی ثلاثة أخماس المسافة ما بین دمشق والمدینة، لا یمکن أن تکونا سوی مدائن صالح والعلا، وقد مرّ بهما «قارتیما» متوهّماً أنهما سدوم وعمورة... (۲) وإضافة إلی أسلوب المبالغة الذی طفح علی العدید من الأحداث التی رواها، مع حرص واضح علی تشویه سمعة المسلمین والإساءة إلیها، فإنه عمد فی مواطن عدیدة إلی ذکر أحداث یکاد ینفرد بها دون سواه، ومن ذلک ما یرویه فی رحلته، إذ یذهب إلی أنه وصل مع القافلة إلی جبل بالقرب من المدینة (المنورة) یسکنه قوم من الیهود، یبلغ عددهم خمسة آلاف نسمة، وهؤلاء قصار القامة لا یزید الواحد منهم علی الخمسة أو الستة أشبار، أو أقل من ذلک بکثیر، ولهؤلاء أصوات رقیقة کأصوات النساء، وبشرة تمیل إلی السواد، وهم یعیشون علی لحم الماعز، وإذا وقع المسلم بأیدیهم یسلخون جلده وهو حی!

وحینما وصل إلی المدینة التی یسمیها «مدینة النبی» بقی فیها ثلاثة أیّام، وهو یدّعی أنه دخل الحرم الشریف، الذی یسمیه المعبد، ویصفه وصفاً موجزاً، فیقول: إنه مسجد مقبب یدخل إلیه من بابین کبیرین، ویحمل سقفه حوالی أربعة مئة عمود من الآجر الأبیض!!، وفیه عدد کبیر من المصابیح المعلّقة- الثریّات- یناهز الثلاثة آلاف!! ویشیر إلی وجود عدد من الکتب الدینیة، فی جهة من جهات المسجد التی تحتوی علی تعالیم الدیانة الإسلامیة وحیاة النبی وأصحابه، ثمّ یذکر

۱- ۱ موسوعة العتبات المقدّسة [قسم المدینة]- ۳: ۲۳۹.

۲- ۲ مراجعات حول؛ العروبة والإسلام وأوروپا: ۱۱۸.

ص: ۱۱۸

شیئاً عن القبر المطهر، ویقول: إنه توجد بقربه قبور أبی بکر وعثمان (کذا) وفاطمة (۱).

وینتهز «قارتیما» الفرصة لإیراد بعض القصص المسیحیة، وتسنح له الفرصة لتصحیح الاعتقاد الشائع فی اوروپا من أن جثمان النبی صلی الله علیه و آله معلّق فی الفضاء فی البیت الحرام بمکّة، فیقول: «أمّا بخصوص هذه الأخبار فأنا أخالفها تماماً، وأؤکّد أن هذا لیس صحیحاً، ولیس به أی مظهر من مظاهر الصدق والحقیقة».

ولکنّه سرعان ما یعود إلی تحامله، حین یبدی تبرّمه من المناظر القذرة، والحلی التافهة الکاذبة التی تُعرض فی الأسواق، ومن الغش والریاء والنفاق فی دین محمد صلی الله علیه و آله!! (۲) الحجّ: مناسک.. وانطباعات

یبدأ «قارتیما» بوصف مکّة. إذ یذکر فی الفصل الذی یتطرّق فیه إلی تشییدها وانشائها أنها مدینة جمیلة تکتظ بالسکان؛ لأنّها تحتوی علی ستة آلاف أسرة.

ودورها حسنة للغایة، مثل دور الایطالیین، علی حد تعبیره، وهناک بعض الدور تقدر قیمة الواحدة منها بثلاثة أو أربعة آلاف دوکات.

ویذکر کذلک أن مکّة لم تکن مسوّرة؛ لأن أسوارها هی الجبال الطبیعیة التی تحیط بها، ولها أربعة مداخل.

وحینما وصل الحج الشامی کان الموکب المصری قد وصل إلی مکّة، ولذلک یذکر «قارتیما» بالمناسبة أن هذا الموکب کان فیه حوالی أربعة وستین ألف جمل، وله مئة مملوک للحراسة. ویقول بطریقته التهکّمیة، التی تدلّ علی تعصّبه ضد الإسلام: إن اللّه سبحانه وتعالی أنزل لعنته علی هذه المدینة، فجعلها جرداء قاحلة لا تنتج أی شیء من العشب والأشجار، ولا أی شیء آخر، وإنّما کانت تستورد معظم أطعمتها وحاجیاتها من القاهرة عن طریق البحر الأحمر. وقد اندهش «قارتیما» من کثرة الحجاج الهائلة وتعدد جنسیاتهم وقومیاتهم، بحیث یقول: إنه لم یجد

۱- ۱ موسوعة العتبات المقدّسة- ۳: ۲۳۹.

۲- ۲ بلاد العرب القاصیة: ۶۰.

ص: ١١٩

مطلقاً، من قبل، مثل هذا العدد من الناس يجتمع فی بقعة واحدة من الأرض (١).

ويمضی «قارتيما» فی نقل انطباعاته ومشاهداته، فيذكر فی الفصل المخصص للحج والغفران من رحلته أن مركز مكّة يوجد فيه معبد جميل جدّاً، على حدّ تعبيره، يشبه الكولوسيوم الموجود فی روما، لكنّه مبنی من اللبن المشوی، وللمسجد الحرام، أو المعبد كما يسميه مئة باب ذات طوق، ثمّ يشير إلى وجود الكعبة فی الوسط، دون أن يذكر اسمها، ويقول: إن المغفرة من اللّه تطلب عند الطواف حولها، وللكعبة- التی يسميها «برجاً»- باب فضة لا تزيد فی علوّها على قامة واحدة (٢).

ورغم أنه حرص على وصف الشعائر التی تمارس فی مكّة، وغير ذلك ممّا وقعت عليه عيناه، أو تناهی إلى سمعه، غير أنه لم يذكر شيئاً عن الحجر الأسود، مع أنه قد وصف ذلك (البرج) فی وسط المسجد الحرام، وهو الكعبة، وأخبرنا عن ذلك الحشد الذی وُجد فی ٢٢ مايس (أيار) عام ١٥٠٣ م (وهو موعد عيد الأضحی) وقال: إن الاحتفال يبدأ فی الصباح قبل الفجر، وكان الناس يطوفون سبع مرّات حول البرج ويقبلون زواياه، وغالباً ما كانوا يتحسسون زواياه ويلمسونها.

إن الحجر الأسود موضوع فی إحدى زوايا الكعبة. وهنا يتساءل المرء عمّا إذا كان «قارتيما» قد دخل البيت الحرام حقيقة، أو أن أساس ما قاله كان يرتكز على ما قيل له، إذ إنه كان يراقب الحجاج من مكان بعيد، ربما بصفته حارساً يقف على الجدران فی أعالی ذلك البيت المقدّس (٣).

ثمّ يصف بئر زمزم ويقول: إن لها قبّة جميلة، وإن عمقها يبلغ سبعين قامة، وإن ستة أو سبعة رجال يقفون عادة حول البئر؛ ليستقوا الماء للناس منها. وهؤلاء يريقون ثلاثة أسطل من ماء زمزم فوق كل حاج من الحجاج، فيتبلل به من قمّة الرأس إلى أخمص القدم، ولو كان لباسه من حرير (۴).

١- ١ موسوعة العتبات المقدّسة- ٢: ٢٥٣.

٢- ٢ المرجع نفسه.

٣- ٣ بلاد العرب القاصية: ۶٢.

۴- ۴ موسوعة العتبات المقدّسة- ٢: ٢٥٣.

ص: ۱۲۰

بعـد ذلـک، یخبرنـا عن الأمـاکن التی تُراق بهـا دمـاء الأضاحی من الحیوانات، کما یقول، فی «منی» خارج مکّـهٔ.. «لقـد رأیت هناک حشـداً من الفقراء، یزیـد علی عشـرین ألفـاً (..) وهؤلاء یحفرون خنادق فی الأرض یشـعلون فیها النیران التی یُغـذّیها روث الحیوانات، ویشوون اللحوم التی تُعطی لهم ویأکلونها وهم فی أمکنتهم. ثمّ یصف باختصار الهدیهٔ التی أرسلها امبراطور الحبشهٔ إلی سلطان مکّهٔ، وهی عبـارهٔ عـن زوج من حیـوان أحـادی القرن.. (۱) وبعـد أن أدّی «قارتیمـا» مناسـک الحـج کلها فی المدینـهٔ ومکّـهٔ، علی ما یقول، استطاع بتـدبیر خـبیث أن یهرب مـن القافلـهٔ وزملاـؤه الحرّاس علیهـا إلی جـدّهٔ، ومن هنـاک أبحر عن طریـق البحر الأـحمر إلی إیران (۲)ومنها إلی مناطق أخری؛ لیکمل المهمهٔ الموکولهٔ إلیه، علی ما یبدو.

الهروب من الحجاز

ونترک هنـا المجال لکاتب غربی هو «برینت»؛ لیسـلط بعض الضوء علی المهمّـهٔ الخاصـهٔ التی کان «قارتیما» منغمساً فیها، حیث یقول: «لم یکن «قارتیما» من الأشخاص الذین یعودون من الطریق نفسه التی أتوا منها، فهو یرید السفر والترحال إلی الأمام؛ لیری بلداناً أخری وعجائب أخری. ولقـد مرّت به فترات تعرّض فیها للخطر، وهی التی جلبت له تلک الفرصهٔ السانحهٔ للتجوال، فقد کُشِف أمره، وعُرف أنه أوروبی، وتعرّف علیه أحـد المغاربـهٔ کمسیحی، والمغاربـهٔ معروفون باتسـاع مـدی رحلاتهم الی البندقیـهٔ وجنوه. ولـذا فقـد تـدبّر «قارتیمـا» أمره، وأقنـع ذلـک المغربی أنه قـد اعتنـق الـدین الإسـلامی عن صـدق وإیمـان، وتظاهر بکراهیته للمسیحیین بصورهٔ عـامهٔ وللبرتغالیین بصورهٔ خاصهٔ، وهم الذین حولوا التجارهٔ إلی البحر الأحمر. ومقابل ذلک أقنع رئیس القافلهٔ المملوکی أن یسـمح للمغربی بإخراج خمسهٔ عشر جملًا محملهٔ بالتوابل إلی خارج مکّهٔ، دون دفع

۱- ۱ بلاد العرب القاصیهٔ: ۶۲.

۲- ۲ موسوعهٔ العتبات المقدّسهٔ- ۲: ۲۵۳.

ص: ۱۲۱

الرسوم المعتادة، عندها قبل ذلک المغربی السماح لقارتيما بالنوم والالتجاء إلی بيته.

بـدأ «قارتيما» يصـلّی الی اللَّه. وكانت صـلاته كلّها عصبية وخوف، ثمّ سـمع أثناء اختبائه فی داخل بيت المغربی صوت نافخ البوق فی القافلـة السوريـة داعياً الحرّاس للتجمّع. علی حين كان قارتيما مختبئاً بأمان فی بيت المغربی، وفی أقصـی ركن سـرّی من ذلک البيت. وهكذا رحلت القافلة السورية إلی دمشق ومعها المغربی والجمال الخمسة عشر المحملة بالتوابل دون دفع الرسوم (۱).

وفی معرض وصـفه لهزيمته، يذكر «قارتيما» أنه اختبأ فی بيت أحد المسلمين فی مكّة إلی حين خروج موكب الحج الشامی منها، لكنه يـذكر أنه كان من حسن ظنه أن أحبته إحدی قريبات صاحب البيت فساعدته علی التخفّی والهرب (۲) مع إحدی القوافل الذاهبة إلی جدّة، فإلی السفن الراسية هناک تنتظر الحجاج الهنود لإرجاعهم إلی بلادهم.

وفی جدّة كان عليه أن يتظاهر بالمرض والفقر. وكان هنالک جمهور وحشد كبير من الناس قدّرهم «قارتيما» بخمسة عشـر ألفاً. وكانوا فی كرب حقيقی وهو يقول: «لقـد كـانت الحرارة شديـدة هنـا، وقـد بـدا الرجـال وكأن أجسادهم قـد جفّت بسـبب الحرارة، وأصـيب الكثيرون بالمرض». ومع ذلک فقد وجد أحد ربابنة السفن الذی وافق، بعد أخذ الثمن، علی اصطحابه معه فی سفينته إلی بلاد العجم. ولم يكن قـدره أن يترک بلاد العرب بالسـهولة التی تصوّرها. ففی عـدن شـكّوا فی أمره وظنّوا أنه جاسوس، وذلک بسـبب الحساسـية التی ولدتها الحملات البرتغالية إلی بلاد العرب، وهكذا حملوه سجيناً إلی أمير اليمن الذی ألقاه فی غياهب السجن.. وعندما طُلب منه، خلال الاسـتجواب، أن ينطق بالشـهادتين، خانته شـجاعته لأوّل مرّة فی حياته المغامرة. فلم يسـتطع أن يتفوّه بتلک الكلمات، وهو يعلّق علی ذلک بقوله: «لقد كان ذلک بإرادة اللَّه، أو بسبب الخوف الذی اعترانی فلم استطع ان أتفوّه ببنت شفة».

۱- ۱ بلاد العرب القاصية: ۶۳.

۲- ۲ موسوعة العتبات المقدّسة- ۲: ۲۵۲.

ص: ۱۲۲

وفى السجن تظاهر قارتيما بالجنون، فسمح له أن يخرج إلى الشارع وهو ممزّق الثياب، وفى وضع مزرٍ من أوضاع المخبولين المجانين، وليواجه ضحكات الأطفال الذين بدأوا يقذفونه بالحجارة. ولكن ما لبث إحدى زوجات السلطان الغائب، أن لاحظته ولمحته من إحدى النوافذ المشبكة، وليتكرر الإدعاء أن تلك المرأة وقعت فى حب ذلك الشاب الإيطالى الوسيم، كما أحبته الشابة فى مكّة من قبل، وعندما عاد السلطان تدخلت السلطانة لمصلحة «قارتيما» ورجت السلطان أن يعفو عنه.. وهو يذكر أن تلك السيدة كانت تقول له: «إذا برهنت أنك رجل جيّد فسوف تصبح أميراً» (۱).. ولا ندرى كيف يقنعنا «قارتيما» بأن الأميرة تقع فى هوى مجنون، فضلًا عن أنّها تراهن عليه أميراً؟!!، لعلّها فى أحسن الأحوال أشفقت على شبابه وغربته ففسّر ذلك أو حرّفه دسّاً وتشويهاً..!

وأخيراً، وبالتحديد فى كانون الأول (ديسمبر) ۱۵۰۳ م استطاع قارتيما أن يركب سفينة إلى سقطرة، ومنها إلى الهند، حيث كان «فاسكودى غاما» قد نجح بالدوران حول رأس الرجاء الصالح سنة ۱۴۹۹ م.. ومع السفن البرتغالية عاد «قارتيما» إلى لشبونة، ومنها إلى روما، وفى ايطاليا أثابته جامعة البندقية على روايته المدهشة المليئة بالأحداث، وحظى برعاية كولونا وسفورزا، وأسبغ عليه الكاردينال كارفاجال حمايته، وهذا الكاردينال هو الذى موّل ترجمة هذه الرحلة الى اللاتينية (۲).

وفى عام ۱۵۱۰ م، أخبر قرّاءه فى المقدّمة أنه بعد أن زار جزءاً من بلدان وجزر الشرق شمالًا وغرباً اعتراه التفكير الجدّى، بعد الاتكال على اللَّه، أن يذهب لزيارة الأقسام الشمالية من الشرق، ويبدو أنه ليس من المحتمل، أن هذا الرجل الشديد العزيمة والتصميم والحيلة، لم يحاول أن يحوّل نيته هذه إلى العمل الفعلى.. إلّا أنه لم يترك أيّة كلمة تشير إلى هذه الرحلة (۳).

وخاتمة حياة «قارتيما» مجهولة كأصله، والأرجح أنه توفى بين ۱۵۱۲

۱- ۱ بشيء من الاختصار عن كتاب بلاد العرب القاصية: ۶۳- ۶۵.

۲- ۲ مراجعات حول؛ العروبة والإسلام واوروپا: ۱۱۹.

۳- ۳ بلاد العرب القاصية: ۶۷.

ص: ۱۲۳

و ۱۵۱۷ م. وميزة قارتيما أنه أوّل من ترك وصفاً، وان كان مقتضباً، للأماكن التی زارها فی شبه جزيرة العرب، كما أنه ترك لنا خريطة تظهر فيها شبه جزيرة العرب ممدودة عرضاً فی الجهة الجنوبيّة (۱).

وبعد هذه الجولة مع «قارتيما» أليس من حقّنا أن نطرح تساؤلًا مشروعاً؛ هل كان الشرق، وبما يحفل به من سحر وروعة وفتنة وغموض، كافياً لكی يتحمّل المغامرون- ومنهم قارتيما- كلّ ما صادفوه من متاعب، ومما كابدوه من مشاق، وما جابهوه من أخطار..؟!

وليس هناك من شك فی أن الإيجاب ب «نعم» عن هذا التساؤل، يعدّ تبسيطاً مخلّاً لحالة معقّدة، وقراءةً مبتورة أو غير واعية أو ظاهرية لحقيقة غاطسة خفيّة مريبة.

المهمة السريّة: ملاحظات ومؤشرات

وما يدعونا إلى إطلاق هذه الأحكام، بخصوص «قارتيما»، ومَنْ هم على شاكلته، هو الملاحظات التالية:

۱- إن مهمّة «قارتيما» التی شرع بها عام ۱۱۵۰۳ م، جاءت فی أعقاب نشوة النصر التی شهدتها أوروبا إثر سقوط الأندلس سنة ۱۴۹۲ م، وكان هذا حافزاً قويّاً على ملاحقة الضربات الشديدة للطرف الآخر، «المتوحّش»، «المتخلّف»، «الشهوانی»، «الفظ»، «الكافر».. الخ من الصور النمطية المستقرة فی اللاشعور الغربی.

۲- إن إيطاليا- التی انطلق منها قارتيما- تمثّل قلعة البابوية، وهی رأس الرمح فی الهجوم الصليبی على المشرق الإسلامی، وحتی هذا اليوم لم تتخلّ عن مهمتها هذه، رغم كل الادعاءات.

وليس اعتباطاً أن يُسبغ على «قارتيما» لقب «نبيل روما»، وكذلك حماية

۱- ۱ مراجعات حول؛ العروبة والإسلام وأوروبا: ۱۱۹.

ص: ۱۲۴

الكاردينال لقارتيما وتمويله لترجمة كتابه.

۳- بعد السقوط المدوّى للأندلس (۱۴۹۲ م)، واكتشاف كل من أمريكا (۱۴۹۲ م) ورأس الرجاء الصالح (۱۴۹۷- ۱۴۹۹ م).. برزت البرتغال قوّة استعمارية غاشمة، ولعل تأريخ الاستعمار ما عرف للبرتغال مثيلًا فى القسوة، وانعدام الإنسانية، وموت الضمير، كما يقول د. محمود السمرة (۱)(۲)(۳).

لقد تبنّت أوروبا الصليبية يومئذ مخططاً مفاده؛ قضم أطراف العالم الإسلامى تمهيداً لشن الهجوم الكاسح على قلبه «أى المشرق الإسلامى» وانبرت البرتغال لهذا المخطط، واهتمت به كل الاهتمام، وأولته عنايتها، فأرسلت فى عام ۱۴۸۷ م «بدرو دا كوفيلهام» لدراسة المشرق الإسلامى، وكتابة تقرير عن مدى استعدادات المنطقة وقوّتها. وقد قام «بدرو» برحلتين بريتين ماراً بالقاهرة، وبلدان المشرق العربى الرئيسية، وموانئ البحر الأحمر، والموانئ الممتدة على طوال شواطئ شبه جزيرة العرب، حتى كلكتا وجُوا فى الهند. وفى عام ۱۴۹۰ م قدّم «بدرو» تقارير مفصّلة عمّا رأى وشاهد (۴).

وفى تلك الأثناء، كان البرتغاليون يجوبون المحيط الأطلسى بحثاً عن مستعمرات، وبعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح- بأمر من ملك البرتغال مانويل الأول- أخذت السفن البرتغالية تجوب المحيط الهندى والبحار العربية.

وفى عام ۱۵۰۲ م اتخذ البرتغاليون قرارهم الخطير بسد البحر الأحمر أمام السفن العربية، وكانت الحملة البحرية بقيادة «فاسكودى غاما».. وتمكّنت من الوصول إلى بحر العرب وسيطرت على مركب تجارى وبأمر من «دى غاما» وتمّ قتل جميع ركابه البالغ عددهم ۴۰۰ شخص، بمن فيهم النساء والأطفال وثمّ أحرق البرتغاليون المركب، فكان هذا الحادث سبباً فى اشعال مواجهة بحرية مع البرتغال، استمرت طيلة القرن السادس عشر (۵).

وما يعنينا، فى هذا البحث، أن مهمّة «قارتيما» جاءت بعد عام واحد من حملة

۱- ۱ يُراجع التعريف بكتاب «الصراع بين العرب والبرتغال» المنشور فى مجلة العربى الكويتية ۵۹: ۱۳۲ جمادى الأولى ۱۳۸۳ ه- تشرين أول/ اكتوبر ۱۹۶۳ م، ومن الملفت أن هذه العبارة قد حُذفت حينما أعيد نشر المقال ضمن كتاب مراجعات حول العروبة والإسلام وأوروبا، ص: ۱۰۳!!

۲- ۱ يُراجع التعريف بكتاب «الصراع بين العرب والبرتغال» المنشور فى مجلة العربى الكويتية ۵۹: ۱۳۲ جمادى الأولى ۱۳۸۳ ه- تشرين أول/ اكتوبر ۱۹۶۳ م، ومن الملفت أن هذه العبارة قد حُذفت حينما أعيد نشر المقال ضمن كتاب مراجعات حول العروبة والإسلام وأوروبا، ص: ۱۰۳!!.

۳- ۱ يُراجع التعريف بكتاب «الصراع بين العرب والبرتغال» المنشور فى مجلة العربى الكويتية ۵۹: ۱۳۲ جمادى الأولى ۱۳۸۳ ه- تشرين أول/ اكتوبر ۱۹۶۳ م، ومن الملفت أن هذه العبارة قد حُذفت حينما أعيد نشر المقال ضمن كتاب مراجعات حول العروبة والإسلام وأوروبا، ص: ۱۰۳!!

۴- ۲ المرجع السابق: ۱۳۴.

۵- ۳ د. عبد الوهاب الكيالى وآخرون: «موسوعة السياسة» ۴: ۴۴۸ مادة فاسكودى غاما وعن الدور الخطير لكل من فاسكودى غاما والسياسة البرتغالية الاستعمارية، يُراجع كتاب «الصراع بين العرب والبرتغال» Portuguese of the South Arabian Cost The- للبروفسور «سارجنت» R. B. Serjeant، وهو من منشورات جامعة اكسفورد، ۱۹۶۳ م.

ص: ۱۲۵

فاسكودی غاما علی بوابات عـدن، وهذا ما يفسّر لنا خلفيّة إلقاء القبض عليه هناك بتهمة الجاسوسية، كما ويلقی ضوءاً علی أسباب ادعائه الكراهية للمسيحيين بصورة عامّة والبرتغاليين بصورة خاصة، أثناء عقده صفقة مع المغربی فی مكّة..

ومن خلال تجميع القرائن الموحية، لا يستبعد أنه كان منخرطاً فی مهمّة سرية أوروبية صليبية أو برتغالية، فی الأقل، وذلك من خلال المؤشرات التالية:

أوّلًا: تتّسم شخصية «قارتيما» بمواصفات مطلوبة فی أيّة مهمّة سرية، وقد ظل علی طبيعته فی الخداع والاحتيال إلی النهاية، كما يقول «برنت».

ثانياً: أنه سلك الطريق الممتد بين اوروپا والهند، مركّزاً علی اختراق المناطق الإسلامية، خاصة فی الحجاز واليمن، وهی التی كانت بمثابة مجاهيل بالنسبة للغرب، ويهمّه كثيراً أمر استجلائها، كخطوة أولی للتعامل معها، علی طريق «اعرف عدوّك».

ثالثاً: كان اهتمام الصليبية منصبّاً علی التعرف علی الأماكن المقدّسة بالذات، ومحاولة رصد تحصيناتها، ومعرفة طبائع السكان وتقاليدهم، والتعرّف علی المراسيم الدينية، كالحج، ودورها فی حياتهم (۱) وهذا ما نجده بشكل واضح لدی «قارتيما» خاصة وأنه دشّن مهمّته بزيارة حصن بابليون فی مصر، فضلًا عن تلك الإشارات المبثوثة فی ثنايا كتابه حول تحصينات مكّة والمدينة وصنعاء وعدن.. الخ. ولا نقلل من أهميّة الغرض الكامن وراء الخريطة التی تركها لشبه جزيرة العرب والتفصيل فی مناطق الجهة الجنوبية.

رابعاً: فی إشارة «برنت» الی رحلة قارتيما التی استمرت سبع سنوات، بعد قضاء فترة طويلة فی خدمة البرتغاليين، وحتی التحاقه بالاسطول البرتغالی فی الهند، وعودته معه فی رحلة العودة، تثير الكثير من علامات الاستفهام حول علاقة قارتيما بالبرتغال وخططها السرية.

خامساً: إذا كان البرتغاليون قد استطاعوا أن يسيطروا علی شواطئ شبه

۱- ۱ مجلة العالم لندن- ۲۷۶: ۵۱.

ص: ۱۲۶

جزيرة العرب، فإنهم قد فشلوا فى النفوذ إلى الداخل، وارتدت سفنهم مدحورة من أمام عدن وجدّة. وكانت غايتهم من السيطرة على الداخل أن يؤمّنوا الطريق البرّى إلى الهند أيضاً، كما أنّهم كانوا يحلمون بالاستيلاء على جثمان النبى الكريم صلى الله عليه و آله فى المدينة؛ ليطلبوا عندها تسليمهم كنيسة القيامة فديةً له (۱).

ونظرة متأنية لرحلة «قارتيما»، وبكل مداخلاتها وخلفياتها وظروفها السياسية والدينية والاقتصادية، فضلًا عن وضع قارتيما الشخصى وعلاقاته مع أرباب السلطة والكنيسة.. كل ذلك يثبت لنا أن مهمّة قارتيما كانت تصبّ، وفى العمق، بالمخطط الصليبى عموماً والبرتغالى على وجه الخصوص.

وما تظاهره باعتناق الإسلام، ومن ثمّ تظاهره بالجنون فى وقت لاحق.. إلّا جزء من مستلزمات المهمّة الخطيرة التى كان يقوم بها.

.. ما بعد «قارتيما»

على أن خطة احتلال المدينة المنوّرة، وتأمين طريق الهند لم تظل فكرة مجرّدة، أو رغبة جامحة تداعب الخيال الصليبى، بل تحوّلت إلى التنفيذ، وخلال فترة قياسية، ففى عام ۱۵۱۳ م، أى بعد ثلاث سنوات فقط من عودة «قارتيما» إلى لشبونة، حاول الأميرال البرتغالى «الفونسودى البوكرك» حل تلك المشكلة بضربة فاصلة. ورغم فشل هجومه على عدن، لكنّه أبحر متقدّماً إلى البحر الأحمر، وكان عقله مشحوناً بأفكار جهنميّة. فكان تخطيطه أن يحتل المدينة المنوّرة ومعه جماعة من الغزاة، ويستولى على تابوت النبى محمد صلى الله عليه و آله ويطالب بفديته، ويعلن أن ثمنه هو كنيسة بيت المقدس، ثمّ يهجم هجوماً ساحقاً على ضفاف النيل، وهنالك يبنى سدّاً ويحوّل مجرى النيل إلى بلاد الحبشة المسيحية! وهكذا وبضربة معلّم سوف يعمل على جلب الثروة إلى الحبشة وإفقار مصر المسلمة.

۱- ۱ مراجعات حول؛ العروبة والإسلام واوروپا: ۱۱۹.

ص: ۱۲۷

ولكن أخيراً ظهرت الحقيقة، ولم يستطع هذا المغامر أن يعمل شيئاً فى البحر الأحمر سوى اثارة بعض الضجّة والضوضاء وكتابة بعض الملاحظات، مع أنه هاجم «عدن» مرّة أخرى، فى رحلة العودة (۱).

وفى الوقت الذى أقدم فيه هذا الأميرال على ارتكاب حماقته، كان قبطان إحدى السفن البرتغالية مسجوناً فى عدن، ويسمى «غريغوريو داكودرا» وقد أسر هو وجماعته، حينما جنحت سفينته إلى شواطئ مقديشو، ومن ثمّ أرسلوه هديّة إلى حاكم عدن، وظل سجيناً هناك حتى عام ۱۵۱۶ م، حين حدثت ثورة محلية أطاحت بذلك الحاكم الذى ألقاه سجيناً لمدة طويلة.

وقد حدث أن رغب الحاكم الجديد فى أداء فريضة الحج. فاستطاع «داكوردا» بعد إعلان إسلامه أن يصاحب الحاكم إلى الحج. وفى المدينة المنوّرة أصيب فجأة بنوبة من نوبات الحماس المسيحى (هكذا تقول القصة) فأعلن بصوت عال عن أمله وأحلامه بأن يتحوّل المسجد العظيم أمامه إلى كنيسة مسيحية، كما حدث فى كنيسة السيّدة مريم فى لشبونة.

وإزاء هذا التصرّف المتهوّر.. أطلق الحجاج سراحه وأعطوه مؤناً ونقوداً، ليلتحق بالقافلة الذاهبة إلى دمشق، التى كانت قد غادرت المدينة قبل بضعة أيام..

ويضل طريقه فى الصحراء القاحلة، لتنقذه قافلة عابرة من موت محقّق، ولينطلق صوب البصرة، ثمّ سار على طول الخليج الفارسى إلى مدينة «هرمز» حيث أحد المراكز البرتغالية، وكان أول رحالة أوروبى يعبر الصحارى الوسطى القفراء الواقعة بين المدينة المنوّرة ووادى دجلة والفرات، ومن هرمز سافر إلى الهند، وبعدها وجد سفينة أخرى أرجعته إلى البرتغال، فوصل إليها عام ۱۵۲۰ م، ولكنّه سرعان ما التحق بدير من الأديرة هناك (۲).

ويظل القرن السادس عشر الذى كاد أن يطبع بصبغة برتغالية، شاهداً على محاولات أخرى، على هذا الصعيد. ففى تموز (يوليو) ۱۵۶۵ م حجّ إلى مكّة المكرمة

۱- ۱ بلاد العرب القاصية: ۶۸.

۲- ۲ المرجع نفسه: ۶۹.

ص: ۱۲۸

مملوک برتغالی الأصل مجهول الاسم، فکتب وصفاً دقیقاً عنها، برغم اختصاره، واقتضاب ما جاء فیه، وقد اکتشف ما کتبه هذا المملوک فی السنوات الأخیر «السنیور دیلافیدا» مکتوباً فی حاشیة کتاب عربی موجود فی مکتبة الفاتیکان برقم ۲۱۷. وکان هذا البرتغالی قد تحرّک من رابغ إلی مکّة، فی آخر یوم من حزیران، وهو یقول: إن الناس یذهبون عراة إلی مکّة من هناک، مشیراً إلی الإحرام بطبیعة الحال.

وفی حوالی الوقت نفسه، حجّ إلی مکّة کذلک رجل ألمانی یسمی «هانس وایلد» کان قد أخذه الأتراک أسیراً فی هنغاریا یومذاک، وسیق إلی مکّة، فلم یعد إلی ألمانیا إلّافی سنة ۱۶۱۱ م. وبعده بسنوات قلیلة أُسر فتیً بندقی یدعی «مارکو دی لومباردو»، وهو یعبر الأبیض المتوسط بصحبة عمّه القبطان، فبُعث به إلی مکّة من مصر مصاحباً لابن سیده. وقد دوّن أشیاء طریفة عن سفرته التی نشرها، بعد ذلک بسنین عدیدة، المبشر «یوجین روجر» (۱).

وفیما یبقی الأخیران استثناءً للحقبة البرتغالیة (إذا صحّ التعبیر) فإنّ المراحل اللاحقة، وخاصة فی القرون الثلاثة المتأخرة، شهدت تبدلات عمیقة لصالح الدول الغربیة، خلافاً للبرتغال، وبالذات لکل من بریطانیا، هولندا، النمسا، السوید..

عبر الرحالة المنتمین لهذه الدول، وکلٌّ منهم کان مکلّفاً بمهمّة خاصة محدّدة، والشیء الوحید الذی لم یتبدل هو تلک الصورة الشرقیة الشوهاء فی المخیّلة الغربیة، التی أوغل فی تعمیقها، أکثر فأکثر، الرحالون الغربیون الذین تقاطروا علی المنطقة، فی وقت لاحق، بأعداد غفیرة ومثیرة، وهو ما سیکون محور البحث القادم، بإذن اللّه تعالی.

۱- ۱ موسوعة العتبات المقدّسة- ۲: ۲۵۴.

ص: ۱۲۹

الهوامش:

الحجّ فی الادب العربی مختارات شعریّهٔ

ص: ۱۳۲

الحجّ فى الأدب العربى مختارات شعريّة

أنشد الإمام على بن الحسين عليه السلام وقد كان متعلّقاً بأستار الكعبة:

يا من يجيب دعاء المضطر فى الظلم يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت قاطبة وأنت وحدك يا قيّوم لم تنم

أدعوك ربّ دعاءً قد أمرت به فارحم بكائى بحق البيت والحرم

ان كان عفوك لا يرجوه ذو سرف فمن يجود على العاصين بالنّعم ومع ميمية ابن القيم وهو يصور رؤية البيت:

ولمّا رَأَتْ أبصارُهُم بيتَهُ الذى قُلوبُ الورى شوقاً إليه تَضرَّمُ

ص: ۱۳۳

كأنَّهُمُ لم يَنْصَبُوا قَطُّ قَبْلَهُ لَأنَّ شَقَاهُمْ قد تَرَحَلَّ عَنْهُمُ

فلِلهِ كَمْ مِنْ عَبْرَةٍ مُهْرَاقةٍ وأُخرى عَلَى أثارِها لا تَقَدَّمُ

وقد شَرِقت عينُ المحبِ بِدَمْعِهَا فينظُرُ مِنْ بَيْنِ الدُّمُوعِ ويُسجمُ

إذَا عَايَنَتْهُ العينُ زَالَ ظَلَامُهَا وَزالَ عَنِ القلبِ الكئيبِ التألمُ

ولا يَعْرِفُ الطَّرْفُ المُعَاينُ حُسْنَهُ إلَى أن يعودَ الطرفُ والشوقُ أعظمُ

ولا عَجَبٌ مِنْ ذَا فَحِينَ أضافَه إلِى نفسِه الرحمنُ فهو المُعَظَّمُ

كساهُ من الإجلالِ أعظَمَ حُلَّةٍ عليها طِرَازٌ بالملَاحَةِ مُعْلَمُ

فَمِنْ أَجْلِ ذَا كُلُّ القلوبِ تُحِبُّهُ وتَخضَعُ إجلالًا لَهُ وتُعَظِّمُ ولابن القيم أيضاً تصوير آخر لموقف الحجّ:

وراحوا إلى التعريف يرجون رحمة ومغفرة ممن يجود ويكرم

فلله ذاک الموقف الأعظم الذی کموقف یوم العرض بل ذاک أعظم

ویدنو به الجبار جلّ جلاله یباهی بهم أملاکه فهو أکرم

یقول عبادی قد أتونی محبة وإنی بهم بر أجود وأرحم فأشهدکم أنی غفرت ذنوبهم وأعطیْتهم ما أملوه وأنعم

فبشراکم یا أهل ذا الموقف الذی به یغفر اللّه الذنوب ویرحم

ص: ۱۳۴

فکم من عتیق فیه کمل عتقه وآخر یستسعی وربک أرحم

وما رؤی الشیطان أغیظ فی الوری وأحقر منه عندها وهو ألأم

وذاک الأمر قد رأه فغاظه فأقبل یحثو الترب غیظاً ویلطم

وما عاینت عیناه من رحمهٔ أتت ومغفرهٔ من عند ذی العرش تقسم

بنی ما بنی حتی إذا ظن أنه تمکن من بنیانه فهو محکم

أتی اللَّه بنیاناً له من أساسه فخر علیه ساقطاً یتهدم

وکم قدر ما یعلو البناء وینتهی إذا کان یبنیه وذو العرش یهدم من شعر أبو زکریا الصرصری:

وأحرموا ثمّ لبَّوْا خاشعین لذی ال - جلال کلٌّ إلی مولاه مبتهلُ

وساوت السوقهُ الأملاکَ تحسبهم إلی الحساب من الأجداث قد نَسَلُوا

وشارفوا عرفات فاستبان لهم أن الحجیج إلی ما حاولوا وصلوا

ص: ١٣٥

فيا له موقفاً فيه لوافده جوائز الفضل والرضوان تُبتذلُ

وفاض بالمشعر الإحسان فوقهم وبالمُنى فی منی من ربهم حصلوا

ثم استقلوا إلى البطحاء حين قضوا رَمْیَ الجمار وقد نالوا الذی أملوا

طافوا بذات الستور ازداد معلمها جلالة وبهاءً ليس ينفصل

وأحسنوا السعی بين المروتين وفی المقام بعد الطواف وانتقلوا

شفوا بزمزم داء الصدر واعتمروا وما بدا لهم من صالح عملوا

وودعوا البيت والأحشاء واجفة وفی القلوب لآلام النوى شُغُلُ للشيخ محمد على كمونة، فی وقت كان السفر على ظهور الإبل:

نرى ظعناً يبغی (منىً) فا (لمحصّبا) فادنى إليه اليعملات وقرّبا وقوّض من بعد الإقامة راحلًا يلفّ الربى بالبيد والبيد بالربى

وجشمها شرق البلاد وغربها إذ جاز منها سبسباً أمّ سبسبا

ص: ۱۳۶

ليقضى عليها من (منىً) غاية المنى فقد شاقه من (شعبه) ما تشعبا

وقد جنحت (للخيف) حتى كأنما قوائمها نيطت بأجنحة الصّبا

وأرسلها وخداً إلى ذلك الحمى ومنه الجناب الرحب حيّا ورحبا

وعرّس كيما يستريح ركابه بأعطافها مما عراها وأتعبا

ولما حدا الحادى وهاج اهاجها رواقص للادلاج هجنَ تطرّبا

ووجّه تلقاء (المعرّف) وجهه ليقضى به فرض (الوقوف) تقرّبا

ولما قضى (التعريف) والشمس آذنت - وقد أزف الترحال- أن تتحجّبا

وحيث (أفاض) الناس أرخى ركابه وألوى به (للمشعرَين) ونكّبا

وقد رقصت عند (المحسّر) من (منى) به وعلى أكوارها ماس مطربا

وضجّ فضجّ الناس كلّ مؤدّياً من (الذكر) ما نصّ الإله وأوجبا

ومال الى جمع (الجمار) و (رميها) ولما رماها ساق (هدياً) وقرّبا

ص: ۱۳۷

وطاف (ببیت اللّه) سبعاً إنابةً إلیه وصلّی فی (المقام) وعقّبا

وقد أوسع (الأرکان) عند (استلامها) دموعاً فخیل السیل قد بلغ الزبی

وأکثر عند (المستجار) تنصّلًا إلی ربّه مما أسَاءَ وأذنبا

وساغ إلیه الورد من ماء (زمزم) وأعذِبْ بماء ورده ساغ مشربا

و (للسعی) بین (المروتین) مهرولًا سعی وبجلباب الخضوع تجلببا

وسارع (للتقصیر) غیر مقصّرٍ وشرّق (للتشریق) ینحو (المحصّبا)

ولما قضی نسکاً (مناسک) حجّه نحا (یثربا) لا أبعد اللّه یثربا (۱) من شعر ولید الأعجمی:

طاف «بالبیت» فاستهلَت جُفونُهْ عَبراتٍ فاضتْ بهنَّ شؤونُهْ

واحتواه من الجلالِةِ شوقٌ وبأعماقه استفاق دَفِینُه

شاعر عاشق له سُبُحاتٌ بهوی المکَّتین بادٍ حنینُهْ

هائم قلبُهُ، وفی کل واد عند «أُمّ القری» تَهیج شجونُهْ

یَتَمَلَّی من الجمال فنوناً وجمالُ الإِیمان شتَّی فنونُهْ

ویداری هواه بالشعر نحوی فیباریه بالنشید أنینُهْ

وانثنی ضارعاً وللدمع سَمْطٌ لؤلؤیٌّ منثَّرٌ مَکنونُهْ

۱- ۱ دیوان ابن کمونة، النجف سنة ۱۹۴۸: ۲۵- ۲۷.

ص: ۱۳۸

يشتكى باللوى لواعجَ شوقٍ وبِسَلْعٍ وساكنيه سكونُهْ
بثَّ شكواه بالقريضِ حزيناً ومن الشعر ما يُريحُ حزينُهْ
وتمنى وهو الذى قد تساوتْ عنده أُمنياتُهُ ومَنُونُهْ
هيبة «البيت» علَّمته بياناً بالهوى زاد والتقى تبينُهْ
رقَّ باللفظِ شعره، والمعانى حين راقت يَزِينُها وتَزِينُهْ
كلُّ أنشودةٍ له حين تُتلى تُنعِشُ القلبَ رقةً وتُلينُهْ
كالغوانى الحسانِ مِسنَ دلالًا وجنى الروض قد تَدَلَّتْ غصونُهْ
أيها الشاعر المُشوق تمهّل «كعبة اللَّه» هذه و «يَمينُهْ»
يَجِفُ القلبُ خاشعاً فى حِمَاهَا و «بأركانها» يطيب ركونُهْ
و «مقامُ الخليل» فيضٌ ونورٌ للبرايا مكانُهُ ومكينُهْ
وصلاةٌ «بالبيتِ» تَعدلُ عُمْراً بالضلالاتِ قد تَقَضَّتْ سنونُهْ
عَرَفَ الأنسَ شاعرٌ أرهَقتْهُ بالخطايا ذنوبُهُ وديونُهْ
ملأ الحبُّ قَلبه والحنايا ألَقاً من سناه ضاءَتْ دجُونُهْ واستنارت له سبيل هُداه فَتلَاشَتْ أوهامُهُ وظنونُهْ
وتسامى بالروح حيث استقرَّتْ جَبْهَتاه على «الحصى» وجَبِينُهْ
مطمئنَّ الضَّمير طَلَقَ الُمحيا رَضِيَتْ نفسُهُ وقَرَّتْ عيونُهْ
وله فى النهار سَبْحٌ طويلٌ تَتوخّاه فى الحياة شؤونُهْ
ويعانى بناشئَات الليالى وَطْأةً، ربُّه عليها يُعِينُهْ
ويناجى الإلهَ بسرٍّ خفىٍّ عن سوى الخالقِ العظيم يصونُهْ
حَسْبُهُ وقفةٌ بِجُنْح الدياجى والخلّيون هُجَّعٌ ومجُونُهُ
حَسْبُهُ سجدةٌ ستغدو كتاباً تَتَلقَّاه بالحسابِ يَمينُهْ
ورحيقٌ من نبعِ «زمزم» يروى كلَّ صادٍ تَسنيمُهُ ومَعِينُهُ
فَجَّرَتْها عنايةُ اللَّه عيناً أيْنَ منها أنهارُهُ وعيونُهْ

ص: ۱۳۹

ثَرَّة بالعطاءِ وبالخيراتِ ثَجَّ اجُها طعام طُعْم سمينُه
وشفاءٌ من كلِّ سُقمٍ وداءٍ يتلوّى مبطونُهُ وطعينُهْ
يغمرُ القلبَ بالَمسَرَّاتِ وادٍ آهلاتٌ منه الصفا وحجُونُهْ
وهدير الدعاء للَّهحولَ ال بيت طَابتْ أنغامُهُ ولحُونُهْ
واختلاف الألوانِ فی الحج والألسن آيات بهنَّ يَقْوى يَقينه
قصدوا موطنَ الرجاءِ وفودًا وسحابُ الرِّضْوَانِ سحَّ هُتونُهْ
يبتغون الرِّضا ويَرجُونَ ربَّاً مانحاً فضلهُ لمنْ يَستَعينهْ
وعَجِلنا إليک ربِّ لترضى يومَ لا ينفع القرينَ قرينُهْ
وبحوم المضمار لن يتساوى أعوجيٌّ مُجَرّدٌ وهَجينُهْ
ومضَى ركبُهُ إلى «عرفات» وبوادی نُعْمان حَطَّتْ ظُعُونُه ومِنَ الدَّمْعِ هَلَّ بالسَّفْحِ سَفْحٌ فوقَ خديهِ يَسْتَدِرُّ سَخِينُهْ
جذوة الوجد بين جَنْبيهِ شَبَّتْ كشبا السَّيفِ أرهفتْه قُيونُهْ
كلَّما حاولَ اصطباراً عليه يَهتِکُ الدَّمعُ صَبرَهُ ويخُونُهْ
وطيوب «الخيام» فاحَتْ فقلنا عَطَّر الرَّوضَ عابقاً نسرينُهْ
ورياحُ البشرى وبين يَديها تتهادى بِيضُ السَّحابِ وجُونُهْ
والغماماتُ ظُلَّةٌ تتنزّى بالرَّبابِ الرَّطيب إذ حان حِينُهْ
بردهُ يطفیءُ الأوامَ كريماً ويُنقى الفؤادَ مَما يَرينُهْ
وترى أوْجُه العبادِ وِضاءً زانهَا نَضرةُ النَّعيم ولِينُه
نَاضِرَاتٍ لِرَبِّها نَاظِرَاتٍ أزْلِفَتْ حُورُهُ إليهم وَعِينُهْ
وضجيجُ الحجيج يَعلو وَيحلو بالمناجاةِ وَقْعُهُ ورَنينُهْ
رَبَّنا هَبْ لنا من الأمر رُشداً وسبيلًا إلى العُلا نَستَبينُهْ
نَجِدُ الأمْنَ والسعادة فيه فَلَقَدْ عَزَّ من سبيل أمينه
ولقد ذَلَّت الرِجَال ودانَتْ لِلذی كان قبلَ ذاکَ تُدِينُهْ

ص: ۱۴۰

نَقَضَتْ عهدها وخانَتْ فَهانتْ واعتراها ذُلُّ الفسادِ وهونُهْ

ورأينا بأعين العَجز مَنَّا هَجْعَةَ اللّيثِ حين دِيسَ عَرينُهْ

عزمةٌ منك تبعث العزم فينا صارماً حَدُّه وَرَيّاً كمينُهْ

أملًا يملأ النفوس فيمضى يَحْطِمُ القيدَ بالإِباءِ رَهينُهْ

كالربيعِ الضَّحوكِ يَطْفَحُ بِشراً بأزاهيره زَهَا تلوينُهْ

وعلى سَجْعِ طيرهِ وغِناهُ رَفَّ زَيتُونُهُ وَرفْرَفَ تِينُهْ

أجدَر النّاس بالكرامةِ عبدٌ تَلِفَت نَفْسُه لِيَسْلَمَ دِينُهْ الهوامش:

رسالة رئيس منظمة الحجّ والزيارة إلى وزير حجّ المملكة العربية السعودية

ص: ۱۴۱

رسالة رئيس منظمة الحجّ والزيارة إلى وزير حجّ المملكة العربية السعودية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم الحمد للَّهوالصلاة والسلام على رسول اللَّه محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين إلى قيام يوم الدين. سعادة الاخ الدكتور محمود بن محمد سفر- وزير الحج للمملكة العربية السعودية المحترم، السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته

حمداً للَّهسبحانه، وله الشكر أن منَّ عليَّ وعليكم بتوفيق خدمة حجّاج بيت اللَّه الحرام، واستطعنا بفضله ومنّته أن نطوى موسم حجّ آخر، أدّى فيه عباد اللَّه مناسكهم، وعادوا إلى أوطانهم سالمين غانمين.

نعم، لقد كان لحادث حريق منى- حيث توفى جمع من الحجاج، وأُصيب جمع آخر منهم- وقع مؤلم على القلوب، وسيكون من الحوادث المؤلمة التى تذكر فى تأريخ الحج، غير أن عزاءنا جميعا أن هؤلاء لقوا مالقوا فى طريق زيارة بيت اللَّه الحرام وأداء نسك الحج، وأملنا كبير فى أن يتغمد اللَّه سبحانه المتوفين برحمته الواسعة،

ص: ١٤٢

ويغدق على المصابين أجر الصابرين المحتسبين. ويلزمنى أن أتقدم بالشكر لكل العاملين فى البلدين الشقيقين الجمهورية الاسلامية الايرانية والمملكة العربية السعودية على ما بذلوه من جهود فى أرض منى؛ لتجاوز العقبات والنقائص، التى سببها الحريق، ولتوفير الراحة لضيوف الرحمن. شكر اللّه مساعيهم، فخدمة حجاج بيت اللّه الحرام من أفضل الأعمال وأجلّها كما ورد فى النصوص الإسلامية:

سأل رجل الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: إنا إذا قدمنا مكة، ذهب أصحابنا يطوفون، ويتركوننى أحفظ متاعهم. قال الامام: أنت أعظمهم أجراً.

وعن رجلين تزاملا فى‌سفر الحج فلما دخلا، المدينة اعتلّ أحدهما، فكان الآخريمضى إلى‌المسجد، ويدع صاحبه وحده، فبلغ ذلك الإمام الصادق عليه السلام، فأرسل إليه، وقال له: قعودك عنده أفضل من صلاتك فى المسجد.

من هاتين الروايتين يتبين عِظم أجر خدمة ضيوف الرحمن. نسأل اللّه سبحانه أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، ويتقبل منّا ومنكم، ويوفقنا لمزيد من هذه الخدمة الجليلة.

من جانب آخر، مثل هذه الخدمة الكبرى لا يمكن أن تخلو من عيب ونقص؛ بسبب‌حجمها الهائل‌وضخامة مسؤولياتها، من‌هنا فلابدّ من‌تظافر الجهود؛ للتغلب على النواقص، وإحدى السبل فى ذلك فتح باب النقد الذاتى، وهى سنّة إسلامية أكّدها رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله بقوله لجموع المسلمين: «رحم اللّه امرئاً أهدى إلىّ عيوبى»، وورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام قولهم: «أحبّ إخوانى إلىّ من أهدى إلىّ عيوبى».

ومن الوفاء أن أذكر أولًا أن السنوات الماضية شهدت تطويراً فى أداء الخدمات لحجاج بيت اللّه الحرام مثل: توسعة الحرمين، ومدّ الطرق والجسور، وتوفير احتياجات الحجاج و ... لكن هناك الكثير من

ص: ۱۴۳

المشاكل، التى يمكن تجاوزها، أو تقليصها إلى أقل حدٍّ ممكن عن طريق الاستثمار الأفضل والأصح للإمكانيات الموجودة، ومعرفة طبيعة هذه المشاكل، والتفكير الجادّ فى الحلول العملية، مما يوفر رضا ضيوف الرحمن، وبالتالى رضا ربّ العزّة والجلال. لقد تلمست من معاليكم خلال سنوات توليكم وزارة الحج رغبةً صادقةً فى تطوير أداء الخدمات، واهتماماً جاداً بتحسين أوضاع الحج، باطّراد. لذلك دأبتُ بعد انتهاء كل موسم أن أكتب لكم وجهات نظرنا بشأن ماحدث فى ذلك الموسم، ووجدنا- والحمد للّه- اهتماماً بما كتبناه لكم، ورأينا تنفيذاً لبعض ما قدمناه من اقتراحات، وهذا يشجعنا على مواصلة هذه السنّة الحسنة.

والآن وبعد موسم حج سنة ۱۴۱۷ ه أتقدم بالشكر لمعاليكم، ولكل العاملين معكم فى وزارة الحج، وللّذين ساهموا فى خدمة الحجاج، آملًا أن يكون تقريرنا هذا مساهمة فى هذه الخدمة الكبرى بإذنه تعالى، وأن يكون عاملًا على مزيد من التعاون لما نصبوا إليه جميعاً فى الحج.

*** آ- مطار جدة

۱- لقد تعامل المسؤولون فى مطار جدة هذا العام- مع الأسف- تجاه ما يحمله الحجاج من المصاحف وكتب الأدعية، والمناسك والمكتوبات الشخصية بشكل يتنافى مع ما اتفقنا عليه، ومع أصول الخلق الإسلامى، فقد أخذوا تلك الكتب ورموها جانباً، وأبوا أن يعيدوها إلى أصحابها رغم المطالبة والتوضيح، مما أدى إلى استياء الحجاج الإيرانيين. أَليس الحجّ مكاناً للعبادة والدعاء والتضرع إلى اللّه سبحانه؟ أَلستم تصرّون على أن الأماكن المقدسة خاصة بالعبادة؟

فلماذا إذن تحجز المصاحف وكتب الدعاء، وقد ورد فى النصوص أن «الدعاء سلاح المؤمن» وأن «الدعاء مخّ العبادة». ربما يقول قائل: إن

ص: ۱۴۴

المصاحف متوفرة فی المساجد. هذا صحیح، ولکن الحجاج یحتاجون إلی تلاوة القرآن فی منازلهم أیضاً، وعادة الناس عندنا أن یختموا القرآن مرةً أو مرات خلال أیام حجّهم، أو أن یکثروا من تلاوته فی تلک الأیام المبارکة.

فلماذا یُحرمون من ذلک؟ ولماذا یعود الحجاج من سفرهم التأریخی المقدس هذا، وهم یحملون مشاعر جریحة من جراء هذا التعامل؟ جدیر بالذکر أن أکثر الکتب المحتجزة قد سبق أن قدمت نماذج منها إلی المسؤولین السعودیین مما لا یدع أیّ مبرر لاحتجازها.

۲- الحجاج القادمون إلی موسم الحج ینتمون إلی مذاهب مختلفة منهم الحنبلی والشافعی والحنفی والمالکی والجعفری و .. ومن الضروری أن یشعر هؤلاء جمیعاً بأن روح الاخوّة الإسلامیة هی التی تسود بینهم جمیعاً، وأنّ الفوارق الفقهیة بینهم ضئیلة لاتکاد تمیّز بینهم فی موسم الحج. لکن الحجاج فی المطار یواجهون کتباً تصرّ علی طرح مسائل فی الفروع والأصول وفق مذهب معین، وبذلک تخلق نوعاً من الاستفزاز الطائفی الذی لا مبرّر له إطلاقاً، والأغرب من ذلک أن الحاج الإیرانی یری أنه ممنوع من اصطحاب کتب المناسک معه، مما یُشعر بأن هناک إصراراً علی فرض حالة من الطائفیة البعیدة عن روح الاخوّة الإسلامیة فی موسم الحج. نحن علی استعداد للتحدث بشأن هذه المسألة قبل موسم الحج القادم؛ لتجاوزها ولإحلال روح الاخوّة الإسلامیة بین جمیع المسلمین.

۳- علماء الدین یحظون عند جمیع المسلمین بمنزلة خاصة وحرمة خاصة. من هنا لابد من التعامل معهم فی المطار بما یتناسب ومکانتهم. ولکن الملاحظ أن هؤلاء الأجلاءیخضعون فیالمطارلحالة مزریةموهنة من التفتیش، لا تتناسب مع توجهات حکومة خادم الحرمین الشریفین؛ لذلک یلزم الإیعاز برعایة حرمة علماء الدین.

۴- من الأمور الهامة فی إدارة الأعمال- کما تعلمون- الانسجام

ص: ۱۴۵

الكامل بين الأقسام التنفيذية. لكن المشاهد فى مطار جدّة هو غياب هذا الانسجام وحضور التعامل الذوقى الفردى مكانه، مما يؤدى الى اختلال الأمور. بعض العاملين فى المطار يجهلون التعليمات بشأن الجوازات، وبعضهم شباب قليلو التجربة، وبعضهم شيوخ بطيئو الحركة، وربّما شاهدنا توقف أجهزة الكامپيوتر فى الصالة، مما يؤدى بأجمعه إلى تعب الزائرين وإرهاقهم. وتتركز هذه المشكلة بشأن جوازات الخدمة.

فأصحاب هذه الجوازات لا يجدون أية تسهيلات- كما هو المتعارف بين الدول الصديقة- بل يواجهون مزيداً من التأخير فى بعض الأحيان.

۵- فترة رحلات الطائرات الإيرانية مضغوطة، والصالة لا تستوعب حجاج عدد من الرحلات، مما يؤدى إلى تأخر فى الإجراءات، وقد يؤدى ذلك إلى بقاء الحاج أكثر من ثمانى ساعات فى صالة الانتظار.

من هنا نرى ضرورة عدم الاكتفاء بصالة واحدة للسنوات القادمة.

۶- الأسلوب الجديد فى صدور تذاكر الحافلات عن طريق مكتب الوكلاء الموحّد أحدث مشاكل منها:

- انخفاض قدرة الأداء رغم زيادة العاملين.

- عدم توفر التدريب الكافى للعاملين.

- إضافة طابور جديد فى مداخل المطار وازدحام الحجاج. يمكن حلّ المشاكل المذكورة عن طريق إصدار تذاكر جماعية للقوافل، وتسليمها إلى ممثلى تلك القوافل.

۷- المواقف الخاصة لا تفى بحجم الحجاج الإيرانيين القادمين. ونشير الى أننا اتفقنا مع معاليكم على زيادة مساحة هذه المواقف.

*** ب- إسكان الحجاج

مشاكل قسم الإسكان:

۱- تعدد مرات التفتيش المختلفة دون تنسيق مسبق، ودخول الأفراد

ص: ۱۴۶

إلى منـازل الحجـاج يؤدى إلى اختلال فى إدارة أمور الحجـاج. ومن الطبيعى أن هيئـة الإسـكان ملزمـة بالتعاون والتنسيق مع الجهات المعنية رسمياً من قبل المملكة العربية السعودية، وتعتذر عن التعاون مع أية جهات أخرى، وعن السماح لهم بدخول المنازل.

۲- ممثلو وزارة الحج ومؤسسة المطوفين يقومون بتفتيش المنازل بعد إسـكان الحجاج، وبعد أن سعت لجنة الإسكان إلى رفع نواقص تلك المنازل.

مما يجعل عملية التفتيش غير مجدية.

ولكى تكون مفيدة، لابدّ من أن تتزامن مع جهود لجنة الإسكان فى إعداد السكن، وأن تكون قبل عشرة أيام على الأقل من ورود أول مجموعة من الحجاج.

۳- عملية إرسال العقد الموقع بين لجنة الإسـكان وأصـحاب المنازل إلى مؤسسة المطوفين، ثم من المؤسسة إلى وزارة الحج لتأييده، وعودته إلينا، وتسليمه للمالكين تستغرق مدة طويلة مما يؤدى إلى اختلال العمل.

۴- التعليمات تقتضـى اجتناب استيجار المنازل الفاقدة للتصـريح ما أمكن ذلك. ومن جهة أخرى نرى بعض المنازل لدى الإقدام على استيجارها لم تحصل على التصـريح بعد، وتصريحها قيد التنفيذ. من هنا نرى من المناسب الإسراع فى إعطاء التصريحات للمنازل، التى تتوفر فيها الشروط خلال شهر رجب.

۵- نظراً لعـدم توفر ميـاه الشـرب بالمقـدار الكـافى لـدى ازدحـام الحجيـج، من المناسب اتخاذ مايلزم لتعبئـة مياه زمزم بشـكل صـحى وتوزيعها على المنازل.

۶- موسم الحـج يتجه إلى الاقتراب من فصل الشـتاء، ولابـدّ من الاهتمام بتوفير الماء الساخن فى حمامات المنازل، وأن يدرج موضوع السخانات فى التعليمات والتنظيمات، كما أن توفّر وسائل التدفئة كالبطانيات ضرورى أيضا.

۷- عملية توزيع اللافتات المنصوبة على المنازل؛ لتوجيه الحجاج

ص: ۱۴۷

بواسطة مؤسسة المطوفين كانت فى الموسم الماضى ذات نواقص كثيرة.

نقترح أن يتفق الجانبان على شكل معيّن لهذه اللافتات، وبعد الاتفاق النهائى، يأتى مدراء القوافل بهذه اللافتات الموحّدة المتفق عليها من إيران، كى نؤمّن مسألة التوحّد فى هذه اللافتات، ونعفى المؤسسة من هذه المسألة؛ لتنصرف الى أعمالها المكثفة فى الموسم.

۸- من المناسب إصدار التعليمات إلى البلدية للاهتمام أكثر بنظافة أطراف المنازل، وخاصة أطراف المجتمعات السكنية، حيث تجتمع أحيانا القاذورات لأيام مسببة تلوث البيئة والأمراض.

۹- يُطلب من المالكين توفير خط تلفون واحد على الأقل لكل ۲۰۰ زائر، قبل إسكان الحجاج، وفى زمان منح التصريح، لراحة الحجاج.

۱۰- يُطلب من مسؤولى «النقل الجماعى» زيادة خطوطها فى مسير قوافل الحجاج الايرانيين، كى تتوفر للحجاج إمكانات التردد بين الحرم ومنازلهم البعيدة.

*** ج- النقل بين المدن

المشاكل المرتبطة بالنقل:

۱- التحسن النسبى فى وضع شركات نقابة السيارات تبعث على السرور، لكن عدد الشركات الملتزمة بنقل الحجاج الايرانيين كثيرة (۱۰ شركات)، ومن أجل ضبط السيطرة وتسهيل الارتباط بالشركات، نرجح حصر عدد الشركات فى خمسة على أكثر تقدير.

۲- فى تقييمنا للحافلات تحوز شركة سابتكو على معدل ۹۸ بالمائة باعتبارها أفضل الشركات المتعاملة معنا، وشركات: المغربى، دلة، مكة، والسعودية على أقل معدّل يبلغ ۴ / ۹۳، ومن المناسب أن تحذف هذه الشركات من قائمة مجموعة شركات نقل الحجاج الإيرانيين.

۳- رغم تحسن وضع الحافلات

ص: ۱۴۸

كما ذكرنا، غير أن بعض مواد الاتفاق بيننا وبين النقابة لا ـ يراعى فى كثير من الأحيان مثل نظافة الحافلة، ومهارة السائق، ومعرفته للطرق، وتمكنه من اللغة العربية، وتوفر المياه الباردة وغيرها. وهذا يتطلب المزيد من الأوامر والتأكيدات.

۴- يشاهد مع الأسف أحياناً تصرف سىء بعيد عن الخلق الإسلامى من قبل السواق ومسؤول النقل الجماعى، وكذلك عدم توفّر المكان المناسب لعفش الحجاج فى المقاعد الخلفية خلافاً لصريح الاتفاق، مما يسبب مشاكل فى سفر الحجاج.

۵- مما يسبب فى راحة الحجاج وسلامتهم لدى سفرهم زيادة عدد ورشات الصيانة الثابتة والسيارة بواسطة شركات النقل بين المدن، خاصة فى مسير جدة- الجحفة- مكة، ومسير جدة- المدينة، والمدينة- مكة وبالعكس، وهكذا طباعة قائمة بعنوان هذه الورشات الثابتة وأرقام هواتفها، أو إعدادها بشكل ملصق يوضع فى كل باص.

۶- النقص فى علامات المرور على مسير ميقات الجحفة لايزال من مشاكل الحجاج، وقد يؤدى أحياناً إلى تأخّر الحجاج عن موعد مناسك عمرة التمتع ووقوعهم فى مشاكل شرعية. زيادة عدد العلامات يؤدى حتماً إلى تقليل هذه المشاكل.

۷- إدارة شؤون النقل داخل المدن وبين المدن فى الظروف العادية، لا يمكن أن تلبّى حاجة المسافرين فى أيام الحج. من هنا فلابد من إدارة خاصة لأيام الموسم تتصرف وفق نظام جديد يتناسب مع الحالة الخاصة، التى تواجه النقل خلال ۲۰- ۳۰ يوماً من أيام الموسم.

*** د- المشاعر المقدسة وأيام التشريق

۱- الخيام:

۱/ ۱- حادث حريق منى من الحوادث الهامة فى موسم الحج الماضى، وقد أدّى إلى وفاة كثيرين

ص: ۱۴۹

وإصابة آخرين. وهذا الحريق لو قُدّر له أن ينشب في اليوم العاشر أو الحادى عشر لأدى إلى مأساة كبرى للعالم الإسلامى. وهذه الحادثة ليست الأولى من نوعها، ولو لم تتخذ الإجراءات الحاسمة للوقاية منها فسوف لا تكون الأخيرة من نوعها لا سمح اللّه. نحن نقترح عقد اجتماع من العلماء والمتخصصين من جميع أرجاء العالم الإسلامى لدراسة مسألة البناء فى منى. وإذا لم تحسم هذه المسألة، فإن هذه المآسى ستتكرر ويذهب ضحيتها جموع من ضيوف الرحمن.

نشير هنا إلى أن هذه المسألة تحتاج إلى وقت لحسمها، وخلال هذا الوقت يمكن الاستفادة من التقنيات الحديثة للحدّ من وقوع هذه الكوارث. بعض المراكز الصناعية فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية أعربت عن استعدادها لصنع خيام منى وعرفات من مواد مقاومة للاحتراق.

۲/ ۱- مؤسسة مطوفى الحجاج الإيرانيين تخصص كل عام القطع ۷۶، ۷۷، ۸۰، ۸۱، ۸۲، ۸۳، ۸۴، ۸۵ فى أرض منى للحجاج الإيرانيين، وتوزعها على المكاتب التابعة (۱۱ مكتباً). وهذا التوزيع يتم بشكل غير منتظم على القطعات مما يؤدى إلى تشتت المكتب الواحد، وكان ذلك نصيب ۷ مكاتب فى موسم الحج الماضى بين المكاتب الأحد عشر. كما أن شارعاً يمرّ بين القطعات الاصلية والقطعات المتممة مما يؤدى الى مشاكل فى الإشراف وتنقل الحجاج.

ومن الضرورى التغلب على هذه الظواهر بدراستها على الواقع ووضع مخطط جديد لها. لذلك نقترح إعادة النظر فى تفكيك القطع الثمان، وتوزيع خدمات المكاتب بشكل يتناسب مع سعة القطع.

۳/ ۱- نقترح الإيعاز إلى مسؤولى مؤسسة المطوفين رسمياً بتخصيص خيام فى المشاعر المقدسة لأولئك الحجاج القادمين من ايران، خارج إطار مؤسسة الحج والزيارة، إيرانيين كانوا أم غير إيرانيين، وعدم

ص: ۱۵۰

توزيع هؤلاء بين المكاتب المسؤولة عن الحجاج الإيرانيين دون استشارة مسؤولی الحج والزيارة فی الجمهورية الإسلامية الإيرانية، تجنباً للاخلال والإزعاج فی أعمال القوافل الإيرانية.

ومن الأفضل تعيين سهم خاص لهؤلاء کی يُريحوا ويستريحوا.

۴ / ۱- مساحة الخيام فی کثير من الحالات أقل من الحدّ المقرّر المتفق عليه. وقد يکون ارتفاع الخيمة قليلًا جداً بحيث يعيق تردد الحجاج، نأمل اتخاذ مايلزم لإزالة هذه النواقص.

۲- النقل داخل المشاعر المقدسة

۱/ ۲- عدم الاهتمام الجاد من قبل النقابة لزيادة عدد مقاعد الحافلات.

۲/ ۲- التأخير فی إعطاء الاعتمادات وتذاکر الحافلات بحجة استلام مبلغ فی المقدمة، رغم أن الاتفاق لا ينصّ على ذلک.

۳/ ۲- عدم انطباق عدد الرکاب المذکور فی تذاکر الحافلات مع الحافلة المحوّلة من قبل شرکات: أم القرى، والأندلس، ودلة. وعدم التزام النقابة والشرکات بتعهداتهم.

۴/ ۲- ضعف خدمات الصيانة خاصة على طول المسير.

۵/ ۲- عدم کفاءة السائق فی مهنته، بحيث أن أکثر حالات العطب ناشئة عن عدم وجود الکفاءة.

۶/ ۲- عدم وجود تشابه بين حافلات الإسعاف والحافلات المستأجرة. بحيث أن هذه الحافلات (الإسعاف) ذات مستوى هابط فی السعة والکيفية بالنسبة للحافلات المستأجرة.

۷/ ۲- رغم أننا فی نقل المشاعر نعتمد نظام الردّ الواحد، ندفع لذلک ضعف سائر البلدان، مع ذلک أغلب الحافلات المخصصة من موديل ۷۷ إلى ۸۸ وذات حالة غير مرضية تماماً.

المتوقع تخصيص حافلات لا تقل عن موديل ۸۶.

۸/ ۲- استناداً الى تقارير مدراء القوافل، المبالغ المدفوعة بسبب الاختلاف بين عدد المقاعد المحوّلة

ص: ۱۵۱

وعـدد مقاعد الحوالة الصادرة ۴۸۰/ ۳۳ ريالًا سعودياً، وبسبب استيجار حافلات عن طريق مدراء القوافل فى مسير المشاعر ۰۰۰/ ۲۵ ريال سعودى. ومثل هذه الخسائر نتحملها سنوياً بسبب عدم وجود مستندات يوافق عليها الجانب السعودى. ومشكلة هذه المستندات هى ضرورة أن تحمل توقيع السائق، وتأييد بقية المراجع القانونية مثل مؤسسة المطوفين والأدلاء، أو ممثلى الشركات .. وهذا متعذّر غالباً. من هنا نتوقع مساعدة معاليكم فى تسوية الحسابات النهائية، كى نستطيع فى المستقبل- إن شاء اللَّه تعالى- أن نوجّه مدراء القوافل بهذا الشأن.

۹/ ۲- فى عرفات والمشعر ومنى فى أيام التشريق، يلزم اتباع نظام فى المرور يتحلّى بالسرعة والمرونة، كى يحول دون الازدحام، ويمنع حدوث احتكاك بين مسؤولى المرور والحجاج.

۱۰/ ۲- عدم تخصيص تصاريح لسيارات بعثة حج الجمهورية الإسلامية الإيرانية أدى إلى صعوبات وتعويقات فى الأعمال؛ لذا يقتضى ما يلزم لصدور تصاريح لخمس سيارات يستطيع أن يتردد بها مسؤولو بعثتنا ۱ بين المشاعر أسوة ببقية البعثات.

۳- سائر مسائل المشاعر المقدسة:

۱/ ۳- تعلمون معاليكم أننا استعنا منذ سنوات بالبالون فى منى من أجل توجيه الحجاج إلى محلّ خيامهم، خاصة وأن المسافة بين خيام حجاجنا والجمرات طويلة، وكثير منهم طاعنون فى السن، وبعضهم أميون، واستطعنا بذلك أن نتغلب إلى حدّ كبير على ضياعهم. ولكن مُنع تصعيد البالون فى موسم الحج الماضى، ولم تثمر جهودكم فى توضيح الأمر لمسؤولى إطفاء الحريق. مشكلة ضياع الأفراد لو اقتصرت على حدود خيام الإيرانيين؛ لأمكن التغلب عليها عن طريق توظيف أفراد لهذا الأمر، ولكن المشكلة تتسع لتشمل المسافات

ص: ۱۵۲

البعيدة عن الخيام أيضاً، عندئذ يكون استخدام الأفراد لهذا الغرض غير مفيد. لذلك نطلب إعادة النظر فى رفع البالون ولو بالون مركزى واحد.

ولإكمال هذه المهمّة نطلب السماح لاستعمال الإضاءة الليزرية فى الليل، وهى إضاءة غير مضرّة، وقابلة للرؤية من مسافات بعيدة.

۲/ ۳- بسبب قلة مساحة أرض منى، وزيادة عدد الحجاج كل عام، نقترح إنشاء مرافق صحية ذات طوابق عديدة تخصص السفلية منها للمراحيض والعليا للاستحمام.

۳/ ۳- بسبب زحمة الحجاج فى المشاعر المقدسة، وبطء السير فى الطرق بين منى والمشعر وعرفات وبالعكس، من المناسب استخدام الأساليب الحديثة فى النقل. ونقترح فى هذا المجال أربعة خطوط للقطارات الكهربائية (ترامواى): اثنان منها فى الأنفاق الأرضية، واثنان فوق الارض؛ لنقل الحجاج بين المشاعر، مما سيكون له أكبر الأثر فى إزالة تلوث الجو، وتقليل تعب الحجاج الراكبين والراجلين.

۴/ ۳- لتلطيف الجوّ فى المشاعر وتنظيفه، نقترح شتل أشجار مقاومة للحرارة والجفاف مثل الكاليبتوس، وستعمل هذه الأشجار على تطهير الجوّ أيضا لما تفرزه من غازات مطهّرة.

۵/ ۳- قدمنا من قبل اقتراحاً لمسألة الحلق، وما يجرّه من وضع مزر يهدد سلامة الحجاج فى منى. وذكرنا ضرورة تخصيص محل خاص بالحلق، ووضع أكياس نايلون تحت تصرّف القوافل لجمع الشعر فيها. ونحن نؤكد هنا هذا الاقتراح.

۶/ ۳- توقف الحافلات إلى جانب مكاتب منى يحول دون قراءة لافتات الحملات. نرجو الإيعاز إلى الجهات المختصة بمنع وقوف وسائط النقل جوار الخيام.

۷/ ۳- الجسور المؤدية إلى رمى الجمرات من الطابق الأعلى كانت فى اليومين ۱۱ و ۱۲ ذى الحجة مسدودة حتى الظهر، مما أدى إلى ازدحام شديد

ص: ۱۵۳

حول الجسور. ومثل هذا العمل قد يؤدى إلى بروز حوادث سيئة بسبب شدة الحرارة وحيرة الحجاج، ويؤدى إلى هجوم مباغت من قبل المتجمعين بعد فتحه مما قد يعرّض الحجاج إلى الخطر. نأمل اتخاذ أسلوب أفضل للسنة القادمة.

*** ه- المسائل العامة

۱- مشكلة السرقات فى الأماكن المزدحمة وخاصة فى الحرمين الشريفين، واختطاف الأفراد وضربهم من أجل سلب أموالهم ظاهرة مشهودة فى الموسم الماضى، ويمكننا أن نضعكم فى صورة تفاصيل تلك الحوادث. لذلك نرى من الضرورى استخدام عدد أكبر من البوليس السرّى لصيانة أمن الزائرين بشكل أدق وأكمل.

۲- عدم وجود نظام ودائع صحيح لأموال الحجاج من المشاكل الموجودة فى موسم الحج، ولابدّ من التفكير فى حلّ لها.

۳- انتشار الأمراض المسرية من المشاكل التى تؤذى الحجاج كل عام، وقد يعود الحاجوهو مبتلى لأشهر بهذه الأمراض، من‌هنا لابد- كما ذكرنا سابقاً- من إجراء دراسات تخصصية موسعة فى هذا المجال. وأعرب مرة أخرى عن استعداد اللجنة الطبية لحج الجمهورية الإسلامية الإيرانية للتعاون فى هذا المجال.

جدير بالذكر أن عدم الاهتمام اللازم بالنظافة فى المشاعر والمسجد الحرام، وخاصة فى قسم مياه زمزم ومحلات الوضوء والمرافق يوفّر الأرضية المساعدة لانتشار هذه الأمراض، وهذا يستلزم مزيداً من الاهتمام بالتوجيه الصحى للحجاج.

۴- المسائل المرتبطة بوراثة الحجاج المتوفين فى المملكة سواء من نقل منهم إلى إيران أو دفن هناك تتطلب فى الأجهزة القضائية الإيرانية شهادة وفاة من الشرطة السعودية.

لكن الحصول على هذه الشهادة من

ص: ۱۵۴

الشرطة فيه صعوبات جمّة. نرجو الإيعاز بتقديم التسهيلات اللازمة.

۵- من الضروری تنظیم توزّع الناس فی المسجد الحرام بحیث لا- یزاحم المصلی الطائف، ولا الماشی المصلیَ، ولا مستلم الحجر حركةَ الطواف، ولا المارةُ الساعينَ بين الصفا والمروة. وهذا يحتاج الى خطة تحول دون التداخل الحالى.

۶- لعل جميع الحجاج القادمين إلى الحرمين الشريفين يودّون أن يقضوا أكثر أوقاتهم فى العبادة بالحرمين الشريفين. وهذا الهدف يتحقق فى مكة المكرمة حيث المسجد الحرام يستقبل الناس ليل نهار. لكن ذلك متعذر فى المدينة المنورة، بسبب الإسراع فى غلق المسجد النبوى الشريف بعد صلاة العشاء. ثمة مطالب كثيرة أحملها من الايرانيين تدعو حكومة المملكة العربية السعودية إلى فتح أبواب المسجد النبوى خلال موسم الحج على الأقل فى الليل أيضاً.

۷- فى المدينة المنورة وخاصة فى البقيع يواجه الحجاج موانع ومشاكل، من ذلك على سبيل المثال منعهم من الذهاب تحت مظلة البقيع، وكون الطرق المؤدية إلى المسجد النبوى ترابية. من المناسب اتخاذ مايلزم لإزالة هذه الظواهر. ومن الطبيعى أن حجاجنا سوف يتعاونون على حفظ الانضباط والنظام فى هذه الأماكن الشريفة.

۸- الارتباط عن طريق الهاتف العمومى بإيران من المملكة، وخاصة من المدينة ما كان متيسراً خلال الموسم الماضى. وكان اسم إيران محذوفاً من قائمة «الكود» فى الهواتف العمومية. وهذا يترك انطباعاً سيئاً لدى الحجاج لايتناسب مع العلاقات الودية بين بلدينا؛ لأنهم يشعرون بنوع من التمييز بينهم وبين سائر حجاج البلدان الإسلامية. من المؤمل أن لا يتكرر مثل ذلك فى السنوات القادمة.

۹- بعد طلبنا إقامة عدد من الخطوط الدولية والداخلية، فقد تمّ

ص: ۱۵۵

نصب بعض التلفونات المطلوبـة، لكن الهواتف الدولية كانت بين الفينة والأخرى تتوقف عن العمل بحيث أدى إلى ارتباك الأمور فى البعثة، وما عاد إرسال الفكس إلى إيران مقدوراً.

وأحياناً كان الارتباط الدولى ينقطع تماماً، ويتحول الهاتف إلى داخلى فقط.

وكانت هـذه المشـكلة تواجهنا حتى فى مكاتب الهاتف، فيقولون: إن خط إيران «خربان». بينما كانت مـدارات الارتباط بإيران سالمة، وكـان من الممكن الارتباط بايران فى المنازل والفنادق. وهـذه المشاكل أثارت اعتراض حجاجنا خاصـة أولئك الـذين اشتروا كارت الاتصال من فئـة ۱۰۰ ريـال أو ۵۰ ريالًـا. وهكـذا كـان من المقرر حسب الاتفـاق منحنـا تلفونات جوّالـة، وكتبنا إلى دائرة الهاتف فى المدينة المنورة ومكة المكرمة طالبناهما بخمسة تلفونات جوّالة. ولكن طلبنا بقى دون جواب.

نقترح ايصال نسـخة من اتفاقنا إلى الجهات المختصـة بسـرعة، وأن يتعين ممثل عن دائرة الهاتف فى كل من مكـة المكرمـة والمـدينة المنورة وجدّة للاتصال به عند اللزوم.

۱۰- واجه الحجـاج هـذا العـام فى المسـجد النبوى الشـريف مزيـداً من العنت والتضـييق. فقـد كـان مأمورو الأمر بالمعروف فى الحرم يقتحمون صـفوف الحجاج الجالسـين بانتظام وهـدوء لتلاوة الـدعاء، فينتزعون كتاب الدعاء من يد الحاج، مما يؤدى إلى استياء شديد بينهم. نطالب بإصدار التعليمات اللازمة لمنع هذه التصـرفات المشـينة التى تترك أسوأ الآثار فى نفوس الحجاج. طبعاً، نحن نؤيد تمام التأييد أىعمل إرشادى للحجاج خاصة فى موسم الحج بمعزل عن الإهانات والإثارات الطائفية.

معالى الأخ الوزير

نحن نؤمن بأن السبيل الوحيـد للتغلب على المشاكل والنقائص هو تظافر جهود كل البلدان الإسـلامية اسـتجابة لقوله سبحانه: وتعاونوا على البرّ والتقوى، دون أن يكون

ص: ۱۵۶

للاختلافات السیاسیة والجغرافیة واللغویة والمذهبیة دور فی عملیة بذل الجهود.

من هنا فإننا نکرر اقتراحنا بضرورة اشتراک متخصصین من کل البلدان الإسلامیة بإشراف المملکة العربیة السعودیة من أجل إجراء دراسات معمقة لکل المسائل التنفیذیة للحج والتوصل إلی أنجع الحلول.

إنکم قادرون علی بثّ روح «الاستباق للخیرات» بین المسلمین فی هذا المجال، وسیکون لهذا الأمر نتائج ملموسة تعود بالخیر والبرکة علی حجاج بیت اللّه الحرام، وعلی الجوّ الإسلامی المعنوی للحج.

أغتنم الفرصة لأرفع إلیکم تحیات أخویة عطرة أحملها من معالی وزیر الثقافة والإرشاد الإسلامی فی الجمهوریة الإسلامیة الإیرانیة إلی معالیکم، کما أحمل إعلان استعداد الوزارة کاملة للتعاون الأخوی مع حکومة المملکة العربیة السعودیة وشخصکم الکریم، وکل العاملین فی حقل الحج.

فی الخاتمة أسأل اللّه سبحانه أن یمنّ علینابفضله وکرمه لأن نصل إلی ما نصبو الیه جمیعاً عن طریق تعاون جادّ مخلص بین الحکومتین الإیرانیة والسعودیة.

إن ما تلمسناه فیکم من روح تطویر للحج وتقبل للاقتراحات، وتفهّم للمشاکل، وتحرٍّ للنقائص هو الذی شجعنا علی الکتابة إلیکم، وإننا إذ نطرح هذه المشاکل نعلن ثانیة عن استعدادنا للتعاون معکم فی التوصل إلی حلول بشأنها، وأملنا أن نکون قد قطعنا بهذا الکتاب خطوة أخری علی طریق التعاون مثلما تلمسنا أثر مثل هذه الکتابة من قبل. وما توفیقی، إلّا باللّه علیه توکلت وإلیه أنیب.

والسلام علیکم ورحمة اللّه وبرکاته

أخوکم محمد حسین رضائی

رئیس منظمة الحج والزیارة فی الجمهوریة الإسلامیة الإیرانیة

الحرم المکّی فی مرآة الفقه (۲) خصوصیات مکّة المکرّمة

ص: ۱۵۷

الحرم المکّی فی مرآة الفقه (۲) خصوصیات مکّة المکرّمة

عبدالکریم آل‌نجف

فی دراستنا السابقة تحدّثنا عن الخصوصیات الشرعیة للحرم المکّی؛ ونحاول الآن فی هذه الدراسة تسلیط الأضواء علی الخصوصیات الشرعیّة لمدینة مکّة، ومن الطبیعی أن لا نتناول الخصوصیات المشترکة بینهما التی مر البحث فیها آنفاً کخصوصیة الأمن.

۱- کراهة السکنی فی مکّة

ذکر الفقهاء کراهة المجاورة فی مکّة: منهم الشیخ المفید فی المقنعة (۱) والشیخ الطوسی فی النهایة (۲)، والمبسوط (۳)، وابن البراج الطرابلسی فی المهذب (۴)والعلامة الحلی فی تبصرة المتعلمین (۵)، وتلخیص المرام (۶)، وقواعد الأحکام (۷)، والمحقّق الحلّی فی الشرائع (۸)، وعدّه الشهید الأول فی الدروس الشرعیة الرأی المشهور فی المسألة (۹)، وفی المدارک للسیّد محمّد العاملی أنهُ المعروف بین الأصحاب (۱۰) وإن اختار تقیید الکراهة بما إذا کانت الإقامة سنةً تامة متواصلة مع الخوف من ملابسة

۱- ۱ مروارید، علی اصغر، الینابیع الفقهیّة ۷: ۹۵.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۲۱۹.

۳- ۳ المصدر نفسه ۳۰: ۲۶۰.

۴- ۴ المصدر نفسه ۷: ۳۳۳.

۵- ۵ المصدر نفسه ۳۰: ۲۹۴.

۶- ۶ المصدر نفسه: ۳۴۲.

۷- ۷ المصدر نفسه ۸: ۷۶۳.

۸- ۸ المصدر نفسه ۸: ۶۴۶.

۹- ۹ المصدر نفسه ۳۰: ۴۶۶.

۱۰- ۱۰ العاملی، محمّد بن علی، المدارک ۸: ۲۷۱.

ص: ۱۵۸

الـذنب، وفى الدروس الشـرعية قيّد الشـهيد الأول الكراهة بما إذا لم يأمن نفسه من الوقوع فى المحذورات فإذا أمن ذلك اسـتحبت له الإقامة فى مكة، وفى رياض المسائل أنّ الأخذ بما هو المشهور- وهو الكراهة مطلقاً- أولى (۱)، ومال إليه صاحب الجواهر (۲).

ومنشأ الاختلاف فى المسألة، النصوص المختلفة، فقد وردت فى الوسائل إحدى عشرة رواية تؤيد رأى المشهور: منها روايات صحيحة معتبرة كرواية الحلبى عن الصادق عليه السـلام قال: «سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن قول اللَّه عزّوجلّ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (۳)

فقال: كل الظلم فيه إلحاد، حتى لو ضـربت خادمك ظلماً خشـيت أن يكون إلحاداً» فلـذلك كان الفقهاء يكرهون سـكنى مكّـة» (۴)، ورويت تحليلات أخرى كالتحليل بأنّ المجاورة فيها تُقسى القلب (۵)، وأن من سارع إلى الخروج منها دام شوقه إليها (۶).

وإلى جانب ذلك وردت أخبار أخرى تقيـد الإقامـة فى مكـة بمـدة أقل من سـنة كما عن الباقر عليه السـلام: «لا ينبغى للرجل أن يقيم بمكّة سنة، قلت: كيف يصنع؟ قال:

يتحوّل عنها ..» (۷)، وأخبـار أخرى تـدل على اسـتحباب الإقامـة مطلقاً كالخبر المروى عن على بن مهزيار «قال: سألت أبا الحسن عليه السلام المقام بمكّة أفضل أو الخروج إلى بعض الأمصار؟ فكتب: المقام عند بيت اللَّه أفضل» (۸).

وقـد ظهر إزاء ذلك اتجاهان فقهيّان، اتّجاه يحاول الجمع بين الأخبار بهذا الوجه، وذلك كما فى المدارك حيث كتب يقول: «والذى يقتضـيه الجمع بين هـذه الروايـات كراهـة المجـاورة سـنة تامّـة حيث لاـ يخرج فيها إلى غيرها، وكـذا ما دونها مع الخوف من ملابسـة الـذنب، واسـتحبابها على غير هـذين الوجهين، وربمـا جمع بينهما بحمل أخبار الترغيب على المجاورة للعبادة، وحمل ما تضـمن النهى عن المجاورة لغيرها كالتجارة ونحوها، وهو غير واضح» (۹).

واحتمل فى الجواهر «كون مراد القائل استحباب الجوار من حيث كونه

۱- ۱ الطباطبائى، السيّد على، رياض المسائل ۷: ۱۵۶.

۲- ۲ النجفى، محمّد حسن، جواهر الكلام ۷: ۲۷۸- ۲۷۹.

۳- ۳ سورة الحجّ: ۲۵.

۴- ۴ الحر العاملى، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة ۱۳: ۱۳۱- ۲۳۲.

۵- ۵ المصدر نفسه: ۲۳۴- ۲۳۵.

۶- ۶ المصدر نفسه: ۲۳۴.

۷- ۷ المصدر نفسه: ۲۳۳.

۸- ۸ المصدر نفسه: ۲۳۲.

۹- ۹ العاملى، محمد بن على، المدارك ۸: ۲۷۲.

ص: ۱۵۹

جواراً لا ـ من حیث العبادات الأخری من طواف ونحوه، وبـذلک یظهر لک عـدم التنافی بین النصوص» (۱)، وعلی ذلک سار الفاضل الهنـدی فی کشف اللثام (۲) والاتجاه الآخر یرفض الجمع ویتمسّک بالکراهـة المطلقـة. کما فی ریاض المسائل حیث کتب یقول ردّاً علی کشف اللثام: «ومقتضـی الأصول وان کان لزوم تقیید إطلاق ما سبقها بها، إلّاأنّ التعلیلات فیها کادت تلحقها بالنصّ علی الکراهة مطلقاً، سیما التعلیل بإیراثها قساوة القلب، وأنه أمر غیر اختیاری، فیکون التعارض بینهما من قبیل تعارض النصّین، ولا ریب بأنّ الأخذ بما هو المشهور أولی .... فالکراهة لا معارض لها من قبیله فصاعداً لیتوقف فی الفتوی بها مسامحة» (۳).

والشیء الذی یهمّنا فی هذه الدراسة بیان هذه الخصوصیة لمکّة المعظمة سواء کانت الکراهة مطلقة أم مقیّدة.

۲- حکم البناء أعلی من الکعبة

اشـتهر بین الفقهاء کراهة البناء أعلی من الکعبة الشـریفة بالنسـبة الی أهل مکّة. و هو الظاهر من عبارة الشیخ فی المبسوط (۴) و النهایة (۵) و صرح به العلامة فی قواعد الأحکام (۶) وإرشاد الأذهان (۷)، وکذلک الشهید الأول فی الدروس (۸)، والمحقّق فی الشرائع (۹) والمختصر (۱۰) ومـال إلیه الشـیخ النجفی فی الجـواهر (۱۱). وهنـاک قـول آخر فی المسألـة وهـو الحرمـة، وقـد نُسب هـذا القـول فی المدارک إلی الشیخ وجماعة (۱۲). وقـد مرّ أن الظاهر من رأی الشـیخ فی النهایـة والمبسوط الکراهـة لاسـتعماله عبارة «لا ینبغی ...» الظاهرة فی الکراهـة. والظاهر من عبارة القاضـی ابن البراج الحرمـة (۱۳) ونص العلّامـة فی تلخیص المرام بقـوله: «یحرم الارتفـاع علی الکعبة بالبناء ..» (۱۴) ومدرک المسألة عند الجمیع صـحیحة محمّد بن مسـلم عن الإمام الباقر علیه السـلام أنه قال: «لا ینبغی لأحد أن یرفع بناء فوق الکعبة» (۱۵) وهی

۱- ۱ النجفی، محمّد حسن، جواهر الکلام ۷: ۲۷۹.

۲- ۲ الفاضل الهندی، کشف اللثام ۱: ۳۸۵ س ۴.

۳- ۳ الطباطبائی، السیّد علی، ریاض المسائل ۷: ۱۵۵.

۴- ۴ مروارید، علی اصغر، الینابیع الفقهیّة ۳۰: ۲۵۹.

۵- ۵ المصدر نفسه ۷: ۲۱۸.

۶- ۶ المصدر نفسه ۸: ۷۶۳.

۷- ۷ المصدر نفسه ۳۰: ۳۲۳.

۸- ۸ المصدر نفسه: ۴۶۷.

۹- ۹ المصدر نفسه ۸: ۶۴۶.

۱۰- ۱۰ المصدر نفسه ۸: ۶۸۰.

۱۱- ۱۱ النجفی، محمّد حسن، جواهر الکلام ۷: ۲۶۷.

۱۲- ۱۲ العاملی، محمّد بن علی، المدارک ۸: ۲۵۷.

۱۳- ۱۳ مروارید، علی اصغر، الینابیع الفقهیّة ۷: ۳۲۴.

۱۴- ۱۴ المصدر نفسه ۳۰: ۳۴۲.

۱۵- ۱۵ الحر العاملی، محمّد بن الحسن، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۳۳.

ص: ۱۶۰

ظاهرة بالکراهـة، وروی الشیخ المفیـد فی المقنعة أن الإمام الصادق علیه السـلام «نهی أن یرفع الإنسان فی مکّة بناء فوق الکعبة» (۱). وهـذه العبارة تحتمل الحرمـة، لکن الروایـة مرسـلة خالیـة من الإسـناد، ولـذلک قال فی المدارک: إنّ القول بالتحریم «مناسب للتعظیم إلّاأن الأشبه الکراهیة لأصالة عدم التحریم، ولقوله علیه السلام فی صحیحة محمّد ابن مسلم، ولا ینبغی ..».

ثمّ إنّ البناء یشـمل الدور وغیرها، ومنه حیطان المسجد الحرام نفسه فیجری علیها الحکم، والظاهر من رفع البناء أن یکون ارتفاعه أکثر من ارتفـاع الکعبـة من حیث الأصـل، فلاـ یکره البناء علی الجبال المرتفعـة بأصـلها علی بناء الکعبـة، واحتمل الفاضل الهنـدی شـمول الکراهة لهذه الحالة أیضاً (۲).

۳- سواء العاکف فیه والباد

ومن خصوصـیّات مکّة أیضـاً ما دلّ من النصوص علی ما لحجاج المسـلمین من الحقّ فی نزول دورها حتی یقضوا حجّهم، ونهی أهل مکّة عن وضع الأبواب والمصاریع لـدورهم، وقد صـیغ الحکم فی المسألة تارة بصورة حرمة منع الحاج من دور مکّة، وأخری بصورة کراهـة ذلـک، ونُسب القول بـالتحریم إلی الشـیخ، وان کان کلامه فی المبسوط (۳) والنهایة (۴) مشـعر بالکراهة لاستعماله عبارة «لا ینبغی» الظـاهرة فی ذلک، وفی المهـذب للقاضـی ابن البراج «لیس لأحـد أن یمنع الحاج موضـعاً من دور مکّة» (۵) وهو مـا یفهم منه القول بـالتحریم، وفی تلخیص المرام للعلّامـة أنهُ یحرم منع الحاج دور مکّة علی رأی (۶)، واسـتدل فخر المحقّقین فی شرح القواعد- کما حکی عنه- بأن مکة کلها مسجد لقوله تعالی: سبحان الذی أسری بعبده لیلًا من المسجد الحرام ... وکان الإسراء من دار أم هانی، وإن کانت کذلک فلا یجوز منع أحد منها لقوله تعالی: سواء العاکف فیه والباد (۷).

وعلّق صاحب المدارک علیه بأنهُ استدلال ضعیف، أمّا، أولًا فلأن الإجماع

۱- ۱ مروارید، علی اصغر، الینابیع ۷: ۹۵.

۲- ۲ الفاضل الهندی، کشف اللثام ۱: ۳۸۴ س ۱۸.

۳- ۳ مروارید، علی اصغر، الینابیع الفقهیّة ۳: ۲۵۹.

۴- ۴ المصدر نفسه ۷: ۲۱۸.

۵- ۵ المصدر نفسه: ۳۲۴.

۶- ۶ المصدر نفسه ۳۰: ۳۴۲.

۷- ۷ العاملی، محمّد بن علی، المدارک ۸: ۲۵۵- ۲۵۶.

ص: ۱۶۱

القطعی منعقـد علی خلافه، وأمّـا ثانیـاً فلمنع کون الإسراء من بیت أم هـانی، ثمّ لو سـلمناه لجـاز مروره بالمسجد الحرام؛ لیتحقق منه الإسراء حقیقة إلی المسجد الأقصی (۱). وردَّ صاحب الجواهر علیه أیضاً بأنهُ «منافٍ للإجماع بقسمیه علی عدم کونها مسجداً، مع منع کونه فی الدار المزبورة» (۲) ویبدو من «ریاض المسائل» أنه فهم من کلام الشیخ القول بالحرمة، وقد مرّ أن کلامه فی المبسوط مشعر بالکراهة، ثمّ ردَّ صاحب الریاض علی الشیخ بأنّ القول بالحرمة ضعیف «لشذوذ القول به ودعوی الإجماع القطعی فی السرائر والمدارک علی خلافه، مضافاً إلی الأصل وأظهریة دلالة الصحاح علی الکراهة من الحسنة علی الحرمة» (۳).

غیر أن التدقیق فی کلام السرائر والمدارک لا یدل علی ادعاء الإجماع بالخلاف، أمّا عبارة المدارک فقد مرّت، والإجماع المدّعی فیها لیس علی عدم الحرمة، وإنّما علی أن مکة لیست مسجداً کما هو الواضح من عبارة الجواهر أیضاً.

وأمّا عبارة السرائر فهی فی سیاق بیان ما هو الدلیل علی أصل الحکم، حیث استدل الشیخ فی المبسوط بالآیة: سواء العاکف فیه والباد علی قوله: «لا ینبغی أن یُمنع الحاج شیئاً من دور مکـة» فأراد ابن إدریس أن یرد علیه بأنّ الآیـة لا تصلح للاستدلال، وإنّما الدلیل هو الإجماع حیث کتب یقول معلّقاً: «للإجماع علی ذلک فأمّا الاستشهاد بالآیة فضعیف، بل إجماع أصحابنا منعقد وأخبارهم متواترة، فإن لم تکن متواترة فهی متلقاة بالقبول لم یـدفعها أحـد منهم، فالإجماع هو الـدلیل القاطع علی ذلک دون غیر، فأمّا الآیـة وهو قوله تعالی: سواء العاکف فیه والباد فإنّ الضمیر راجع الی ما تقدّم وهو نفس المسجد الحرام دون مکّة جمیعها، وأیضاً قوله تعالی: لا تدخلوا بیوتاً غیر بیوتکم حتی تستأنسوا فحظر علینـا عزّوجـلّ دخول غیر بیوتنـا، فأمّـا من قال: لا یجوز بیع رباع مکّة ولا اجارتها، فصحیح إنّ أراد نفس الأرض؛ لأنّ مکة أُخذت عنوة بالسیف فهی لجمیع المسلمین لا تُباع ولا توقف ولا تستأجر ..» (۴) فسواء کان کلام الشیخ فی المبسوط

۱- ۱ المصدر نفسه.

۲- ۲ النجفی، محمّد حسن، جواهر الکلام ۷: ۲۶۶.

۳- ۳ الطباطبائی، السیّد علی، ریاض المسائل ۷: ۱۵۷.

۴- ۴ مروارید، علی اصغر، الینابیع ۸: ۵۸۷.

ص: ۱۶۲

یـدل علی التحریم أو الکراهة، فإن تعلیق ابن إدریس علیه جاء فی سیاق تنقیح الدلیل ولم یرد لبیان الرأی المختار فی المسألة، أی أنهُ فی سیاق تأکید کلام الشیخ لا ردّه، وقد اعتمد صاحب المدارک وصاحب الجواهر علی عبارة «لیس ینبغی» و «لم یکن ینبغی» الورادة فی أکثر نصوص المسألة وأدلتها أساساً لاختیار القول بالکراهة، منها صـحیحة حفص بن البختری عن أبی عبداللّه الصادق علیه السلام أنهُ قال:

«لیس ینبغی لأهل مکّة أن یجعلوا علی دورهم أبواباً، وذلک أن الحاج ینزلون معهم فی ساحة الدار حتی یقضوا حجّهم» (۱).

وفی حسـنة الحسـین بن أبی العلاء أن الإمام الصادق علیه السـلام ذکر آیة سواء العاکف فیه والباد وقال: «کانت مکّة لیس علی شـیء منها باب، وکان أوّل من علّق علی بابه المصـراعین معاویـة بن أبی سـفیان، ولیس ینبغی لأحـد أن یمنع الحاج شـیئاً من الدور منازلها» (۲).

ویلاحظ فی أکثر نصوص المسألـة استشـهاد الإمام علیه السـلام بآیـة سواء العاکف فیه والباد والإشارة إلی معاویة بکونه أوّل من أغلق داره بوجه الحـاج، وهو مـا یـدل علی أن المراد بالمسـجد الحرام فی قوله تعـالی: إنّ الـذین کفروا ویصـدون عن سبیـل اللّه والمسـجد الحرام الذی جعلناه للناس سواء العاکف فیه والباد (۳)

ما یعمّ مکّة، ویؤیده ما ورد آنفاً من الروایات التی فسّرت ذیل الآیة وهو قوله تعالی:

ومن یرد فیه بإلحـاد بظلم نـذقه من عـذاب ألیم بأنّ المراد بالضـمیر المجرور فی «فیه» هو مکّـة أیضاً، وهو ما أدی إلی اسـتنباط کراهة المجـاورة بمکّـة، ولـذا ردّ فی الجواهر علی ابن إدریس زعمه بأنّ الآیـة غیر صالحـة للاسـتدلال، ونصّ علی أن الأولی الاسـتدلال بها وبالروایات التی فسرتها.

وعلی صعید الفقه السنی، لخّص سید قطب فی سیاق تفسیر الآیة آراء فقهاء أهل السنة فی المسألة فکتب یقول:

«وقد اختلفت أقوال الفقهاء فی جواز الملکیة الفردیة لبیوت مکّة غیر

۱- ۱ الحر العاملی، محمّد بن الحسن، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۶۹.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۲۶۹.

۳- ۳ سورة الحج: ۲۵.

ص: ۱۶۳

المسكونة بأهلها، وفی جواز كراء هذه البیوت عند من أجاز ملكیتها، فذهب الشافعی رحمه الله إلی أنّها تملك وتورث وتؤجر محتجّاً بما ثبت من أن عمر بن الخطاب اشتری من صفوان بن أمیة داراً بمكة بأربعة الآف درهم فجعلها سجناً، وذهب اسحق بن راهویه إلی أنّها لا تورث ولا تؤجر، وقال: توفی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وأبو بكر وعمر وما تدعی رباع مكّة- جمع ربع- إلّاالسوائب، من احتاج سكنَ ومن استغنی اسكن. وقال عبد الرزاق عن مجاهد عن أبیه عن عبداللَّه بن عمر أنه قال:

لا- یحل بیع دور مكة ولا كرؤها، وقال أیضاً عن ابن جریج: كان عطاء ینهی عن الكراء فی الحرم، وأخبرنی أن عمر بن الخطاب كان ینهی عن تبویب دور مكّة؛ لأن ینزل الحاج فی عرصاتها .... وتوسط الإمام أحمد فقال: تملك وتورث ولا تؤجر جمعاً بین الأدلة» (۱).

۴- السلطة علی مكّة

ونحن إذا ما تمعنّا فی الآیة أكثر، وجدناها تنطوی علی أبعاد هامة وجدیرة بالدراسة المستفیضة، فمن الواضح أنّها فی سیاق إبراز خصوصیة لمكة، وبیان ما تمتاز به عن سائر المدن والأماكن. وهی خصوصیة تساوی جمیع المسلمین فی العالم من حیث ما لَهم من الحقّ فیها، وإنّ نسبة الجمیع إلیها واحدة سواء كان عاكفاً فیها ومن أهلها أو نائیاً عنها سواء العاكف فیه والباد، وهذا یعنی بالنتیجة أنّ المسلمین لا یتساوون فی المدن والبلدان الأخری، ففی مدینة كبغداد وبلد كالعراق لابدّ من التسلیم بحقّ خاص لأهالی هذه المدینة وسكان هذا البلد فیه بحیث لا یتساوی غیرهم معهم فیه، وإن كان الغیر مسلماً، ولیس ذلك إلّاحقّ إدارة المدینة أو البلد المذكور من قبل أهله ضمن قوانین الإسلام وأحكامه، ومن الطبیعی أن هذا الحقّ محفوظ لهم ما دام الحكم القائم إسلامیاً. فإن اخلوا بذلك سقط هذا الحقّ الذی یعبّر عنه بالاصطلاح السیاسی الحدیث ب «حق تقریر المصیر» وأصبح

۱- ۱ سید قطب، فی ظلال القرآن ۵: ۵۹۱.

بإمكان المسلمين الآخرين القيام بواجب إدارة البلد؛ لأنّ قوانين الإسلام لا تعطل بحال من الأحوال.

ومن خلال المقابلة والمقارنة بين مكّة وسائر المدن والبلدان من هذه الجهة، نفهم أنّ الحق الذى يتساوى المسلمون جميعاً فيه بالنسبة إلى مدينة مكة المكرمة ليس حقّاً عبادياً خاصاً بأداء مراسم الحج، وإنّما هو حقّ عبادى واجتماعى وسياسى شامل، وأنّهم جميعاً شركاء فى حقّ تقرير مصير هذه المدينة التى جعلها اللَّه عاصمة للتوحيد فى الأرض، والمسلمون هم حمَلَة راية التوحيد وبالتالى فهم جميعاً أبناء هذه العاصمة، وهم مكيون وان لم يقيموا فيها، ولو أن الحقّ المشترك للمسلمين فى مكة كان حقاً عبادياً فقط لم يعد وجه لاستشهاد الأئمة عليهم السلام بهذه الآية فى النصوص المروية عنهم فى مسألة كراهة منع الحاج شيئاً من دور مكة، فإنّ هذه المسألة تدلل على أن الحق المشترك للمسلمين فى مكّة أوسع من الجانب العبادى وأنه يشمل جانباً اجتماعياً.

صحيح أن الآية الذين كفروا ويصدّون عن سبيل اللَّه والمسجد الحرام الذى ... نزلت بشأن مشركى مكّة ومحاولاتهم منع المؤمنين من الطواف والعبادة فى المسجد الحرام، لكن ذلك لا ـ يقيد المساواة المجعولة فى الآية الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد، فالجعل مطلق يعمّ العبادة وغيرها، وإن كان مورد الآية أمراً عبادياً خاصّاً.

وحتى لو قلنا بأنّ المساواة المجعولة خاصة بالعبادة وشؤونها، فإنّ ذلك لا يقلل من شأنها، وذلك نظراً إلى أن مكة مدينة قوامها العبادة وأساس وجودها ذلك بحيث لا تعرف إلّابها، وليس هناك مدينة تزيد عليها من هذه الجهة، وبالتالى فإنّ الإيمان بحق مشترك لجميع المسلمين بممارسة الشؤون العبادية فى مكة يعنى حقهم المشترك فى تنظيم هذه الشؤون، وإدارة ما يرتبط بها من الأمور التى تبدأ من العبادة، ثمّ تصبح من خلال الحلقات المتصلة بها اجتماعية وسياسية، وهكذا يبدأ

ص: ۱۶۵

الحق المشترک للمسلمین فی مکة عبادیاً، ثمّ یتطوّر فیصبح اجتماعیاً وسیاسیاً، وما مسألة کراهة منع الحاج من سکنی دور مکة إلا تعبیراً عن هذا التطور الطبیعی، ومن الناحیة العملیة توجد صورتان لتجسید هذا الحقّ.

۱- صورة وجود دولة إسلامیة واحدة تحکم العالم الإسلامی مرکزیاً.

۲- صورة وجود دول متعددة.

والحق الإسلامی المشترک فی مکة لا یواجه مشکلة فی الصورة الأولی؛ لأنّ الدولة الواحدة هی تجسید لإرادة العالم الإسلامی ککل، وبالتالی فإنّ قیام هذه الدولة بتسییر شؤون مکة یعنی أنها تقوم بذلک نیابة عن العالم الإسلامی، وتجسیداً للإرادة الإسلامیة العامة. بحیث یتحقّق معنی سواء العاکف فیه والباد.

ولکن المشکلة تظهر عندما تتعدّد الکیانات الإسلامیة، ویتجزأ العالم الإسلامی إلی بلدان ودول وحکومات متعددة، وتکون السلطة علی مکة جزءاً من کیان دولة معینة وحکومة خاصة، کما هی الحالة القائمة الآن.

وفی مثل هذه الحالة تظهر الحاجة إلی بلورة صیغة معینة من شأنها حمایة مرکزیة العالم الإسلامی من التلاشی والاندثار، والحیلولة دون ضیاع الخصوصیة المکیة، وتجسید الحق المشترک للمسلمین فیها. والصیغة الوحیدة فی ظل الظروف الراهنة هی انتخاب هیئة علیا من علماء المسلمین کافة تقوم بالإشراف علی شؤون مکة المکرمة. وهذه الفکرة التی نقولها لیست جدیدة ولا الأولی من نوعها فی تأریخ مکة. بل إنّ لها جذوراً تمتد إلی أکثر من سبعین سنة سابقة؛ وهی من جملة الأسس التی قامت علیها الدولة السعودیة الحدیثة. وذلک حینما قام شریف مکة الشریف حسین بمنع حجاج نجد من أداء مراسم الحج فی مکة ضمن صراع عنیف کان یدور آنذاک بین سلطنة نجد بزعامة عبد العزیز آل سعود والحجاز بزعامة الشریف حسین، وفی أثناء الصراع وجّه آل سعود خطاباً إلی أهل مکة وجدّة ضمّنه عهداً بأنّ یکون أمر «الحرمین الشریفین شوری بین المسلمین وإلّا یمضی فیهما أمر یضرّ

ص: ۱۶۶

بهما أو بشرفهما؟ أو بأهلهما إلّاما توافق علیه المسلمون وامضته الشریعة» وختم بیانه بالإعلان بأن کل ما جاء فیه شاهد له- أی لآل سعود- أو علیه عند اللَّه وعند جمیع المسلمین، وأنه عهد اللَّه ومیثاقه (۱) ثمّ دعا إلی عقد مؤتمر فی الریاض حضره رجال الدین لمناقشة قضیة مکة، فکان قرار المؤتمر الأخیر ضرورة اللجوء إلی القوة «لتحریر الحجاز» من سلطة الشریف حسین. وکانت المداولات تدور حول أن مکة لیست ملکاً لأحد (۲)، وفی شتاء عام ۱۹۲۴ بدأت المعرکة العسکریة بین الطرفین وسقط الشریف حسین، وحلّ محله ابنه الأمیر علی الذی سرعان ما تنازل لآل سعود، فوجّه آل سعود برقیة إلیه نصّ فیها علی أن «الحرمین الشریفین لیسا ملکاً لأحد، ولکن الأشراف وعلی الأخص والدکم قد اعتبر الحجاز ملکاً خاصاً .... نحن لا نرید سوی تحریر الحجاز للمسلمین ..» (۳).

وقبل وصوله الی الحجاز ابرق عبد العزیز إلی الحکومات الإسلامیة یطلب منهم إرسال مبعوثین للمشارکة فی مؤتمر مکة لدراسة شؤون الحجاز والحرمین الشریفین وذلک فی ۱۰/ ربیع الأول/ ۱۳۴۴ ه إلّاأن أحداً لم یستجب للدعوة سوی جمعیة الخلافة فی الهند، وفی أثناء ذلک اجتمع علماء جدّة؛ لدراسة مستقبل الحجاز وقرروا مبایعة آل سعود مَلکاً علیه، وأن الحجاز للحجازیین، وأمضی آل سعود قرارهم هذا رسمیاً فی ۲۵/ جمادی الآخرة/ ۱۳۴۴ ه (۸/ کانون الثانی/ ۱۹۲۸ م) (۴) وهذه بدایة التنازل عن العهود والمواثیق التی قدّمها للعالم الإسلامی.

ثمّ وجّه دعوة ثانیة إلی حکومات العالم الإسلامی لعقد مؤتمر فی مکة للتداول فی شأن الحجاز، وفی ۲۶/ ذی القعدة/ ۱۳۴۴ ه عقد هذا المؤتمر أوّل جلساته، وحضرته وفود من السودان وبیروت وفلسطین ومصر وروسیا وافغانستان والیمن والهند. وفی أثناء المؤتمر ارتفعت أصوات تطالب بتدویل الحجاز إسلامیاً؛ لیتولی المسلمون کافة إدارة شؤون الحجاز تحت إشراف الملک عبد العزیز. لکن

۱- ۱ عسّه، أحمد، معجزة فوق الرمال: ۹۵.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۸۶.

۳- ۳ المصدر نفسه: ۹۶.

۴- ۴ المصدر نفسه: ۱۰۲.

ص: ۱۶۷

الملک عارض التدویل الإسلامی الذی کان قد دعا له، واعتبره عهد اللَّه ومیثاقه علیه، وقال: «إن مصیر الحجاز قد تقرر من قبل شعب الحجاز نفسه .. وإنه لن یسمح لمنظمات غیر رسمیه ولا مسؤولة أن تتدخل بشؤون الحجاز الداخلیة» (۱).

وکان المؤتمر قد عقد ۱۲ جلسة ولم یصل إلی نتیجة، وعزم البعض علی السفر، فقدّم الملک بیاناً للمؤتمر یکشف فیه عن یأسه منه، وعدم تحقیقه الغرض المطلوب منه (۲). وهکذا تم التنصل من العهود والمواثیق السابقة، وظل الحجاز یحکم حکماً ذاتیاً من قبل الحجازیین بعیداً عن التدویل الإسلامی المنشود زهاء ست سنوات، حتی صدر مرسوم ملکی فی ۱۸/ أیلول/ ۱۹۳۲ بتوحید المقاطعات التی أقامها عبد العزیز فکانت المملکة العربیة السعودیة، وعاد الحجاز واحدة من تلک المقاطعات الخاضعة للحکم المرکزی فی الریاض.

إنّ الخصوصیتین الثالثة والرابعة تجسّدان ضرورة ظهور مکة المکرمة کوطن مشترک لجمیع المسلمین، ومدینة تحمل صفة الدولیة الإسلامیة، وترمز إلی نقطة مرکزیة فی العالم الإسلامی، وتجسّد وحدة المسلمین کأمّة وککیان سیاسی.

وقد تمت استفادة هاتین الخصوصیتین من آیة سواء العاکف فیه والباد، بما یوضّح مدی اندکاک الحج بالسیاسة، ومدی الحاجة إلی تحریک وتفعیل الفقه السیاسی للحج.

۵- آداب الدخول إلی مکّة

ومن خصوصیات مکة المکرمة ما ذکره الفقهاء من الآداب والمستحبات عند دخولها، کالغسل ومضغ الأذخر والدخول إلیها من أعلاها، وأن یکون الداخل حافیاً وعلی سکینه ووقار.

أمّا الغسل فمستنده أخبار عدیدة منها حسنة الحلبی قال: «أمرنا أبو عبداللَّه علیه السلام أن نغتسل من فخ قبل أن ندخل إلی مکّة» (۳) وقال علیه السلام أیضاً: «إنّ اللَّه

۱- ۱ المصدر نفسه: ۱۰۹.

۲- ۲ الخطیب، عبد الحمید، الإمام العادل عبد العزیز آل سعود ۱: ۱۵۰.

۳- ۳ الحر العاملی، محمّد بن الحسن، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۰۰ ح ۱.

ص: ۱۶۸

عزّوجلّ قال فی کتابه أن طهّرا بیتی للطائفین والعاکفین والرکع السجود (۱)

، فینبغی للعبد أن لا یدخل مکة إلّاوهو طاهر قد غسل عرقه والأذی وتطهر» (۲).

وهناک أخبار أخری دلّت علی استحباب غسل آخر لـدخول الحرم وثالث لدخول المسجد. وقد استظهر فی المدارک من النصوص أن «مقتضاها استحباب غسل واحد إمّا قبل دخول الحرم أو بعده من بئر میمون الحضرمی الذی فی الأبطح أو من فخ ... أو من المحل الذی ینزل فیه بمکة علی سبیل التخییر وغایة ما یستفاد منها أن إیقاع الغسل قبل دخول الحرم أفضل فما ذکره المصنّف- أی المحقق فی الشرائع- وغیره- کالشیخ فی المبسوط- من استحباب غسل لـدخول مکـة واخر لـدخول المسجد غیر واضح واشکل منه حکم العلامة وجمع من المتأخرین بأستحباب ثلاثة أغسال بزیادة غسل آخر لدخول الحرم» (۳) وردّ علیه فی الجواهر «إنّ النصوص المزبورة ظاهرة الدلالة علی غسلین أحدهما للحرم والآخر لدخول مکّة ... وأمّا الغسل الثالث لدخول المسجد فأنه وإن کنا لم نعثر فی النصوص علی ما یدل علیه لکن یکفی فیه ما عن الخلاف والغنیة من الإجماع علیه» (۴).

والمستند فی استحباب مضغ شیء من الأذخر، ما رواه الکلینی فی حسنة ابن أبی عمیر عن معاویة بن عمار عن الصادق علیه السلام: «إذا دخلت الحرم فخذ من الأذخر فامضغه» (۵).

وقد اختلفت کلمات الفقهاء فی کون ذلک عند دخول مکّة أو عند دخول الحرم، ففی المختصر النافع والوسیلة والمهذب أنه الأول وفی التهذیب والنهایة والمبسوط والسرائر والتحریر والتذکرة والمنتهی والاقتصاد والمصباح ومختصره أنه الثانی. کما حکی ذلک کله فی الجواهر (۶) ثمّ نقول قول الکلینی: «سألت بعض أصحابنا عن هذا فقال: یستحب ذلک؛ لیطیب به الفم لتقبیل الحجر». وعلّق صاحب الجواهر علیه بأنه: «یؤید استحبابه لدخول مکّة بل المسجد وکونه من سنن الطواف» ثمّ استظهر قائلًا: «ولعل الأولی الحکم باستحباب الجمیع». ومنشأ

۱- ۱ سورة البقرة: ۱۲۵.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۲۰۱.

۳- ۳ العاملی، محمّد بن علی، المدارک ۸: ۱- ۷.

۴- ۴ النجفی، محمّد حسن، الجواهر ۷: ۱۵۳.

۵- ۵ الحر العاملی، محمّد بن الحسن، الوسائل ۱۳: ۱۹۸.

۶- ۶ النجفی، محمّد حسن، الجواهر ۷: ۱۵۳.

ص: ۱۶۹

الخلاف قوله علیه السلام: «إذا دخلت الحرم ..» فإنه یحتمل الخصوصیة للحرم ولمکة، کما أن التعلیل بطیب الفم یدل علی أن الخصوصیة للمسجد الحرام.

وأمّا الدخول من أعلاها فمستنده صحیحة معاویة بن عمار عن الصادق علیه السلام فی صفة حج رسول اللّه أنه صلی الله علیه و آله «دخل من أعلی مکّة من عقبة المدنیین، وخرج من أسفل مکّة من ذی طوی» وموثقة یونس بن یعقوب الدالة علیه أیضاً (۱).

وجری بحث بین الفقهاء فی کون الحکم خاصاً بمن أراد المجیء إلیها من المدینة أم أنه عام للجهات الأخری. فحکی فی الجواهر عن المقنعة والتهذیب والمراسم والوسیلة والسرائر أنه خاص واستدل به بأنه مقتضی التأسی بالرسول صلی الله علیه و آله والوارد فی موثقة یونس بن یعقوب. وردّ فی الجواهر أن التأسی یقتضی الأعم، وأن التقیید الوارد فی موثقة یونس مذکور فی کلام السائل (۲) فمن الطبیعی أن یأتیه الجواب مقیّداً بجهة المدنیة، مؤیداً بذلک المحقّقَ فی الشرائع والشهیدین فی الدروس والروضة من عمومیة الحکم للمدنی وغیره.

وأمّا الدخول حافیاً علی سکینة ووقار فدلیله حسنة معاویة بن عمار عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال: «من دخلها بسکینة غفر له ذنبه، قلت: کیف یدخلها بسکینة؟ قال: یدخلها غیرمتکبّر ولامتجبّر» (۳) وفی خبر اسحق عن الصادق علیه السلام:

«لا یدخل رجل مکة بسکینة إلّاغفر له، قلت: وما السکینة؟ قال: بتواضع» (۴).

وهذان النصّان وغیرهما ممّا ورد فی المقام لم یرد فیها ذکر الحفاء، الذی نصّ علیه المحقّق فی الشرائع والنافع ومحکی القواعد والمبسوط والوسیلة، وظاهر الجمل والعقود والاقتصاد و المهذب و السرائر و الجامع، ولذا فسّر صاحب الجواهر ذلک بأنّ الحفاء من التواضع المذکور؛ ولذا ردّ علی کشف اللثام بأنّ توقفه فیه فی غیر محلّه (۵).

وورد فی نص آخر عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال: «إذا هبط الرجل منکم وادی مکّة، فالبسوا خلقان ثیابکم أو سمل ثیابکم، فإنه لم یهبط وادی مکّة أحد لیس فی قلبه من الکبر إلّاغفر له» (۶).

۱- ۱ الحر العاملی، محمّد بن الحسن، الوسائل ۱۳: ۱۹۹، الحدیث الأول والثانی.

۲- ۲ النجفی، محمّد حسن، الجواهر ۷: ۱۵۴.

۳- ۳ الحر العاملی، محمّد بن الحسن، الوسائل ۱۳: ۲۰۲.

۴- ۴ المصدر نفسه: ۲۰۳.

۵- ۵ النجفی، محمّد حسن، الجواهر ۷: ۱۵۴.

۶- ۶ الحر العاملی، محمّد بن الحسن ۱۳: ۲۰۳.

ص: ۱۷۰

۶- وجوب الإحرام لدخولها

فإنه يجب على كل من دخل مكة أن يكون محرماً بحج أو عمرة. وادّعى المدارك الإجماع عليه، وفى محكى الخلاف كذلك، وفى الجواهر أنه لم يجد خلافاً فيه.

ونقل عن المقنع للشيخ الصدوق أن الوجوب ثابت حتى لو دخل مرتين أو ثلاثاً فى السنة، وقد دلّت على ذلك أخبار عديدة منها صحيحة محمّد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام «سألت أبا جعفر عليه السلام: هل يدخل الرجل مكة بغير إحرام؟ قال: لا إلّا مريضاً أو من به بطن» (۱) وفى صحيحة أخرى له عنه عليه السلام «سألته: هل يدخل الرجل الحرم بغير إحرام؟ قال: لا إلّاأن يكون مريضاً أو به بطن» (۲) والنصّ الثانى يوسع الدائرة الى الحرم، ولكن حيث دلّ الدليل على عدم وجوب الإحرام لمن لم يرد النسك، وأراد حاجة خارج مكة؛ لذا فإنه يحمل على من دخل الحرم بقصد الدخول إلى مكة. ولعلّ أشد النصوص لهجة حسنة معاوية بن عمار قال:

«قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوم فتح مكّة: إنّ اللَّه حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض، وهى حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى، ولم تحل لى إلّا ساعة من نهار» (۳).

وحكى فى المدارك عن الشيخ وجماعه استثناء العبيد من هذا الحكم، ونقل عن المنتهى الاستدلال عليه بأنّ السيّد لم يأذن لهم بالتشاغل بالنسك عن خدمته، فإذاً لم تجب عليهم حجة الإسلام لهذا المعنى، فعدم وجوب الإحرام لذلك أولى، ثمّ وصف صاحب المدارك هذا الاستدلال بأنّهُ لا بأس به (۴)، وفى الجواهر أن هذا الاستثناء مناف لإطلاق الأدلة وعمومها (۵).

والمعروف استثناء المريض والمتكرر بالدخول الى مكة كالحطاب والحشاش لدلالة النصوص على ذلك.

وحيث اتضح ثبوت الإحرام على من دخل مكة وكونه من خصوصيات هذه المدينة المكرمة، ولذا فمن الطبيعى أن نُرجع خصوصيات الإحرام إلى مكة أيضاً،

۱- ۱ الحر العاملى، محمّد بن الحسن، الجواهر ۱۲: ۴۰۳.

۲- ۲ المصدر نفسه.

۳- ۳ الحر العاملى، محمّد بن الحسن ۱۲: ۴۰۴.

۴- ۴ العاملى، محمّد بن على، المدارك ۷: ۳۸۲.

۵- ۵ النجفى، محمّد حسن، الجواهر ۶: ۶۶۸.

ص: ۱۷۱

فمحرّمات الإحرام التی مُنع منها المحرم، وعوقب علی ارتکابها بالکفارة ونحوها بإمکاننا أن نعدّها من خصوصیات مکة أیضاً؛ لأنّ الفرع یعود إلی الأصل هو وما یتفرع علیه.

۷- استحباب الإتمام فیها

والخصوصیة الأخیرة لمکة استحباب الإتمام فیها لمن سافر إلیها. ویشترک مع مکة فی هذه الخصوصیة المدینة المنورة ومسجد الکوفة والحائر الحسینی. والظاهر أن هذه الخصوصیة من حیث الأصل لمکة، ثمّ ألحقت المواطن الأخری بها کما هو الأمر فی جملة من خصوصیات هذه المدینة المکرمة.

وقد جری البحث بین الفقهاء وحول نقطتین من هذه المسألة: أولاهما: أصل الحکم بالإتمام أو القصر، والثانیة: هل الحکم یشمل کل مکة أم أنه خاص بالمسجد الحرام منها.

وفی النقطة الأولی ظهرت أربعة آراء هی:

أ- التخییر والإتمام أفضل. وفی الجواهر أنه المنسوب إلی مشهور الأصحاب والمنقول عن المختلف والمصابیح، والمحکی عن التذکرة والذکری، والصریح من السرائر، ونقل عن الخلاف الإجماع علیه (۱).

ب- وجوب الإتمام، نقل فی الجواهر حکایة ذلک عن المرتضی وابن الجنید (۲).

ج- وجوب التقصیر. حکاه فی الجواهر عن العلامة الطباطبائی تبعاً للمحکی عن الفاضل البهبهانی، بل ادّعی أنه المشهور بین متقدّمی الأصحاب. ثمّ احتمل أن یکون الطباطبائی قد أخذه عن محکی بن قولویه فی کامل الزیارات (۳). وهو المعروف عن الصدوق حیث اختار وجوب التقصیر إذا لم تکن نیّة للإقامة.

د- التخییر والأحوط القصر، کما هو مختار الجواهر (۴).

۱- ۱ النجفی، محمّد حسن، الجواهر ۵: ۴۰۲- ۴۰۷.

۲- ۲ المصدر نفسه.

۳- ۳ المصدر نفسه.

۴- ۴ المصدر نفسه.

ص: ۱۷۲

ومنشأ ذلک الأخبار والنصوص المختلفة، حیث دلّ بعضـها علی الإتمام کما فی خبر زیاد بن مروان قال: «سألت أبا إبراهیم علیه السلام عن إتمام الصلاة فی الحرمین؟ فقال:

أحبّ لک ما أحبّ لنفسـی أتم الصلاة» (۱) وهو ظـاهر فی اسـتحباب الإتمام، وهناک ما یظهر منه وجوب القصـر کالمروی عن الإمام الرضا علیه السلام: «قصّر ما لم تعزم علی مقام عشرة أیام» (۲).

وهکذا النصوص الأخری تساعد علی آراء أخری کالتخییر أو وجوب الإتمام. وربما أمکننا الاسـتظهار بأنّ جواز الإتمام أو استحبابه أو وجوبه فی مکة منسجم تماماً مع الخصوصیة الثالثة الدالة علی مساواة المکّی مع غیره فی الحقّ بأرض مکّة ودورها بنحو یُشعر بأنّ مکة وطن للجمیع، وحینئذ فکأن المسافر إذا وصـلها قد وصل وطنه الطبیعی الذی یتم الصلاة فیه. ولکنّ أحداً من القائلین بالإتمام وجوباً أو استحباباً لم یذکر ذلک دلیلًا علیه.

وبخصوص النقطة الثانیة ظهر رأیان:

أ- إنّ الحکم أیّاً کان خاص بالمسجدین، المسـجد الحرام والمسـجد النبوی دون المـدینتین، وهو مختار ابن إدریس فی السـرائر (۳) وتابعه صاحب الجواهر علیه (۴)، وکذلک السیّد الیزدی فی العروة.

ب- إنّ الحکم یشـمل المـدینتین معاً مکـة والمدینـة، وعلی ذلک الشـیخ (۵) والمحقّق، واختـاره صاحب المـدارک ونسبه إلی أکثر الأصحاب (۶)، واعتمده السیّد الحکیم فی المستمسک (۷).

ومنشأ الاختلاف فی المسألـة اختلاف النصوص. حیث ذکر بعضـها عنوان الحرمین والقـدر المتیقّن منهما المسـجدان: الحرام والنبوی، فیما ذکر بعضها الآخر اسم مکة والمدینة (۸).

۱- ۱ الحر العاملی، محمّد بن الحسن، الوسائل ۸: ۵۳۰.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۵۳۳.

۳- ۳ ابن ادریس، السرائر: ۷۶.

۴- ۴ النجفی، محمّد حسن، الجواهر ۵: ۴۰۸.

۵- ۵ الطوسی، محمّد بن الحسن، النهایة: ۱۲۴.

۶- ۶ العاملی، محمّد بن علی، المدارک ۴: ۴۶۹.

۷- ۷ الحکیم، السیّد محسن، المستمسک ۸: ۱۸۵.

۸- ۸ الحر العاملی، محمّد بن الحسن، الوسائل ۸: ۵۲۴- ۵۳۴.

ص: ۱۷۳

الهوامش:

امن الحرم

ص: ۱۷۶

أمن الحرم

محسن الأسدی

الدعاء كان السمهٔ البارزهٔ فی حركهٔ جميع الأنبياء وبالذات فی حركهٔ نبیّ اللَّه إبراهيم الخليل عليه السلام وهو يخطو خطواته المتقنهٔ فی مسيرته المباركهٔ؛ لتنفيذ أوامر السماء فی جوف تلك الصحراء النائيهٔ، وفی ذلك الوادی المقفر الأجرد الذی تظلله الجبال ذات الصخور الصماء وتحف به التلال، وهو بين لحظهٔ وأخری يرمق السماء رافعاً يديه متوسّلًا باللَّه تعالی أن يسدّد خطواته، وأن يعينه علی ما أمره به. فكان من دعائه عليه السلام: ربِّ اجعل هذا بلداً آمناً ..

صفهٔ الأمن ما أعظمها وما أروعها وما أوقعها فی النفوس! فبدونها تفقد الحياهٔ كلّ معانيها الجميلهٔ، وكل ما فيها من خير وعطاء. فالأمن ضرورهٔ لكلّ تقدم وحضارهٔ وبناء. خاصّهٔ لذلك الوادی الذی يُراد له أن يكون مكاناً تنبعث منه رسالهٔ السماء إلی النّاس كافّهٔ. وتؤدی فيه أدقّ عبادهٔ وأشقّها .. وبغير أمان وطمأنينهٔ قد لا يستطيع أحد أداء مناسكها علی ما هو مرسوم لها، ولا يتمكن أحد من أن يعمر ذلك الوادی وإلّا، قل لی: كيف تؤدی مثل هذه الفريضهٔ ذات المناسك

ص: ۱۷۷

المتعـدّدة والشاقـة والدقيقة؟ وكيف تبنى بذلك الوادى حضارة يراد لها أن تكون مشعل نور للأجيال وقبلة لها إذا كان ساكنوه يئنّون تحت أجواء الخوف وقسوة الجوع ..؟!

لم تشغل شيخ الأنبياء تلك المحنـة المتمثلـة بترك زوجته وابنه، وكم هى عظيمـة وخطرة أن يترك الزوج زوجته والأب ابنه فى مثل ذلـك المكـان وفى مثـل تلك الظروف! لم تشغله تلك المحنـة التى تنوء بالعصبـة أولى القوة عن طلب الأمان إلى جبال هـذا الوادى وإلى رماله وتلاله وإلى ساكنيه، فلقد قدر لكلّ صخرة فيه ولكلّ ذرة رمل ولكلّ تل صغيراً كان أو كبيراً، ولكلّ ساكن فيه رجلًا كان أو امرأة، شاباً كان أو شيخاً، قويّاً كان أو ضعيفاً، سيداً كان أو عبداً، شريفاً كان أو وضيعاً .. دورٌ فى حياة هذا الوادى وفى أحداثه. ويمكننا القول بقوة: إن شيخ الأنبياء كأنه انكشف له ما سيؤول إليه واقع هـذا الوادى من اقتتال وتنازع وتخاصم من جهـة، ومن جهة أخرى أنه سيتحول إلى بقعة من أقدس بقاع الدنيا وأعظمها، وما يستتبع ذلك من خير وبركة وعطاء وسيصبح مهبطاً لوحى السماء، ومنبعاً للنور الإلهى بعد أن يغرق بالظلام والجهالـة، وأنه سيتحول من وادٍ رملى خال من أى عود أخضر إلى ربيع زاهٍ تخفق فيه طيور المودّة والمحبـة، وتتردد فى جنباته ونواحيه أصوات التلبيـة والتسبيح وآيات القرآن. فتهوى إليه الأفئدة أفئـدة النـاس من كـل ناحية وصوب واجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم من أجل هـذا وغيره كان لابد لإبراهيم من أن يطلب الأمن والأمان لهـذه الأرض وحتى يأنسوا به ويعرفوا قيمـة الأمـان، ثمّ يميّزوا بينه وبين الخوف، وبالتالى بين السلام وثماره والحرب وآثارها، وبين الاستقرار من جهة والنزاع والتشرد من جهة اخرى. بين المعانى الجميلة والعظيمة للخير والمعانى القبيحة والوضيعة للشر وما يترتب عليه من تناحر وتشتت وتفرق ..

لقد أراد شيخ الأنبياء من دعائه أن تكون مكّة بعيدة عن الغدر والكراهية والبغضاء والاحتيال .. وأن تبقى أرضاً مقدّسة مباركة لا مكان فيها لسياط

ص: ۱۷۸

الجلادين الظلمـة، التى تلهب ظهور العبيـد والمظلومين، وأن لا تكون مقبرة للبنات، التى تُقتل حال ولادتها خوفاً من العار المزعوم، لم يرد هـذا ولا غيره، بل أرادها أن تكون مكاناً وأرضاً نابضة بالحياة يلوذ بها المظلومون، ويأوى إليها الضـعفاء والمشـردون؛ ليجدوا فيها حقوقهم التى سحقت، وكراماتهم التى سلبت، وأموالهم التى نهبت.

يقول سـيد قطب: هذا البيت الحرام الذى قام سدنته من قريش فروّعوا المؤمنين، وآذوهم وفتنوهم عن دينهم حتى هاجروا من جواره .. لقـد أراده اللَّه مثابـة يثوب إليه الناس جميعاً، فلا يروّعهم أحـد، بل يأمنون فيه على أرواحهم وأموالهم. فهو ذاته أمن وطمأنينـة وسـلام (۱).

لقـد أراد لها أن تكون أرضاً تسـير فيها قوافل الإيمان، وتزداد أعـدادها وتتضاعف، ويشعّ نورها ويتسع؛ ليتعدى الجزيرة وما حولها إلى كلّ الدنيا وما فيها، وبالتالى يعمّ نموذجُ الأمن وتجربته كلّ البقاع وكلّ الأمم الأخرى.

يقول صـاحب التفسير المنير: ومن نعمه تعالى على العرب التى أمر اللَّه نبيّه أن يـذكّرهم بها: دعاء إبراهيم عليه السـلام: أن يجعل هـذا البلد فى أمن وطمأنينة، فلا يتسلط عليه الجبارون، ولا يعكر صفوه المجرمون الآثمون (۲).

فهل تحقق كلّ هذا ولم تعبث بهذا الوادى الأيدى القذرة والنفوس السيئة؟

لئـن مرّت على هـذا الـبيت الكريـم سـنوات خير وأمـان وطمأنينـة، فقـد تعرّض طيلـة سـنوات عديـدة لحـوادث سـلب ونهب، وضـرب بالمنجنيق، وقتل فيه الأبرياء والآمنون، وتسـلط عليه الجبارون، وعكر صـفوه المجرمون الطغاة، كالقرامطـة الـذين قاموا بفعلتهم القذرة، من قتل الحجّاج الأبرياء الـذين جاءوا يطلبون رحمـة اللَّه ومغفرته ورضوانه، وقاموا بسـرقة الحجر الأسود والاحتفاظ به بعيداً عن مكانه لأكثر من عشـرين سـنة إلى غيرها من الأعمال المشـينة قديماً وحديثاً آلمت قلوب المسـلمين جميعاً وواجهوها باستنكار بالغ، ومازالت مرارتها فى نفوسنا جميعاً.

۱- ۱ فى ظلال القرآن ۱: ۱۱۳.

۲- ۲ التفسير المنير ۱: ۳۰۵.

ص: ۱۷۹

هـذه الأيـدى لم ترع للبيت حرمة ولا كرامة، وتغافلت عن تكريم اللَّه تعالى له بجعل نعمة الأمان آية من آياته، وهبة من مواهبه لعباده، أن جعل قطعة من الأرض تشعر فيها النفوس بحلاوة الأمن والطمأنينة بعد أن عانت من فقدان الأمن، وهى تعيش بعيداً عنه تحت سوط الطغاة والجلادين والغزو والقتال أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم (۱).

فالأمن إذن لم يعد بعد تلك الجرائم والاعتداءات صفة للبيت، ممّا جعلنا نتساءَل هل حودات الاعتداء هـذه على بيت اللَّه الحرام، وإراقة الدماء وإزهاق الأرواح البريئة على أرضه المقدّسة وعلى ترابه الطاهر تتعارض مع نصوص الأمن القرآنية، وبالتالى تزعزع صفة البيت الآمن الذى حدّدته الآيات الكريمة؟

إن ظاهر هـذا كلّه يفيد أنّ هناك تناقضاً بين ما حدث وبين ما قاله اللَّه تعالى فى كتابه العزيز: وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً وهذا البلد الأمين، فالبيت وُصفَ بالأمن فى الوقت الذى دخله القتلة، وأثاروا فيه الرعب والفزع والقتل، وتركت هـذه الجرائم آثارها على النّاس الآخرين الذين يقصدون البيت ولكنّهم خائفون وجلون ممّا قد يتكرّر، وممّا قد يقع.

وقبل التعرض إلى ذلك لابدّ من ذكر الأمن لغة وآياته والأقوال المتعددة فى مسألة أمن الحرم؛ لنصل إلى حلّ ما قد يُرى من تناقض بين النصوص والواقع التاريخى لأمن الحرم.

الأمن لغة: من أمِنَ يَأمنُ أمْناً وأماناً وأمانةً وأمَناً وإمْناً وأمَنَةً: اطمأنَّ وَلم يَخَفْ، فهو آمنٌ وأمِنٌ وأمينٌ يُقال: لك الأمانُ: أى قد آمنتُك أى جعلتك فى أمن بعيداً عمّا يخيفك ويقلقك: وأمن يأمن البلدُ اطمأنّ فيه أهلُه .. والأمن: ضد الخوف.

فالبلد الأمين أى بلد الأمن أو البلد المأمون فيه، يأمن فيه من دَخله.

وآمنهم من خوف أى آمنهم من خوف وقد نكر لبيان شدّته، فجعلهم فى أمن وسلامة وطمأنينة على أنفسهم وأموالهم و ...

۱- ۱ العنكبوت: ۶۷.

ص: ۱۸۰

یقول السیّد السبزواری: ومادة (أَمَنَ) تأتی بمعنی الطمأنینة، وزوال الخوف، وسکون النفس، وقد استعملت جملة من مشتقاتها بالنسبة إلی الحرم الأقدس الإلهی، قال تعالی: وإذ جعلنا البیت مثابةً للناس وأمناً وقال تعالی: وهذا البلد الأمین ..

الآیات:

وإذ قال إبراهیم ربّ اجعل هذا بلداً آمناً ... (۱). فیه آیات بینات ... ومن دخله کان آمناً (۲). وإذ قال إبراهیم ربّ اجعل هذا البلد آمناً (۳). أو لم نمکن لهم حرماً آمناً یجبی إلیه ثمرات کلّ شیء (۴). أو لم یروا أنا جعلنا حرماً آمناً ... (۵). وإذ جعلنا البیت مثابة للناس وأمناً (۶). وهذا البلد الأمین (۷). الذی أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (۸).

الروایات ومنها:

۱- فعن جابر، قال: سمعتُ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یقول: «لا یحل لأحد أن یحمل بمکة السلاح».

۲- وعن ابن عباس، قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یوم فتح مکة: «إن هذا البلد حرّمه اللَّه یوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة اللَّه إلی یوم القیامة، وإنه لا- یحل القتال فیه لأحد قبلی، ولم یحل لی إلّاساعة من نهار، فهو حرام بحرمة اللَّه إلی یوم القیامة، لا یعضد شوکه، ولا ینفر صیده، ولا یلتقط لقطته إلّامن عرَفها، ولا یختلی خلالها (أی لا یجز ولا یقلع کلؤها). فقال العباس: یا رسول اللَّه إلّاالإذخر

۱- ۱ البقرة: ۱۲۶.

۲- ۲ آل عمران: ۹۷.

۳- ۳ إبراهیم: ۳۵.

۴- ۴ القصص: ۵۷.

۵- ۵ العنکبوت: ۶۷.

۶- ۶ البقرة: ۱۲۵.

۷- ۷ التین: ۳.

۸- ۸ التین: ۴.

ص: ۱۸۱

فإنه لقينهم ولبيوتهم. فقال: إلّاالإِذخر».

۳- وأخرج مسلم عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً، وإنى حرمت المدينة، حراماً ما بين مأزميها أن لا يهراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا تخبط فيها شجرة إلّاالعلف، ...».

۴- قال الإمام الصادق عليه السلام: من دخل الحرم مستجيراً به فهو آمن من سخط اللَّه عزّوجلّ، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم.

الأقوال فى أمن الحرم:

إن الحديث عن أمن البيت الحرام مما اختلفت فيه الأقوال، وتشعبت فيه الآراء وذهبت مذاهب شتى فى المراد منه ..

ففريق ذهب إلى أن الأمن المقصود فى الآيات أمن من عذاب اللَّه تعالى، فالذى يدخل الحرم وهو معظم له، عارف به وبمنزلته ومكانته الدينية والذى يقصده للأجر والثواب، فهو يخرج من ذنوبه، وقد يبعد اللَّه عنه عذاب الآخرة. قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من حجّ فلم يرفث ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه».

فى حين ذهب فريق ثانٍ إلى أن أمن الحرم هو أن الجانى يأمن من أن يقام الحدّ عليه، فلا يقتل به الكافر، ولا يقتص فيه من القاتل، ولا يقام الحد على المحصن والسارق، وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة.

بينما ذهب فريق ثالث إلى أن المقصود هو أن اللَّه نهى المؤمنين عن قتال أعدائهم من مشركين وغيرهم داخل الحرم حتى يبدأوا بقتالهم انطلاقاً من قوله تعالى: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين.

أو أنه إخبار عن عدم وقوع القتل فى الحرم، وهذا مردود، لان القتل الحرام

ص: ۱۸۲

وقع فيه، والقتل المباح قد يوجد فيه بدليل الآية: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ..

وقد ذهب فريق رابع إلى أنه مكان آمن يلوذ به الناس؛ ليبعدوا أنفسهم عن التشفى والانتقام، فلا تنتقم العرب ممن دخل البيت، فكان الشخص يرى قاتل أبيه أو أخيه .. داخل الحرم فلا يتعرض له بسوء حتى يخرج منه، مع أن الثأر كان متجذراً فى نفوسهم، بل العربى الذى لا يأخذ بثأره يكون موضع سخرية وعار ومع هذا لا يثأر لمقتوله داخل الحرم.

كما أن هناك فريقاً خامساً ذهب إلى أن اللّه تعالى جعل الحرم آمناً وأيضاً آمناً من القحط والجدب على ما قاله تعالى: أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كلّ شىء فإن إبراهيم أسكن أهله فى واد تحيط به المخاوف وهو غير ذى زرع ولا ضرع؛ ولهذا رفع يديه بالدعاء سائلًا اللّه تعالى: ربّ اجعل هذا البلد آمناً أى أمناً من كلّ ما يخيف ثم عقبه بقوله: وارزق أهله من الثمرات من آمن زمنهم ... فإبراهيم رأى أن يطلب هذين الأمرين: الأمن والرزق .. أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف فبدونهما لا تدب حياة فى هذا الوادى ولا يدوم بقاء وخير.

بينما ذهب فريقٌ سادس إلى أن المقصود بالأمن هو الأمن من القحط والجدب فقد ذكر صاحب التفسير الكبير أن (أبو بكر الرازى) ذكر وجوهاً للأمن المسؤول فى الآية: ومن تلك الوجوه أنه سأله الأمن من القحط .. واحتج عليه بأنه عليه السلام سأله الأمن أولًا، ثمّ سأله الرزق ثانياً، ولو كان الأمن المطلوب هو الأمن من القحط لكان سؤال الرزق بعده تكراراً فقال فى هذه الآية: ربّ اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات.

... ثم يقول: واعلم أن هذه الحجة ضعيفة فإن لقائل أن يقول: لعلّ الأمن المسؤول هو الأمن من الخسف والمسخ، أو لعلّه الأمن من القحط، ثمّ الأمن من

ص: ١٨٣

القحط قد يكون بحصول ما يحتاج إليه من الأغذية، وقد يكون بالتوسعة فيها فهو بالسؤال الأول طلب إزالة القحط، وبالسؤال الثانى طلب التوسعة العظيمة (١).

وهناك فريقٌ سابع يقول: إن المقصود بالأمن هو أن اللّه تعالى آمن هذا البلد وأهله من الخسف والمسخ وكما يقول الزحيلى: ويحميه سبحانه وتعالى من الخسف والزلزال والغرق والهدم، ونحو ذلك من مظاهر سخط اللّه على بلادٍ أخرى (٢).

أقول: نعم قد تكون مكّة بعيدة عن الحوادث والظواهر الطبيعية، التى تأتى تعبيراً عن سخطه تعالى وعقوبة منه كما حدث لبعض الأقوام حينما سخط عليهم، وكان سخطه هذا عذاباً حلّ بهم، وعقوبة جماعية نزلت عليهم؛ بسبب كفرهم وطغيانهم وتكذيبهم الرسول والأنبياء، وقد حدّثنا القرآن عن:

قوم لوط ثمّ دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذَرين (٣).

قوم شعيب فكذّبوه فأخذهم عذاب يوم الظلّة .. (۴).

فرعون وقومه فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليمّ .. (۵).

قوم ثمود .. فأخذتهم الصاعقة .. (۶).

قوم عاد فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ... (٧)

فهذه تكون مكّة بمنجاة ومأمن منها؛ لأنه تعالى لا يخلف وعده لمكّة بالأمن ولا ينقضه ...

أما الظواهر الطبيعية كالسيول والعواصف وغيرها التى تأتى بأسبابها الطبيعية وليست تعبيراً عن سخط اللّه وغضبه، فهى تصيب مكة وبالتالى تخلّ بالأمن التكوينى على فرض صحته وحتى إن كانت لا تعدّ شراً إذا عرفنا أنها حالات يستوجبها النظام الكونى العام، وهى جزء من ديمومته واستقراره، وليست حالات شاذة عنه ومخالفة للحكمة الإلهيّة ونظامها ودقتها، وإذا ما نظرنا إليها نظرة عامة فى إطار ذلك النظام الكونى، وليست نظرة انعزاليه عنه أو ضيقة .. ولكنّها مع

١- ١ التفسير الكبير للفخر الرازى ٣: ۵٩- ۶٠.

٢- ٢ التفسير المنير ١: ٣٠۵.

٣- ٣ الشعراء: ١٧٢- ١٧٣.

۴- ۴ الشعراء: ١٨٩.

۵- ۵ الذاريات: ۴٠.

۶- ۶ هود: ٨٢.

٧- ٧ الأحقاف: ٢۴.

ص: ۱۸۴

هذا كلّه تعدّ خرقاً لنظام الأمن؛ لأنها تسبب الخوف والهلع اللذين هما ضد الأمن.

ويستطيع الإنسان بما آتاه اللَّه من القدرات أن يستثمرها فى تعمير هذه المنطقة ويبنى ويؤسس ما يقيها العواصف ويمنع عنها السيول وبالتالى يحفظ مكّة منها أو على الأقل يخفف آثارها.

وأمّا السيّد السبزوارى فبعد أن يذكر بعض آيات الأمن (۱)، يقول قولًا متيناً وكلاماً واضحاً: والمراد منها ما ورد عن نبينا الأعظم صلى الله عليه و آله فى قوله يوم فتح مكة: «إنّ اللَّه حرّم مكّة يوم خلق السموات والأرض، فهى حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلى، ولا تحل لأحد بعدى، ولا تحل لى إلّاساعة من النهار» وأمثال ذلك من الأحاديث الكثيرة التى تدلّ على أصل الحرمة والاحترام التى كانت قبل الخلق، ودعاء إبراهيم عليه السلام إنما كان تأكيداً لما سبق وترغيباً للناس، لا أن تكون دعوة مستأنفةً.

ثمّ راح السيّد يقول: والأمن المستعمل فى القرآن إمّا أخروى، أو دنيوى، أو هما معاً. والأول كقوله تعالى: ادخلوها بسلام آمنين (۲)

وقوله تعالى: إن المتقين فى مقام أمين (۳)

. وللثانى موارد كثيرة، منها الآيات المباركة الواردة فى المقام.

ثمّ واصل حديثه بقوله: والمراد بالأمن، إمّا للإرشاد إلى أن المحلَّ محلٌّ لا ينبغى أن يقع الظلم فيه مطلقاً، فيكون تنبيهاً للعقل والعقلاء إلى عظمة المحلّ، كما ورد فى تعظيم القرآن، والوالدين، والمؤمن، فتترتب على المخالفة المفسدة لا محالة، أو أنه أمر تكليفى فعلى، لجعل المحل امناً ممّا حذّر ارتكابه فى غيره.

ثمّ يقول بعد ذلك: وكل منهما صحيح، ولا منافاة بينهما، كما أنّهُ يصحُّ أن يكون الأمن فيه من القسم الأخير، أى أمن الدنيا والآخرة.

وفى الآية المباركة امتنان عظيم على أهل الحرم وروّاده، من جعل البلد آمناً فى نفسه، ومأمناً لأهله وغيرهم.

وعندما تعرض الطبرسى لتفسير وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً قال

۱- ۱ تفسير مواهب الرحمن للسيّد السبزوارى ۲: ۲۸- ۲۹.

۲- ۲ الحجر: ۴۶.

۳- ۳ الدخان: ۵۱.

ص: ۱۸۵

فی (أمنـاً): أراد مأمناً أی موضع أمن، وإنما جعله اللّه أمناً بأن حکم أن من عاذ به والتجأ إلیه لا یخاف علی نفسه ما دام فیه، وبما جعله فی نفـوس العرب من تعظیمه حـتی کـانوا لا ـ یتعرضـون إلی من فیه فهو آمن علی نفسه ومـاله، وإن کـانوا یتخطفون النـاس من حوله، ولعظم حرمته لا یقام فی الشرع الحدّ علی من جنی جنایته فالتجأ إلیه وإلی حرمه، لکن یضیق علیه فی المطعم والمشرب والبیع والشراء حتی یخرج منه فیقام علیه الحـد، فإن أحدث فیه ما یوجب الحد أقیم علیه الحدّ فیه؛ لأنه هتک حرمهٔ الحرم، فهو آمن من هذه الوجوه، وکان قبل الإسـلام یری الرجل قاتل أبیه فی الحرم فلا یتعرض له، وهـذا شـیء کانوا قد توارثوه من دین إسـماعیل فبقوا علیه إلی أیام نبینا صلی الله علیه و آله (۱) ..

کمـا أن رأی الشـافعی فیمن دخـل البیت من الـذین تجب علیهم الحـدود، هو أن الإمـام یـأمر بالتضـیق علیه بما یؤدی إلی خروجه من الحرم، فـإذا خرج أقیم علیه الحـد فی الحل، فإن لم یخرج حتی قتل فی الحرم جاز، وکـذلک من قاتل فی الحرم جاز قتاله فیه، واحتج الشافعی بأنه صلی الله علیه و آله أمر عندما قتل عاصم بن ثابت بن الأقلح وخبیب بقتل أبی سفیان فی داره بمکّهٔ غیلهٔ إن قدر علیه. قال الشافعی: وهـذا فی الوقت الـذی کانت مکّهٔ فیه محرمـهٔ، فـدلّ علی انّها لا تمنع أحداً من شـیء وجب علیه، وأنها تمنع من أن ینصـب الحرب علیها کما ینصب علی غیرها.

أمّا أبو حنیفهٔ فقال: لا یجوز، واحتج بهذه الآیهٔ: وإذ جعلنا البیت مثابهٔ للناس وأمناً.

وأمّا صاحب المنار الـذی أخذ المراغی منه فیقول فی تفسیر وإذ جعلنا البیت مثابهٔ للناس وأمناً: واذکر أیها الرسول- أو أیها الناس- إذ جعلنا البیت الحرام مثابـهٔ للناس وأمناً أی ذا أمن بأن خلقنا بما لنا من القدرهٔ فی قلوب الناس من المیل إلی حجّه والرحلهٔ إلیه المرهٔ بعد المرهٔ من کل فجّ وصوب ما کان به مثابهٔ لهم، ومن احترامه وتعظیمه وعدم سفک دم فیه ما کان به آمناً ...

۱- ۱ تفسیر معجم البیان ۱: ۳۸۳.

ص: ۱۸۶

ثمّ واصل حديثه بقوله: يذكّر اللّه تعالى العرب بهذه النعمة أو النعم العظيمة وهى جعل البيت الحرام مرجعاً للناس يقصدونه ثمّ يثوبون إليه، ومأمناً لهم فى تلك البلاد بلاد المخاوف التى يتخطف الناس فيها من كل جانب ... وكونه- أى البيت- مثابة للناس أمر معروف فى الجاهلية والإسلام، وهو يصدق برجوع بعض زائريه إليه، وحنين غيرهم وتمنيهم له عند عجزهم عنه، وكذلك جعله أمناً معروف عندهم، فقد كان الرجل يرى قاتل أبيه فى الحرم فلا يزعجه على ما هو معروف عندهم من حبّ الانتقام والتفاخر بأخذ الثأر (۱).

ثمّ راح يذكر سؤالًا قد سأل به الشيخ محمد عبده والجواب عنه فيقول:

(الاستاذ الإمام) قد يقال: ما وجه المنة على العرب عامة بكون البيت أمناً للناس والفائدة فيه إنّما هى للجناة والضعفاء، الذين لا يقدرون على المدافعة عن أنفسهم؟ والجواب عن هذا: أنّهُ ما من قوى إلا ويوشك أن يضطر فى يوم من الأيام الى مفزع يلجأ إليه لدفع عدو أقوى منه، أو لهدنة يصطلح فى غضونها مع خصم يرى سلمه خيراً من حربه، وولاءه أولى من عدائه، فبلاد كلها أخطار ومخاوف لا راحة فيها لأحد، وقد بين اللّه المنة على العرب إذ جعل لهم مكاناً آمناً بقوله فى سورة العنكبوت (۲۹: ۶۷) أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة اللّه يكفرون (۲).

أقول: فالمكان الذى اختار اللّه تعالى لعباده ليكون لهم مثابة أى ملجأً يلجأون إليه، ومأوى يأوون إليه ويلوذون به، ومرجعاً يثوبون إليه زواراً و غيرهم لليشهدوا منافع لهم .. (۳)

، لابد من أن يتوفر فيه عنصرا الحياة والاستقرار:

الأمن والرزق .. ربّ اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات ...

وإلّا كيف يقصد الناس شيئاً، أو مكاناً يخيفهم ويكون سبباً فى هلاكهم؟

وكيف يثوبون إلى هكذا مكان فقد فيه الأمن والرزق؟

وأين تلك المنافع التى يرجونها والمخاوف تحيطهم ..؟!

۱- ۱ تفسير المنار ۱: ۴۶۰.

۲- ۲ تفسير المنار ۱: ۴۶۱، وتفسير المراغى- أحمد مصطفى المراغى ۱: ۲۱۰- ۲۱۱.

۳- ۳ سورة الحج: ۲۸.

ص: ۱۸۷

يقول سعيد حوى فى تفسيره:

وقال كثيرون من أئمة التفسير: إن المثابة: المجمع، وعلى هذا القول يكون المعنى: أن اللّه عزّوجلّ أراد أن يكون هذا البيت ملتقىً للشعوب كلّها، وللأجناس كلّها، يجتمعون فيه فيتعارفون وينتفعون، قائمين بأمر اللّه، عابدين له، موّحدين معظمين شعائره (۱).

وأما بخصوص طلب الرزق فيجيب الرازى عن السؤال الثانى الذى يذكره فى تفسيره وهو: المطلوب من اللّه تعالى هو أن يجعل البلد آمناً كثير الخصب، وهذا ما يتعلق بمنافع الدنيا، فكيف يليق بالرسول المعظم طلبها؟

والجواب عنه من وجوه: أحدها: أن الدنيا إذا طلبت ليتقوى بها على الدين، كان ذلك من أعظم أركان الدين، فإذا كان البلد آمناً وحصل فيه الخصب: تفرغ أهله لطاعة اللّه تعالى، وإذا كان البلد على ضد ذلك كانوا على ضد ذلك.

وثانيها: أنه تعالى جعله مثابة للناس، والناس إنّما يمكنهم الذهاب إليه إذا كانت الطرق آمنة والأقوات هناك رخيصة. وثالثها: لا يبعد أن يكون الأمن والخصب ممّا يدعو الإنسان إلى الذهاب إلى تلك البلدة، فحينئذ يشاهد المشاعر المعظمة، والمواقف المكرمة، فيكون الأمن والخصب سببَ اتصاله فى تلك الطاعة (۲).

وقد رأيت أن ابن العربى فى أحكام القرآن (۳) يذهب إلى أن المراد بالأمن هو أن من دخل الحرم كان آمناً من التشفى والانتقام، كما كانت العرب تفعله فيمن أناب إليه من تركها لحق يكون لها عليه، وهذا هو القول الثانى من الأقوال الأربعة التى يذكرها ابن العربى فى أحكام القرآن حول المراد من الأمن. حيث يقول بعد سرده لتلك الأقوال: والصحيح فيه القول الثانى، ثمّ واصل حديثه بقوله: وهذا إخبار من اللّه تعالى عن منته على عباده، حيث قرّر فى قلوب العرب تعظيم هذا البيت، وتأمينَ من لجأ إليه؛ إجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام حين أنزل به أهله وولده، فتوقع عليهم الاستطالة، فدعا أن يكون أمناً لهم فاستجيب دعاؤه.

۱- ۱ الأساس فى التفسير ۱: ۲۶۷.

۲- ۲ التفسير الكبير ۳: ۵۹.

۳- ۳ أحكام القرآن ۱: ۵۸- ۵۹.

ص: ۱۸۸

ثمّ ردّ الأقوال الثلاثة التى ذكرها فقال: وأمّا من قال: إنّهُ أمنٌ من عذاب اللّه تعالى، فإن اللّه تعالى نبّه بجعله مثابةً للناس وأمناً على حُجّته على خلقه، والأمنُ فى الآخرة لا تقام به حجّة.

وأمّا بخصوص عدم إقامة الحد على الجانى فيقول: وأمّا امتناع الحد فيه فقول ساقط؛ لأن الإسلام الذى هو الأصل، وبه اعتصم الحرم، لا يمنع من إقامة الحدود والقصاص، وأمر لا يقتضيه الأصل أحرى ألا يقتضيه الفرع.

أقول: وهذا مردود بأن الإسلام نفسه الذى أمر بالقصاص والحدود له أن يمنع من إقامتها فى مكان معين كالحرم، أو يمنع عنها فى زمن معين وهذا حقّ له، وهو ما يقتضيه الأصل دون الفرع ولهذا أمر بالتضيق على الجانى فى المأكل وأن لا يبايع ..

حتى يضطره للخروج، وعند ذاك يقام عليه الحدّ أما الذى يرتكب جنايته داخل الحرم فيُقام الحد عليه داخله.

فالإسلام لم يجعله آمناً فقط بل ذكر أحكاماً لحفظ هذا الأمن، ورعاية حرمته .. ومن تلك الأحكام- وحتى لا يتمادى المجرم فى إجرامه، والسارق فى فعله وضلاله، وحتى لا يكون بمنأى عن العقوبة- ترى الشارع المقدّس أمر بالتضيق عليه حتى يخرج منه- بعد أن دخله ليستفيد من نعمة الأمان المتوفرة فيه، التى استغلها- ليُقام الحد عليه.

ثمّ واصل ابن العربى حديثه قائلًا: وأمّا الأمن عن القتل والقتال فقول لا يصح؛ لأنه قد كان فيه القتل والقتال بعد ذلك ويكون إلى يوم القيامة، وإنّما أخبر النبى صلى الله عليه و آله عن التحليل للقتال، فلا جرم لم يكن فيها تحليل قبل ذلك اليوم، ولا يكون لعدم النبوة إلى يوم القيامة، وإنّما أخبر النبى صلى الله عليه و آله عن امتناع تحليل القتال شرعاً لا عن منع وجوده حسّاً.

أقول: إن حصر المراد من الأمن بأن من دخله كان آمناً من التشفى والانتقام أو بأن لا يُقام الحدّ فيه على الجانى أمر لا يتناسب مع آيات الأمن وتأكيدها، وهو

ص: ۱۸۹

تفريغ للأمن من محتواه الأوسع والأعظم والأنفع للناس جميعاً. والصحيح أن الأمن يراد منه كل ما هو يدفع الخوف عن ساكنى الحرم سواء أكان خوفاً من الانتقام أو خوفاً من القتل والقتال أو من الحدّ أو من السرقة أو من الجوع أو من أى شىء آخر يدعو لعدم الاستقرار والطمأنينة ويثير الرعب والهلع فى النفوس .. فحينما نقول هذه منطقة آمنة يفهم منها الناس أو العرف أنها بعيدة عما يثير الخوف والرعب ..

كما أن التواجد فى هذه المنطقة ورعاية أحكامها وأداء مناسكها بإخلاص وصدق قد يكون ذلك نجاة للإنسان من عذاب الآخرة، وأماناً له من عقابها.

وموضعاً للتزود من أجر الآخرة وثوابها، فهى إذن يمكن أن تكون أيضاً أماناً من العذاب. منطقة هيّأها اللّه تعالى لعباده؛ ليستجلبوا فيها منافع الدنيا والآخرة وليتذوقوا فيها طعم الأمان والاستقرار وكذلك حلاوة الإيمان والطاعة، وبالتالى أجر ذلك فى الآخرة وهو أجر عظيم وثواب جزيل.

فالحرم منطقة آمنة ومثابة للناس تتوفر بها كلّ مقومات الأمن والسلامة، ويشعر فيها الإنسان بكامل حريته وبنعمة الأمان والإيمان شريطة محافظته ورعايته لقوانينها وأحكامها، وإذا ما أساء إليها وانتهك حرمتها يعاقب بما يناسب مخالفته ومعصيته فى الدنيا وفى الآخرة. فهو أمن وأمان ومأمن ينبغى على الناس بل يجب عليهم حفظه ورعايته لتحصل آثاره، ويجنوا ثماره.

أما حصرها بهذا المراد (المنع من التشفى والانتقام أو من إقامة الحد فقط) يعنى وكأنها شرعت للقتلة وللجناة دون غيرهم!

وقال القرطبى (۱) فى تفسير هذه الآية: وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا بلداً آمناً ...:

وفيه ثلاث مسائل، ونحن نذكر منها مسألتين يخصّان المقام.

الأولى: قوله تعالى: بلداً آمناً يعنى مكّة، فدعا لذريته وغيرهم بالأمن

۱- ۱ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ۱: ۱۱۷- ۱۱۸.

ص: ۱۹۰

ورغد العیش .. وکانت مکّهٔ وما یلیها حین ذلک قفراً لا ماء ولا نبات، فبارک اللَّه فیها .. وأنبت فیها أنواع الثمرات ..

الثانیهٔ: اختلف العلماء فی مکّهٔ هل صارت حرماً آمناً بسؤال إبراهیم أو کانت قبله کذلک؟ علی قولین:

أحدهما- أنها لم تزل حرماً من الجبابرهٔ المسلّطین، ومن الخسوف والزلازل، وسائر المثلات التی تحل بالبلاد، وجعل فی النفوس المتمرّدهٔ من تعظیمها والهیبهٔ لها ما صار به أهلها متمیزین بالأمن من غیرهم من أهل القری، ولقد جعل فیها سبحانه من العلامهٔ العظیمهٔ علی توحیده ما شوهد من أمر الصید فیها، فیجتمع فیها الکلب والصید فلا یهیج الکلبُ الصیدَ ولا ینفر منه، حتی إذا خرجا من الحرم عدا الکلب علیه وعاد إلی النفور والهرب.

وإنّما سأل إبراهیم ربّه أن یجعلها أمناً من القحط والجدب والغارات، وأن یرزق أهله من الثمرات؛ لا علی ما ظنه بعض الناس أنه المنع من سفک الدم فی حق من لزمه القتل، فإن ذلک یبعد کونه مقصوداً لإبراهیم صلی الله علیه و آله حتی یقال: طلب من اللَّه أن یکون فی شرعه تحریم قتل من التجأ إلی الحرم؛ هذا بعید جداً.

ثانیهما: أن مکّهٔ کانت حلالًا قبل دعوهٔ إبراهیم علیه السلام کسائر البلاد، وأن بدعوته صارت حَرَماً آمناً، کما صارت المدینهٔ بتحریم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أمناً بعد أن کانت حلالًا.

وراح القرطبی یذکر أدلّتهم بقوله:

احتج أهل المقالهٔ الأولی بحدیث ابن عباس قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یوم فتح مکهٔ: «إن هذا البلد حرّمه اللَّه تعالی یوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمهٔ اللَّه تعالی إلی یوم القیامهٔ، وأنه لم یحلّ القتال فیه لأحد قبلی ولم یحل لی إلّا ساعهً من نهار، فهو حرام بحرمهٔ اللَّه إلی یوم القیامهٔ لا یعضد (۱) شوکه، ولا ینفر صیدُه، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا یُختلی خلاها (۲). فقال العباس: یا

۱- ۱ لا یعضد: لا یقطع.

۲- ۲ الخلی مقصور: النبات الرطب الرقیق ما دام رطباً؛ واختلاؤه: قطعه.

ص: ۱۹۱

رسول اللَّه إلّاالاذخر (۱) فإنه لقينهم ولبيوتهم؛ فقال: لا، إلّاالاذخر». ونحوه حديث أبى شُريح، أخرجهما مسلم وغيره.

ثمّ قال أيضاً: وفى صحيح مسلم أيضاً عن عبداللَّه بن زيد بن عاصم أن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «إن إبراهيم حرّم مكّة ودعا لأهلها، وإنى حرّمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكّة، وإنى دعوت فى صاعها ومُدّها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكّة».

قال ابن عطيـة: «ولا تعارض بين الحـديثين؛ لأن الأول إخبار بسابق علم اللَّه فيها وقضائه، وكون الحرمـة مـدّة آدم وأوقات عمارة القطر بإيمـان. والثانى إخبار بتجديـد إبراهيم لحرمتها وإظهاره ذلك بعـد الـدثور. وكان القول الأول من النبى صـلى الله عليه و آله ثانى يوم الفتـح إخباراً بتعظيم حرمـة مكّة على المؤمنين بإسـناد التحريم إلى اللَّه تعالى، وذكر إبراهيم عند تحريم المدينة مثالًا لنفسه، ولا محالة أن تحريم المدينة هو أيضاً من قبل اللَّه تعالى ومن نافذ قضائه وسابق علمه».

ثمّ نقل القرطبى قولًا للطبرى: كانت مكّة حراماً فلم يتعبد اللَّه الخلق بذلك حتى سأله إبراهيم فحرّمها.

أقول: إن من الأدلـة على أنها كانت حراماً قبل دعاء إبراهيم هو الآية القرآنية ربنا إنى أسـكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرّم لاحظ بيتك المحرّم فهـذا خير دليل قرآنى على أن البيت محرم قبل دعاء إبراهيم. ويبـدو أن هـذه الحرمة ملازمة لأصل البيت منذ لحظته الأولى.

والدليل الآخر الروايات التى منها قول الرسول صلى الله عليه و آله: إن اللَّه حرم مكّة قبل خلق السموات والأرض ..

وهنا نورد ما ذكره الشيخ الطبرسى فى تفسيره فيقول فى تفسير هذه الآية:

إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً يعنى مكّة أى اجعله ذا أمن كما يقال:

بلد آهل أى ذو أهل. قيل: معناه يأمنون فيه كما يقال: ليل نائم أى ينام فيه. قال ابن

۱- ۱ الإذخر بكسر الهمزة والخاء: حشيشة طيبة الرائحة يسقف بها البيوت فوق الخشب، ويحرق بدل الخشبوالفحم. والقين: الحداد.

ص: ۱۹۲

عباس: يريد حراماً محرماً لا يصاد طيره، ولا يقطع شجره، ولا يختلى خلاؤه، وإلى هذا المعنى يؤول ماروى عن الصادق عليه السلام من قوله: «من دخل الحرم مستجيراً به فهو آمن من سخط اللَّه عزّوجلّ، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم». وقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوم فتح مكّة: «إن اللَّه تعالى حرّم مكّة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحلّ لأحد قبلىولا تحلّ لأحد بعدى، ولم تحل لى إلّاساعة من النهار» فهذا الخبر وأمثاله فى روايات أصحابنا تدلّ على أن الحرم كان آمناً قبل دعوة إبراهيم عليه السلام وإنما تأكدت حرمته بدعائه عليه السلام.

وقيل: إنّما صار حرماً بدعائه عليه السلام وقبل ذلك كسائر البلاد، واستدل عليه بقول النبى صلى الله عليه و آله: إن إبراهيم حرّم مكّة، وإنى حرمت المدينة. وقيل: كانت مكّة حراماً قبل الدعوة بوجه غير الوجه الذى صارت به حراماً بعد الدعوة:

فالأول: بمنع اللَّه إياها من الاصطدام والائتفاك (۱)كما لحق ذلك غيرها من البلاد، وبما جعل ذلك فى النفوس من تعظيمها والهيبة لها.

والثانى: بالأمر بتعظيمه على ألسنة الرسل، فأجابه اللَّه تعالى إلى ما سأل، وإنّما سأله أن يجعلها آمنة من الجدب والقحط؛ لأنه أسكن أهله بوادٍ غير ذى زرع ولا ضرع، ولم يسأله أمنها من الإئتفاك والخسف الذى كان حاصلًا لها، وقيل: إنّهُ عليه السلام سأله الأمرين على أن يديمهما وإن كان أحدهما مستأنفاً والآخر قد كان قبل ... ثمّ سأل لهم الثمرات ليجتمع لهم الأمن والخصب فيكونوا فى رغد من العيش (۲).

وقد تقدم قول السيد السبزوارى بهذا الخصوص.

أمّا الفخر الرازى فقد ميّز بين شيئين بين كون الآية جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً خبراً وهو ما يراه، وبين أنها أمر فى حالة صرفها عن ظاهرها، ويترتب على كل من القولين مراد، فيقول:

۱- ۱ ائتفك البلد بأهله: انقلب.

۲- ۲ مجمع البيان، الطبرسى ۱: ۳۸۷، التبيان للطوسى ۱: ۳۵۶- ۳۵۷.

ص: ۱۹۳

لا شک فی أن قوله جعلنا البیت مثابهٔ للناس وأمناً خبر. فتارهٔ نترکه علی ظاهره ونقول: إنه خبر. وتارهٔ نصرفه عن ظاهره ونقول: إنه أمر.
أمّا القول الأول: فهو أن یکون المراد أنهُ تعالی جعل أهل الحرم آمنین من القحط والجدب، علی ما قال: أو لم یروا أنا جعلنا حرماً آمناً وقوله: أولم نمکن لهم حرماً آمناً یجبی إلیه ثمرات کل شیء، ولا- یمکن أن یراد منه الإخبار عن عدم وقوع القتل فی الحرم؛ لأنا نشاهد أن القتل الحرام قد یقع فیه وأیضاً فالقتل المباح قد یوجد فیه، قال اللَّه تعالی: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتی یقاتلوکم فیه فإن قاتلوکم .. فأخبر عن وقوع القتل فیه.
القول الثانی: أن نحمله علی الأمر علی سبیل التأویل، والمعنی أن اللَّه تعالی أمر الناس بأن یجعلوا ذلک الموضع أمناً من الغارهٔ والقتل، فکان البیت محترماً بحکم اللَّه تعالی، وکانت الجاهلیهٔ متمسکین بتحریمه، لا یهیجون علی أحد التجأ إلیه، وکانوا یسمون قریشاً: أهل اللَّه تعظیماً له، ثمّ اعتبر فیه أمر الصید، حتی أن الکلب لیهمّ بالظبی خارج الحرم، فیفر الظبی منه، فیتبعه الکلب، فإذا دخل الظبی الحرم لم یتبعه الکلب. ورویت الأخبار فی تحریم مکّهٔ، قال علیه الصلاهٔ والسلام:
«إن اللَّه حرم مکّهٔ وأنها لم تحل لأحد قبلی ولا تحل لأحد بعدی، وإنما أحلت لی ساعهٔ من نهار وقد عادت حرمتها کما کانت».
وقد رجح الفخر الرازی ما ذهب إلیه الشافعی حیث قال: .. إن قوله تعالی (وأمنا) لیس فیه بیان أنه جعله أمناً فیماذا، فیمکن أن یکون أمناً من القحط، وأن یکون أمناً من نصب الحروب، وأن یکون أمناً من إقامهٔ الحدود، ولیس اللفظ من باب العموم حتی یحمل علی الکل، بل حمله علی الأمن من القحط والآفات أولی؛ لأنا علی هذا التفسیر لا نحتاج إلی حمل لفظ الخبر علی معنی الأمر، وفی سائر الوجوه نحتاج إلی ذلک، فکان قول الشافعی أولی (۱).
أقول: حصر مقصودها بالقحط والجدب سواء کان خبراً إذا ما حملناه علی

۱- ۱ التفسیر الکبیر للرازی ۴: ۵۲- ۵۳.

ص: ۱۹۴

ظاهره أم كان أمراً في حالة صرفه عن الظاهر فهو أمرٌ لا يتفقُ مع أهمية الأمن كما قلنا ومع الآية الأخرى التي تبين أن هناك شيئين قد منحتهما السماء لمكّة وأهلها وليس شيئاً واحداً، قال تعالى: الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف منحتهما الإطعام والأمن وإن كان الثانى أعمّ من الأول حيث آمنهم من كلّ ما يكون سبباً للخوف سواء أكان جوعاً وحرماناً أم قتلًا وسلباً ونهباً. فالأمن في الآية مطلق وله مصاديق كثيرة كما نلاحظ ذلك في كلام الشيخ البلاغي فهو كلام نافع ومتين فقد عدّ أمن البيت من آياته، فعند تفسيره للآية وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً .. (وأمناً) يأمن مَن حلّ في حماه من الناس مع وحشية الأعراب وتعاديهم وعداوتهم، وعدّ البلاغي هذا من آيات البيت، حيث واصل حديثه عن أمن البيت في تفسيره للآية الأخرى وفيه آيات بينات مقام إبراهيم ومَن دخله كان آمناً أي من دخل بلده وحرمه المعروف. والجملة من أقسام البدل التفصيلي من الآيات معطوفة على مقام إبراهيم أي وآمن من دخل فيه، ولعل «من» جيء بها لتغليب من يعقل على ما لا يعقل، وفي الأمن آيات ظاهرة، فإن العرب على فوضويتهم ووحشيتهم وتهوّرهم في العدوان والنخوة الجاهلية وغلظتهم في ذلك، بحيث لا يمنعهم من ذلك، ولا يردعهم شريعة ولا وازع روحي ولا سيطرة، ولا استقامة أخلاق، قد كانوا خاضعين لاحترام من دخل الحرم، منقادة نفوسهم لذلك في القرون العديدة في تلاطم أمواج الجاهلية فضلًا عن الإسلام. وليس ذلك من طبع التربة والهواء، ولا بنحو الجبر السالب للاختيار، بل لأن العناية الإلهية ألهمت الناس إكراماً للبيت الحرام أن يحترموا الحرم ومَن فيه. نعم وقع التمرد من جيش يزيد والحجاج، ولعلّ الحكمة في ذلك أن يعرف الناس أن هذا الاحترام ليس من قسم الطبيعة والإلجاء وإنما هو توفيق من اللّه شمل المشركين ولم يشمل من تمرد على اللّه وحاده وعاداه. وفي الصحيح أو الحسن كالصحيح عن الحلبي عن الصادق عليه السلام قال: سألته عن قول اللّه ومن دخله كان آمناً قال عليه السلام: إذا أحدثَ

ص: ۱۹۵

العبد جنایة فی غیر الحرم، ثمّ فرّ إلی الحرم لم ینبغِ لأحد أن یأخذه من الحرم، ولکن یمنع من السوق ولا یبایع ولا یطعم ولا یسقی ولا یکلم، فإذا فُعِل ذلک یوشک أن یخرج فیؤخذ، وإذا جنی فی الحرم جنایة أقیم علیه؛ لأنه لم یرع للحرم حرمةً، ونحوها معتبرة حفص وروایة علی بن أبی حمزة عنه علیه السلام فی السارق والجانی، ونحوها صحیحة معاویة بن عمار عنه علیه السلام فی القاتل وفیها لا یأوی. وفی الدر المنثور أن جماعة اخرجوا من طرق سعید وطاوس ومجاهد وعکرمة وعطا عن ابن عباس فی الآیة مثل ذلک. ولا ینافی ذلک ما روی من طرق الفریقین من أنه أمنَ من سخط اللّه، أو فی الآخرة، أو من النار، فإن ذلک یکون بیاناً لبعض المصادیق المندرجة فی عموم الأمن. وبمقتضی الروایات المتقدّمة قال علماء الإمامیة من دون خلاف یعرف، وأبو حنیفة وصاحباه .. واللؤلئی وافقوا الإمامیة فی قصاص النفس واحتجوا بالآیة. ویرد علیهم أن الأمن فیها مطلق، فإذا قدم علی دلیل القصاص قدم علی سائر أدلة القصاص والحدود لذلک الوجه حتی لو حملنا الخبر فی الآیة علی الأمر، مع أن الآیة لا تحمل علی ذلک ولا یتوقف علیه، بل الآیة تدل علی جعل الأمن بنحو وضعی عام، وجعله من اللّه من حیث الشریعة هو أظهر الأفراد وأولاها، فإن الذهن لا یذعن بأن اللّه تبارک اسمه یمجد البیت بأن من آیاته أن الناس یحترمونه بإلهام وتوفیق منه، وهو جل شأنه لا یشرع احترامه فی حقوقهم وحقوقه. نعم إن الجانی فی الحرم قد هتک حرمته فیؤخذ بجنایته فی ذلک لقول اللّه تعالی: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتی یقاتلوکم فیه (۱) والحرمات قصاص (۲)

... وأیضاً إن طعام العرب ممّا یصطادونه من أحناش الأرض وحیواناتها، ولهم فی الصید ولع وعادة، ومع ذلک یحترمون صید الحرم ومکة، ومن المستفیض نقله أن الحیوانات لا یقتل بعضها بعضاً فیه، ولا تصطاد الکلاب والسباع فیه، ومن آیات البیت ما استفاض نقله من أن الطیر لا یعلو علیه فی طیرانه بل یحید عنه یمیناً وشمالًا (۳).

۱- ۱ سورة البقرة ۱۹۱.

۲- ۲ سورة البقرة ۱۹۴.

۳- ۳ آلاء الرحمن، البلاغی ۱: ۱۲۴ و ۳۱۴، ۳۱۵، ۳۱۶.

ص: ۱۹۶

بعد هذا الاستعراض لأقوال هذه النخبة المختارة من المفسرين والعلماء فی خصوص المراد من أمن الحرم وتأريخه وحكم الجانی .. أقول: إنّ أمن الحرم سواء أكان قبل دعاء إبراهيم عليه السلام وأنه تأكد بدعائه عليه السلام، أو أنه صار آمناً بعد استجابة اللَّه تعالى لدعائه عليه السلام وسواء أكانت مصاديقه ضيقة أو كانت واسعة لكلّ ما يترك ضرراً أو يسبب خوفاً أو تلفاً للأموال والأنفس ومصادرة للحقوق والحريات، فإن المهم هو حلّ ما يرى من بعدٍ أو تناقض بين نصوص الأمن وما تعرّض له هذا المكان من اعتداءات على ضوء ما يستظهر مما ذكرناه من آيات وروايات وأقوال وآراء .. فلهذا نقول: إنّ مثل ذلك التناقض الذی يبدو للبعض منا بين النصّ الوارد بالأمن والواقع الخارجی للبيت الذی اخترق أمنه مرّات عديدة كما حدّثنا بذلك التأريخ .. يعزى إلى عدم تفريقنا بين أمرين مهمّين وردا فی الخطاب القرآنی:

الأوّل: يتعلّق بأشياء ثابتة لا تتغير ولا تتبدل يُراد به أمور تكوينية ليس للإنسان القدرة فی تغييرها أو تبديلها .. ومثل هذا فی القرآن الكريم الكثير، منه:

وهو الذی جعل الليل والنهار خلفة .. (۱)

يخلف كلّ منهما الآخر فيتعاقبان.

ومثل: الشمس تجری لمستقرٍّ لها .. حركة الشمس دائبة متواصلة منذ أن خلقها اللَّه تعالى .. فهذهِ وغيرها أمور ثابتة ليس لنا قدرة على تغيير مسيرتها أو إيقافها.

الثانی: يتعلّق بأمور تشريعيّة من قبيل الأحكام العبادية والمعاملاتية ..، من قبيل ما أحلّ اللَّه فعله وما حرّم فعله، من قبيل أوامر اللَّه تعالى ونواهيه، افعل ولا ـ تفعل، مع أنّه سبحانه وتعالى ترك لنا فی ذلك الاختيار، فكما أمرنی أن أفعل جعلنی فی الوقت نفسه قادراً أيضاً على أن لا أفعل، وحينما قال لی ناهياً، لا تفعل الشیء الفلانی، جعلنی فی الوقت نفسه قادراً على الفعل بدليل قوله لی لا تفعل .. وبيّن لنا ثواب ذلك أو عقابه، ثواب إلتزامنا وطاعتنا، وعقاب تخلّفنا وعصياننا أوامره ..

فالآية: ومن دخله كان آمناً وآيات الأمن الأخرى تبين أن جعل البيت

۱- ۱ الفرقان: ۶۲.

ص: ۱۹۷

آمناً لیس من قبیل تعاقب اللیل والنهار، أو مسیرة الشمس، ولیس من قبیل:

لا الشمس ینبغی لها أن تدرک القمر ولا اللیل سابق النهار (۱)

حتی یقع التناقض، وإنما تدخل ضمن الأمر الثانی، ضمن التشریع، أی یکون تقدیره ومن دخله فأمنوه؛ لأنّه استجار ببیت اللَّه تعالی، ومن استجار به فعلیکم أن تؤمنوه ولا تفزعوه فیه وتخیفوه، وإلّا فإنّکم استهنتم ببیت اللَّه تعالی ولم تحترموا جواره، وخالفتم ما أمرکم به اللَّه تعالی من توفیر الأمن والاستقرار والأمان لداخل هذا البیت ولمن استجار به، وأن لا یؤذی ولا یُضایق إلّابالقدر الذی یخرجه من البیت إن کان مطلوباً للقضاء والعدل وکما سمحت به الشریعة؛ لیُقام علیه الحدّ، وإلّا فإنّه خلاف الأمن والأمان أن یبقی المجرم داخل البیت آمناً یعیش بعیداً عن العدل وإقامة الحدّ علیه، وبالتالی سیتحوّل البیت إلی ملاذ آمن للخونة والمجرمین ..

ویکون مشجّعاً- والعیاذ باللَّه- لهم علی التمادی بجرائمهم.

وقد وردت فی هذا الأمر الروایات والتی منها صحیحة هشام بن الحکم عن أبی عبد اللَّه علیه السلام فی الرجل یجنی فی غیر الحرم ثم یلجأ إلی الحرم؟ قال: «لا یُقام علیه الحد، ولا یُطعم ولا یُسقی ولا یُعلم ولا یبایع، فإذا فُعل به ذلک یوشک أن یخرج فیُقام علیه الحد، وإن جنی فی الحرم جنایة أقیم علیه الحد فی الحرم، فإنه لم یر للحرم حرمة فقد قال صلی الله علیه و آله: «إن أعتی الناس علی اللَّه القاتل غیر قاتله والقاتل فی الحرم» فالروایات تبین إمکان وقوع القتل فی الحرم وحکم الجناة الذین یلجأون إلیه ..

إذن أمرنا اللَّه تعالی بأن نرعی للبیت حرمته وأمنه، وهی طاعة نستحقّ علیها أجراً وثواباً، وإن خالفنا وعصینا وأسئنا لأمنه، فإنّ العقاب جزاؤنا إزاء ما اقترفناه، ویبقی کلام اللَّه تعالی لا یمسّه شیء وبعیداً عن التناقض، ذلک أنّ اللَّه سبحانه وتعالی قال: من دخله کان آمناً ... أی من دخل بیتی فاجعلوه آمناً، فإذا لم نجعله آمناً فالمخالفة منّا والذنب ذنبنا، بدلیل الآیة الأخری: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتّی یقاتلوکم فیه فإن قاتلوکم فاقتلوهم کذلک

۱- ۱ یس: ۴۰.

ص: ۱۹۸

جزاء الکافرین، نهی المؤمنین عن قتال المشرکین لعلمه بأنّ نفوس المؤمنین قد حدّثتهم بقتال المشرکین فی مکان أمر اللّه تعالی بحفظ أمنه ورعایهٔ أحکامه.

فنهاهم عن ذلک، عن قتالهم المشرکین حتّی یبدأ المشرکون بقتالهم فشرع لها حکماً آخر: فإن قاتلوکم فاقتلوهم .. وهذا أیضاً یدل علی أنّ أمن البیت بعید عن التکوین، قریب من التشریع، فإذا دخل البیت قوم، یصرّون علی المعصیهٔ، وعلی سفک الدماء داخل بیت اللّه، وعلی الإساءهٔ له وعدم تقدیر لحرمته- کالذی یرتکب جریمهٔ داخله فإنه لم یر للحرم حرمهٔ- وعلی ترویع الآمنین .. فإن بدأوا بأفعالهم القذرهٔ هذه، فلیس علیکم إلّاقتالهم وإلّا إقامهٔ القصاص علیهم. فلو کان الأمن تکوینیاً لما نهانا اللّه تعالی عن القتال، ولما توعد مَن یعزم علی الشر بعذاب مؤلم شدید .. ومن یرد فیه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب ألیم وکیف ینهانا عن أمر یخالف التکوین والثبات، أو یصح أن ینهانا عن تغییر مسیرهٔ الشمس أوالقمر بقوله: لا تغیّروا مسیرهٔ الشمس ولا القمر وهی أمور خارجهٔ عن قدرتنا واختیارنا؟ ولو کان أمن الحرم یتعدّی کونه تشریعاً إلی أنّه أمر تکوینی وأمن تکوینی لما وقع مثل هذا القتال، ولمّا استطاع المجرمون من انتهاک حرمته وتقویض أمنه وکما فی الروایهٔ ... وإذا جنی فی الحرم جنایهٔ أقیم علیه الحد فی الحرم لأنه لم یرع للحرم حرمهٔ.

فی روایهٔ أخری حول من یسرق ویلتجأ إلی الحرم: ... وإن أحدث فی الحرم ذلک الحدث أُخذ فیه (۱). فحفظ أمن الحرم ورعایته أمر شرعه اللّه تعالی وأوکله إلینا، وخصص لمن یحفظه ویرعاه أجراً عظیماً یتناسب وعظمهٔ البیت وأمنه، وأعدّ لمن خالف ذلک وانتهک حرمته وأمنه عذاباً عظیماً کما قلنا سابقاً؛ لأنّه إثم عظیم وکفرٌ بالنعمهٔ. فالثواب والعقاب یتناسبان مع عظمهٔ البیت وقداسته وطهارته، وأنّ بمراعاهٔ أحکام الشریعهٔ المختصهٔ بأمن البیت من قبل النّاس یتحقّق الأمن والأمان وهم یعیشون علی ترابه، ویتفیئون ظلاله.

۱- ۱ انظر زبدهٔ البیان فی أحکام القرآن عن الکافی ۴: ۲۲۶ و ۲۲۷.

ص: ۱۹۹

يقول سيد قطب: فنعمة الأمن نعمة ماسة بالإنسان، عظيمة الوقع فى حسّه، متعلّقة بحرصه على نفسه، والسياق يذكرها هنا ليذكر بها سكان ذلك البلد، الذين يستطيلون بالنعمة ولا يشكرونها، وقد استجاب اللّه دعاء أبيهم إبراهيم فجعل البلد آمناً، ولكنّهم هم سلكوا غير طريق إبراهيم، فكفروا النعمة .. (۱) يقول السيد الطباطبائى فى تفسير الميزان: فالحقّ أنّ قوله: ومن دخله كان آمناً مسوق لبيان حكم تشريعى لا خاصّة تكوينيّة، غير أنّ الظاهر أن تكون الجملة إخبارية يخبر بها عن تشريع سابق للأمن، كما ربّما استفيد ذلك من دعوة إبراهيم المذكورة فى سورتى إبراهيم والبقرة، وقد كان هذا الحقّ محفوظاً للبيت قبل البعثة بين عرب الجاهلية ويتصل بزمن إبراهيم عليه السلام.

وأمّا كون المراد من حديث الأمن هو الإخبار بأن الفتن والحوادث العظام لا تقع ولا ينسحب ذيلها إلى الحرم فيدفعه وقوع ما وقع من الحروب والمقاتلات واختلال الأمن فيه؛ وخاصّة ما وقع منها قبل نزول هذه الآية، وقوله تعالى: أو لم يروا أنّا جعلنا حرماً آمناً ويتخطّف النّاس من حولهم، لا يدلّ على أزيد من استقرار الأمن واستمراره فى الحرم، وليس ذلك إلّالما يراه النّاس من حرمة هذا البيت ووجوب تعظيمه الثابت فى شريعة إبراهيم عليه السلام وينتهى بالآخرة إلى جعله سبحانه وتشريعه.

وراح السيد الطباطبائى يقول:

وكذا ما وقع فى دعاء إبراهيم المحكى فى قوله تعالى: ربِّ اجعل هذا البلد آمناً وقوله: ربِّ اجعل هذا بلداً آمناً، حيث سأل الأمن لبلد مكّة فأجابه اللّه بتشريع الأمن وسوق النّاس سوقاً قلبياً إلى تسليم ذلك وقبوله زماناً بعد زمان (۲).

وفى مكان آخر من تفسيره لسورة إبراهيم الآية ۳۵ يقول السيد الطباطبائى:

والمراد بالأمن الذى سأله عليه السلام الأمن التشريعى دون التكوينى .. فهو يسأل ربّه

۱- ۱ فى ظلال القرآن ۴: ۲۱۰۹.

۲- ۲ الميزان فى تفسير القرآن ۳: ۳۹۰- ۳۹۱.

ص: ۲۰۰

أن يشرع لأرض مكّة حكم الحرمة والأمن، وهو- على خلاف ما ربّما يتوهم- من أعظم النعم التى أنعم اللّه بها على عباده، فإنا لو تأملنا هذا الحكم الإلهى الذى شرعه إبراهيم عليه السلام بإذن ربّه أعنى حكم الحرمة والأمن وأمعنا فيما يعتقده الناس من تقدير هذا البيت العتيق وما أحاط به من حرم اللّه الآمن، وقد ركّز ذلك فى نفوسهم منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم وجدنا ما لا يحصى من الخيرات والبركات الدينية والدنيوية عائدة إليها وإلى سائر أهل الحقّ ممن يحنّ إليهم ويتعلّق قلبه بهم، وقد ضبط التأريخ من ذلك شيئاً كثيراً وما لم يضبط أكثر، فجعل تعالى مكّة بلداً آمناً وهى من النعم العظيمة التى أنعم اللّه بها على عباده (۱).

أقول: وهذا الفهم للأمن ممّا تعارف عليه الناس قديماً وكان مرتكزاً فى أذهانهم فقد حدّثتنا المصادر التأريخيّة أنّ (أبو طاهر القرمطى) ضرب الحجر الأسود بفأس كانت بيده فى محاولة منه لقلعه، فانكسر الحجر، ثمّ التفت إلى جموع النّاس قائلًا لهم: أيّها الجهلة! أنتم تقولون: إنّ كلّ من يرد البيت فهو آمن، وقد رأيتم ما فعلتُ أنا إلى الآن، فتقدّم إليه رجل من الحاضرين ممن كان قد هيّأ نفسه للموت، فأمسك بلجام حصان أبو طاهر وأجابه قائلًا: إنّ معنى ذلك ليس كما قلتَ بل إنّ المعنى هو أن من يدخل هذا البيت فعليكم منحه الأمان على نفسه وماله وعرضه حتّى يخرج منه، فامتعض القرمطى وتحرّك بحصانه دون أن ينبسّ ببنت شفة (۲).

هذا وقد اعترض بعض على نظرية الأمن للسيد الطباطبائى قائلًا: إن الاقتطاف أمر تكوينيٌّ ولذا فإن الأمن مقابل ذلك يعدّ أمناً تكوينياً .. وجاء بأدلته التى لا أظنها تنهض لتأييد مدعاه مؤجلًا مناقشتها إلى كتابنا حول نظرية أمن الحرم إن شاء اللّه تعالى.

وإن تعجب فعجب قول القائل: .. ولابدّ من الالتفات إلى هذه النقطة، وهى أن استجابة اللّه لدعاء إبراهيم بخصوص أمن مكّة له جهتان: فمن جهة منحها أمناً

۱- ۱ تفسير الميزان ۱۲: ۶۹.

۲- ۲ المنتظم لابن الجوزى ۶: ۴۳.

ص: ۲۰۱

تكوينياً، ولـذلك لم تشـهد فى تاريخها إلّاالنزر القليل من إخلال الأمن، ومن جهـة ثانية منحها الأمن التشـريعى ... (۱) أقول: النزر لغة القليل التافه، فهل ما مرّ على هـذه الأرض المقدّسـة من سـلب ونهب وتخريب وسـفك للـدماء وإزهاق للأرواح البريئـة .. كلّ هذا من القليل التافه، وبالتالى لا يقدح ولا يخل بالأمن التكوينى؟!

والرازى فى جواب عن سؤال يفترضه:

أليس أن الحجاج حارب ابن الزبير وخرب الكعبة وقصد أهلها بكل سوء وتمّ له ذلك؟

لم يكن مقصوده تخريب الكعبة لذاتها، بل كان مقصوده شيئاً آخر (۲).

فالأول يريـد أن يبرر وجود الأـمن التكوينى فجعـل مـا أصاب الكعبـة من النزر القليل! والثانى يريـد أن يبرر عـدم نزول العـذاب على الحجاج وجنده وعدم إرسال الطير الأبابيل بأن الحجاج لم يكن قاصداً الكعبة بسوء بل كان يقصد رأس ابن الزبير!

الهوامش:

جعفر الطيار

۱- ۱ الأمثل فى تفسير كتاب اللّه المنزل ۷: ۴۶۱.

۲- ۲ التفسير الكبير ۴: ۵۹.

ص: ۲۰۴

جعفر الطيار

حسن محمد

لستُ زاعماً أن الصحابة كلهم فى الفضل سواء، أوَ يكون هذا وقد فضّل اللّه الرسل- وهم أكرم الخلق وأقربهم إليه تعالى- بعضهم على بعض فقال:

تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض (۱)

والتفضيل حالة توافق طبيعة الأشياء؟

فإن كان هذا الزعم ليس من حقّى بل ليس من حق الجميع- كما هو الحقّ- إلّاأنى استطيع وبقوة أن أقول: إنّ الصحابة- بعضهم- صناعة خاصة أعدّتهم السماء وتفضّلت بهم علينا جميعاً؛ ليصوغوا لنا تأريخاً مليئاً بالخير، وليصنعوا حاضراً كلّه عطاء، ويبنوا مستقبلًا زاهراً بالأمل مشرقاً بالحبّ، بعيداً عن العداوة والبغضاء فكانوا جيلًا لا نظير له فيما مضى من تأريخ الرسالات.

فقد نجح هؤلاء وهم النخبة الطاهرة من الأصحاب فى تبليغ أعظم رسالة سماوية استطاعت أن تغير أمّة جاهلية بل أمماً أخرى فغيرت بذلك وجه التأريخ، فاستحقوا بذلك الفوز فى الدنيا والآخرة.

كانوا من ورثة جنة النعيم، يتبوّأون منها غرفاً، وينعمون بها، ويمرحون فى

۱- ۱ سورة البقرة: ۲۵۳.

ص: ۲۰۵

بحبوحة منها.

ولا غرابة فى ذلك بعد أن أحبوا اللَّه ورسوله، وطلبوا رضوانه تعالى وملئوا شوقاً إلى لقائه، فقد كانوا يطلبون الموت ويتحاثون عليه.

كم كانت تربيتك يا رسول اللَّه لهـذه الزمرة الطيبـة مجديـة نافعـة خالدة! وكم كان حبّهم لك عظيماً صادقاً شـهد بها أبو سـفيان وهو يعيش العداء كلّه لرسول اللَّه ولدينه ولمن معه: ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كما يحبّ أصحاب محمد محمداً!

وجعفر من هـذه النخبـة الطيبـة الصادقـة. كـان صـحابياً متميزاً فى دينه وولاـئه وفى فصاحته وبيانه وحلمه، كما كان مثلًا رائعاً للشـجاعة والفداء، أبى إلّاأن تكون ساحات الوغى أرضاً له، وإلّا ظلال السـيوف سقفاً له حتى كان شهيداً، ولكن متى؟! بعد أن قطعت يداه وبعد أن تحمل جسمه وضمّ بدنه أكثر من سبعين طعنة رمح وضربة سيف ورمية سهم.

نسبه ولقبه وكناه

كان جعفر من سـلالة تلك العائلة الكريمة فى خصالها، الرفيعة فى شرفها، المتميزة فى سيادتها وزعامتها ورجالها، فهم سادة قريش بل سادة الدنيا على الإطلاق، هذه العشيرة التى ضمّت أكرم خلق اللَّه محمداً وآله الطاهرين..

فأبوه: شـيبة الحمـد، شـيبة بنى هاشم أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصـى... واسـمه عبد مناف، وقد كنى بأكبر أولاـده (طـالب)، وقـد كان الكافل الحامى المـدافع عن النبى صـلى الله عليه و آله، الـذى أحاط رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله بعناية عظيمة قلّ مثيلها، خاصة إذا نظرنا إلى مكانته فى مجتمع قريش وبين زعمائها وما يسببه ذلك الدفاع من إحراج أمامهم.

وكانت هذه الحماية من الأهميّة لرسول اللَّه ولدعوته إلى الدرجة التى لم تطمع

ص: ۲۰۶

قريش في رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وكانت كاعةً عنه حتى توفي عمّه أبو طالب، ولم يهاجر إلى المدينة إلّابعد وفاته رضوان اللَّه عليه.

وأمّه: كانت أم جعفر الطيار من تلك النساء القلة الطاهرات اللّائي امتازت حياتهن بمواقف جليلة في مسيرة الأنبياء.

وهي إحدى تلك النساء اللواتي نلن ذكراً جميلًا على لسان خاتم الرسل محمد صلى الله عليه و آله. تقول الرواية: لما ماتت فاطمة بنت أسد أمّ عليّ- وكانت قد أوصت لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقَبل وصيتها- ألبسها النبي صلى الله عليه و آله قميصه واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك يا رسول اللَّه صنعت هذا!

فقال: «إنّه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرَّ بي منها، إنّما ألبستها قميصي لتكسى من حُلَلِ الجنّة، واضطجعت معها ليُهوَّن عليها».

وفي دعاءٍ خاص لها قال: اللهم اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجّتها، ووسع عليها مدخلها. وخرج من قبرها وعيناه تذرفان.

لقد كانت لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله بمنزلة الأم بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، فقد ربته في حجرها وكان شاكراً لبرّها، وكان يسميها ويناديها ب أمّي، وقد كانت تفضله على جميع أولادها في البر والرعاية، تقول بعض الروايات: كان أولادها يصبحون شعثاً رمصاً ويصبح رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كحيلًا دهيناً.

أمّا إيمانها فهي بدرجة عظيمة، وقد سبقت إلى الإسلام، وكانت من المهاجرات الأول إلى المدينة، وهي بدرية.

فذاك أبوه وهذه أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهي أول هاشمية تزوّجت من هاشمي، فهو وليد هذه الأسرة المباركة.

أمّا لقبه: فكان يلقب بجعفر الطيار كما لقبه رسول اللَّه ب (ذي الجناحين).

أمّا كنيته: فقد كناه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ب (أبي المساكين) وله كنية أخرى (أبو عبداللَّه).

ص: ۲۰۷

إخوته

كان جعفر الثالث في إخوته، فقد كان طالب أكبر ولد أبي طالب سناً ثم يليه عقيل ثم يلي عقيلًا جعفر ويلي جعفراً عليٌّ عليه السلام، والشيء الملفت للنظر إن لم نقل للعجب أن كل واحد منهم أكبر من صاحبه بعشر سنين، وكان عليّ أصغرهم سنّاً (۱).

زوجته وأولاده

بني جعفر بأسماء بنت عميس الخثعمية المرأة الصالحة، فولدت له ثلاثة أولاد وهم محمد وعبداللَّه وعوف، وقد ولدوا جميعاً في الحبشة في الفترة التي أمضاها جعفر وزوجته مهاجرين هناك في كنف ملك الحبشة المعروف بالعدل.

إسلامه

كان جعفر الثاني من الرجال الذين أعلنوا إسلامهم، وهناك رواية تقول: إنّه الثالث بعد علي عليه السلام وزيد بن حارثة (۲).

كما وردت في كيفية إسلامه روايتان تصرحان بأنّه ممّن أسلم باكراً، والدعوة لا تزال في مهدها، وكان إسلامه بأمر من أبيه أبي طالب، حيث كان جعفر برفقة أبيه حينما كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يؤدي صلاته وإلى جنبه ابن عمّه علي بن أبي طالب، فلما رآهما يصليان التفت إلى جعفر قائلًا: انزل يا جعفر فصل جناحَ ابن عمّك، أو أي بني، صل جناحَ ابن عمّك. وقد وفق جعفر لأن ينال ثواب أول جماعة عقدت في الإسلام، وكانت تأريخاً لبداية إسلامه.

وفي هذا عثرتُ على روايتين تبينان إسلام جعفر، ودفاع أبي طالب عن النبي صلى الله عليه و آله وعما هو عليه من أمر الدعوة الجديدة. كانت الرواية الأولى عن علي عليه السلام يقول فيها:

۱- ۱ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ۳: ۴۰۷، وطبقات ابن سعد ۱: ۷۷.

۲- ۲ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ۶: ۶۶.

ص: ۲۰۸

بينما أنا مع النبى صلى الله عليه و آله فى حَيْر (۱) لأبى طالب أصلى، أشرف علينا أبو طالب، فنظر إليه النبى صلى الله عليه و آله فقال: يا عم ألا تنزل فتصلى معنا؟ فقال: يا بن أخى، إنى لأعلم أنك على الحق،..، لكن انزل يا جعفر فصل جناحَ ابن عمّك.

قال: فنزل فصلى عن يسارى. فلما قضى النبى صلى الله عليه و آله صلاته، التفت إلى جعفر فقال: أما إنّ اللَّه تعالى وقد وصلك بجناحين تطير بهما فى الجنة، كما وصلت ابن عمّک (۲).

وفى رواية ثانية يذكرها أيضاً صاحب مختصر تاريخ دمشق عن صلصال بن الدلهمس يقول فيها:.. فكان الذى بينهما- بين أبيه الدلهمس وأبى طالب- فى الجاهلية عظيم (عظيماً)، فكان أبى يبعثنى إلى مكّة لأنصر النبى صلى الله عليه و آله مع أبى طالب قبل إسلامى، فكنت أقيم الليالى عند أبى طالب لحراسة النبى صلى الله عليه و آله من قومه، فإنى يوم من الأيام جالس بالقرب من منزل أبى طالب فى الظهيرة وشدّة الحر، إذ خرج أبو طالب شبيهاً بالملهوف فقال لى: يا أبا العصيفر، هل رأيت هذين الغلامين فقد ارتبت بإبطائهما علىّ؟

فقلت: ما حسست لهما خبراً منذ جلست، فقال: انهض بنا فنهضت، وإذا جعفر بن أبى طالب يتلو أبا طالب، قال: فاقتصصنا الأثر حتى خرج بنا من أبيات مكّة، قال: ثمّ علونا جبلًا من جبالها، فأشرفنا منه على أكمة دون ذلك التل، فرأيت النبى صلى الله عليه و آله وعلياً قائماً عن يمينه، ورأيتهما يركعان ويسجدان قبل أن أعرف الركوع والسجود، ثم انتصبا قائمين، فقال أبو طالب لجعفر: أى بنى، صل جناح ابن عمّك، قال: فمضى جعفر مسرعاً حتى وقف بجنب على، فلما أحسّ به النبى صلى الله عليه و آله أخّرهما وتقدم، وأقمنا موضعنا حتى انقضى ما كانوا فيه من صلاتهم، ثمّ التفت إلينا النبى صلى الله عليه و آله فرآنا بالموضع الذى كنّا فيه، فنهض ونهضنا معه مقبلين، فرأينا السرور يتردّد فى وجه أبى طالب، ثمّ انبعث يقول:

إنّ علیّاً وجعفراً ثقتى عِندَ مُهِمِّ الأمورِ والكربِ

۱- ۱ الحَيْرُ: بالفتح شبه الحظيرة أو الحمى. انظر اللسان: حَيَر.

۲- ۲ مختصر تاريخ دمشق ۶: ۶۶.

ص: ۲۰۹

لا تخذلا وانصُرا ابن عمِّکمَا وابنَ أمّی من بینهم وأبی

واللَّهِ لا أُخذلُ النبیَّ ولا یَخذُلُه مِن بَنِیَّ ذُو حَسبِ قال: فلما آمنت به ودخلتُ فی الإسلام، سألت النبیَّ صلی الله علیه و آله عن تیک الصلاهٔ، فقال: نعم، یا صلصال هی أول جماعهٔ کانت فی الإسلام (۱).

صفاته:

لقد اجتمعت فی جعفر خصال کثیرهٔ قلما تجتمع فی غیره، فقد اتفقت مصادر ترجمته علیها، فإضافهٔ إلی شبابه وحیوته وفتوته وشجاعته کان حلیماً بارّاً متواضعاً، وکان یخشی اللَّه خشیهٔ عظیمهٔ، حتی إنه قبل إسلامه کانت نفسه وکأنها قد جبلت علی کره المحرمات.

یقول ابن عباس فی روایهٔ له: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله لجعفر بن أبی طالب: إن اللَّه تعالی أوحی إلیّ أنه شکرک علی أربع خصال، کنتَ علیهن مقیماً قبل أن یبعثنی اللَّه، فما هن؟

قال له جعفر: بأبی أنت وأمّی، لولا أن اللَّه أنبأک بهن ما أنبأتک عن نفسی کراهیهٔ التزکیهٔ: إنی کرهت عبادهٔ الأوثان؛ لأنی رأیتها لا تضرّ ولا تنفع. وکرهت الزنا... وکرهت شرب الخمر؛ لأنی رأیتها منقصهٔ للعقل، وکنت إلی أن أزید فی عقلی أحبّ إلیّ من أن انقصه. وکرهت الکذب؛ لأنی رأیته دناءهٔ (۲).

ما أعظمک یا جعفر فی الجاهلیهٔ کما ما أعظمک فی إسلامک!

کان جعفر جواداً کریماً سخیاً سمحاً، فقد قال فیه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: أسمح أمّتی جعفر.

ولطیب نفسه ومراعاته لضعفاء الناس ومساکینهم کان رسول اللَّه یکنیه أبا المساکین.

فعن أبی هریرهٔ قال: کان جعفر یحب المساکین ویجلس إلیهم

۱- ۱ المصدر نفسه.

۲- ۲ المصدر نفسه ۶: ۶۷.

ص: ۲۱۰

ويحدثهم ويحدثونه (۱).

وعنه أيضاً: كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبى طالب، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان فى بيته، وإن كان ليخرج إلينا العكة فنشقها فنلعق ما فيها.

الهجرة:

إن من أعظم ما ناله المسلمون الأوائل هو وسام الهجرة، هذه التى منّ اللَّه تعالى بها عليهم، لتكون نقطة انطلاقة كبرى وانفتاح على العالم الآخر بعيداً عن الحجاز وعبث الظالمين فيه، وأذاهم وتعذيبهم للصفوة المؤمنة. فالدعوة فى بدايتها وقد حفت بالمخاطر، والمؤمنون بها قلة قليلة ضعيفة لا حول لها ولا قوة.. ترقبها عيون قريش هنا وهناك، تتربص بهم ليسوموهم سوء العذاب لا لذنب اقترفوه أو جريمة تلبسوا بها سوى أنهم فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدًى (۲)

. وهجروا دين آبائهم وكبرائهم...

تقول رواية أمّ سلمة:

لما ضاقت على النبى صلى الله عليه و آله مكّة، وأوذى أصحابه، وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة فى دينهم، وأن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى منعة من قومه ومن عمّه، لا يصل إليه شىء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل اللَّه لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه.

فخرجنا إليها أرسالًا حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمنا على ديننا، ولم نخش ظلماً.

فلما رأت قريش أنا قد أصبنا داراً وأمناً، اجتمعوا على أن يبعثوا إليه فينا؛ ليخرجنا من بلاده، وليردنا عليهم. فبعثوا عمرو بن العاص وعبد اللَّه بن أبى ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقته، فلم يَدَعُوا منهم رجلًا إلّابعثوا له هدية على

۱- ۱ رواه البخارى ۷: ۷۷، حلية الأولياء ۱: ۱۱۷.

۲- ۲ سورة الكهف: ۱۳.

ص: ۲۱۱

جِدَة، وقـالوا لهمـا: ادفعوا إلى كـل بطریق هـدیته قبل أن تكلموا فیهم، ثمّ ادفعوا إلیه هـدایاه، وإن اسـتطعتما أن یردهم علیكم قبل أن یكلمهم فافعلوا.

أقول: كانت تخشى قریش أن ینطلق الحقّ من لسانهم ووقع الذى كانت تخشاه.

فقدما علینا، فلم یبق بطریق من بطارقته إلّاقدّموا إلیه هدیته، فكلموه، فقالوا له: إنّا قدمنا على هذا الملك فى سـفهاء من سـفهائنا، فارقوا أقوامهم فى دینهم، ولم یـدخلوا فى دینكم، فبعثَنـا قومُهم لیردهم الملك علیهم، فإذا نحن كلمناه فأشـیروا علیه بأن یفعل، فقالوا: نفعل، ثم قـدّموا إلى النجاشـى هدایاه، فكان من أحبّ ما یهدى إلیه من مكّة الأَدَم. فلما أدخلوا علیه هدایاه، فقالوا له: أیها الملك إن فتیة منا سفهاء، فارقوا دین قومهم، ولم یـدخلوا فى دینك، وجاؤوا بـدین مبتـدع لا نعرفه، وقد لَجأُوا إلى بلادك، فبَعَثنا إلیك فیهم عشائرهم، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم علیهم، فهم أعلى بهم (۱) عیناً.

فقـالت بطـارقته: صـدقوا أیها الملك، لو رددتهم علیهم وكانوا هم أعلى بهم، فإنهم لم یـدخلوا فى دینك فیمنعهم أملك. فغضب، ثمّ قـال: لاـ لعمر اللّه، لا أردهم علیهم حتى أدعوهم وأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لَجأُوا إلى بلادى، واختاروا جوارى على جوار غیرى، فـإن كـانوا كمـا تقولـون رددتهم علیهم، وإن كـانوا على غیر ذلـك منعتهم، ولم أدخـل بینهم وبینهم، ولم أنعمهم عیناً فأرسـل إلیهم النجاشـى فجمعهم- ولم یكن شـىء أبغض إلى عمرو بن العـاص وعبـداللّه بن أبى ربیعـة من أن یسـمع كلاـمهم- فلمـا جاءهم رسول النجاشى اجتمع القوم فقال: ماذا تقولون؟

فقـالوا: مـاذا نقول؟! نقول واللّه مـا نعرف وما نحن علیه من أمر دیننا، وما جاء به نبینا صـلى الله علیه و آله كائن من ذلك ما كان، فلما دخلوا علیه كان الذى یكلمه منهم جعفر بن أبى طالب، فقال له النجاشى:

ما هذا الدین الذى أنتم علیه؟ فارقتم دین قومكم، ولم تدخلوا فى یهودیة ولا

۱- ۱.. وأعلى بهم عیناً أى أبصر بهم، وأعلم بحالهم. اللسان: علا.

ص: ۲۱۲

نصرانيه، فما هذا الدين؟

فراح جعفر رضوان اللَّه عليه يبين له حيث قال:

.. أيها الملك كنّا قوماً على الشرك، نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، ونستحلّ المحارم.. وغيرها، لا نحلّ شيئاً ولا نحرّمه، فبعث اللَّه إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءَه وصدقَه وأمانتَه، فدعانا إلى أن نعبد اللَّه وحده لا شريك له، ونصلَ الرحم، ونُحسِنَ الجوار، ونصلّى للَّه تعالى، ونصوم له، ولا نعبد غيره، فقال:

هل معك شيء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله، فقال له جعفر: نعم، فقال: هلمّ فاتلُ عليَّ ما جاء به. فقرأ عليه صدراً من كهيعص فبكى واللَّه النجاشى حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم. ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التى جاء بها موسى؛ انطلقوا راشدين، لا، واللَّه لا أردهم عليهم، ولا أنعمكم عيناً، فخرجنا من عنده، وكان أتقى الرجلين فينا عبداللَّه بن أبى ربيعة، فقال عمرو بن العاص: واللَّه لأثنينه غداً بما أستأصل به خضراءهم (۱). فلأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذى يعبد عيسى بن مريم عبد.

فقال له عبداللَّه بن أبى ربيعة: لا تفعل.. فإنهم إن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً، فقال: واللَّه لأفعلن، فلما كان الغد دخل عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى قولًا عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عنه، فبعث إليهم، ولم ينزل بنا مثلها. فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له فى عيسى إن هو سألكم عنه؟

فقالوا: نقول واللَّه الذى قاله اللَّه تعالى، والذى أمرنا به نبينا صلى الله عليه و آله أن نقول فيه: فدخلوا عليه وعنده بطارقته، فقال: ما تقولون فى عيسى بن مريم؟

وهنا أيضاً كان جعفر رضوان اللَّه عليه هو المحاور فقال له: نقول: هو عبدُ اللَّه ورسوله وكلمتُه وروحهُ ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فدلى النجاشى يده إلى الأرض، فأخذ عوداً بين أصبعيه، فقال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا

۱- ۱ خضراءهم: شجرتهم التى منها تفرعوا.

ص: ۲۱۳

العويد (۱)، فتناخرت بطارقته، فقال: وإن تناخرتم واللّه، اذهبوا، فأنتم شيوم فی أرضی- والشيوم: الآمنون- مَن سبّكم غرم، ثمّ من سبّكم غرم، ثمّ مَنْ سبّكم غرم، فأنا ما أحب أن لی دَبْراً وأنی آذيتُ رجلًا منكم- والدبر بلسانهم:

الذهب- فواللّه ما أخذ اللّه تعالى منی الرشوة حين ردّ علی ملكی فآخذ الرشوة منه، ولا أطاع الناس فیّ فأطيع الناس فيه، ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة إلی بها، وأخرجا من بلادی. فرجعا مقبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به. فأقمنا مع خير جار، وفی خير دار.

فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه فی ملكه، فواللّه ما علمنا حزناً حزنّا قط كان أشدّ منه فرقاً من أن يظهر ذلک الملک عليه، فيأتی ملک لا- يعرف من حقنا ما كان يعرفه، فجعلنا ندعو اللّه ونستنصره للنجاشی، فخرج إليه سائراً... فهزم اللّه ذلک الملک وقتله، وظهر النجاشی عليه... فواللّه ما علمنا فرحنا بشیء قط فرحنا بظهور النجاشی، ثمّ أقمنا عنده حتی خرج من خرج منا راجعاً إلی مكة، وأقام من أقام... (۲) وفی رواية ثانية ذكرها أبو نعيم فی حليته عن بردة عن أبيه:

قال: لما أمرنا رسول اللّه صلی الله عليه و آله أن ننطلق مع جعفر بن أبی طالب إلی أرض النجاشی، فبلغ ذلک قريشاً، فبعثوا عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد، فجمعوا للنجاشی هدية، فقدمنا وقدما علی النجاشی، فأتياه بالهدية فقبلها، وسجدا له. ثم قال له عمرو بن العاص: إنّ أناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم فی أرضک.

قال لهم النجاشی: فی أرضی؟ قالوا: نعم، فبعث إلينا.

فقال لنا جعفر: لا- يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم، فانتهينا إلی النجاشی وهو جالس فی مجلس وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمارة عن يساره، والقسيسون والرهبان جلوس سماطين سماطين، وقد قال لهم عمرو وعمارة: إنّهم لا يسجدون لک، فلما انتهينا بدرنا مَنْ عنده من القسيسين والرهبان:

۱- ۱ العويد: أی مقدار هذا العود الصغير.

۲- ۲ مختصر تاريخ دمشق ۶: ۶۳، ۶۴، ۶۵.

ص: ۲۱۴

اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلّاللّهعزّوجلّ.

قال له النجاشی: وما ذاك؟ قال: إنّ اللّه تعالى بعث فينا رسولًا وهو الرسول الذی بشر به عيسى عليه السلام.

قال: من بعدی اسمه أحمد. فأمرنا أن نعبد اللّه لا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة ونؤتی الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر.

فأعجب النجاشی قوله. فلما رأى ذلك عمرو بن العاص، قال: أصلح اللّه الملك إنهم يخالفونك فی ابن مريم.

فقال النجاشی لجعفر: ما يقول صاحبكم فی ابن مريم؟

قال: يقول فيه قول اللّه عزّوجلّ: هو روح اللّه وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التی لم يقربها بشر، ولم يفترضها ولد.

فتناول النجاشی عوداً من الأرض فرفعه، فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون فی ابن مريم ما يزن هذه. ثمّ قال: مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده.

وأنا أشهد أنه رسول اللّه، وأنه الذی بشر به عيسی عليه السلام ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله. امكثوا فی أرضی ما شئتم. وأمر لنا بطعام وكسوة وقال: ردوا على هذين هديتهما (۱).

وفی حلية الأولياء أيضاً كان جواب جعفر: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتی الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسیء الجوار، ويأكل القوی منا الضعيف. وكنّا على ذلك حتى بعث اللّه تعالى إلينا رسولًا منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى اللّه تعالى لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة. وأمرنا أن نعبد اللّه

۱- ۱ حلية الأولياء: ۱۱۴- ۱۱۵.

ص: ٢١٥

وحده لا نشرک به شيئاً. وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قال:- فعدد عليه أمور الإسلام- فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من اللّه عزّوجلّ، فعبدنا اللّه وحده، فلم نشرک به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا. فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة اللّه عزّوجلّ، وأن نستحل ما كنّا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادک، فاخترناک على مَنْ سواک، ورغبنا فى جوارک، ورجونا أن لا نظلم عندک أيها الملک...

ولما أرسلت قريش مبعوثيها إلى الحبشة، يقول ابن هشام فى سيرته (١):

فقال (ابو طالب) حين رأى ذلک من رأيهم وما بعثوهما فيه، أبياتاً للنجاشى يحضّه على حسن جوارهم والدّفع عنهم:

ألا ليتَ شعرى كيف فى النأى جعفرٌ وعمرو وأعداء العدوّ الأقاربُ

وهل نالت أفعالُ النجاشى جعفراً وأصحابه أو عاق ذلک شاغب

تعلَّم، أبيت اللّعن، أنّک ماجدٌ كريمٌ فلا يشقى لديک المجانب

تعلّم بأنّ اللّهَ زادک بَسطةً وأسبابَ خيرٍ كلّها بک لازب

وأنّک فيضٌ ذو سِجال غزيرةٍ يَنال الأعادى نفعها والأقارِب أما لماذا جعفر؟!

لقد كان جعفر ومعه زوجته أسماء الوحيد من بنى هاشم ممّن قد خرج إلى أرض الحبشة مهاجراً، والذى أعتقده أن جعفراً لم يكن من الذين اضطُهِدوا من قبل قريش، ولم يتعرض إلى ما تعرض له بقية المسلمين لما يتمتع به من منعة عشيرته ومكانتها- وإن كان هناک غيره لم تستطع قريش من اضطهاده- إلّاأن لجعفر قدرات ذاتية اكتشفها رسول اللّه صلى الله عليه و آله فيه ستجعل له دوراً رسالياً مهماً فى الحبشة. وإذا ما تعرض المهاجرون- الذين كان عددهم أكثر من ٨٠ مهاجراً- إلى

١- ١ السيرة النبوية لإبن هشام ١: ٣٣٢.

ص: ۲۱۶

مواقف خطيرة وفى الـذب والـدفاع عنهم وعن الـدين الجديد. وهذا ما حدث بالفعل، فقد نقلنا تلك الروايات لنلقى الضوء كاملًا على دور هـذا الرجل فى إقناع النجاشـى وبطارقته بمظلوميـة المهاجرين وليس هـذا فقط بل فى عرض الإسـلام بشـكل واضـح وجلى، مبيناً خصائص النبى صـلى الله عليه و آله ودوره فى دعوة قومه إلى هـذا الـدين ونبـذ عبادة الأصـنام.. وكل هـذا يحتاج إلى شـجاعة وجرأة وقدرة على البيان والمحاورة، وهذه الصـفات جمعت فى جعفر بن أبى طالب رضوان اللَّه تعالى عليه، فجعلت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يأذن له بالهجرة بل ويأذن له بالبقاء طيلة خمس عشرة سنة تقريباً فقد هاجر سنة خمس من مبعث النبى صلى الله عليه و آله وقدم إلى المدينة سنة سبع من الهجرة، فنال بذلك وسام الهجرتين.

لقـد كـان بحقّ رجـل الإسـلام الأـول ورجـل الحوار الأـوّل فى تلـك البلاد، فمن محاوراته الجميلـة التى أحرجت عمرو وصاحبه أمام النجاشى.. ما ذكره صاحب تفسير مجمع البيان:.. قال جعفر: يا أيها الملك سلهم أنحن عبيد لهم؟ فقال: لا، بل أحرار. قال: فسلهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟ قال: لا، ما لنا عليكم ديون.

قال: فلكم فى أعناقنا دماء تطالبوننا بها؟ قال عمرو: لا. قال: فما تريدون منّا؟

آذيتمونا فخرجنا من دياركم. ولم يكتف جعفر بهذا بل عقبه بذكر النبىّ وأحكام الإسلام.

أيهـا الملـك بعث اللَّه فينـا نبيّاً أمرنـا بخلع الأنـداد، وترك الاسـتقسام بالأزلاـم، وأمرنا بالصـلاة والزكاة والعـدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، ونهانـا عن الفحشـاء والمنكر والبغى... (۱) فرسول اللَّه صـلى الله عليه و آله لم يـأذن لهم بـالهجرة للخلاـص بأنفسـهم وأهليهم فحسب، وإن كان هذا هدفاً سليماً طالما لم يستطع الدفاع عنهم من ظلم قريش وتعسّفها وهو بعد فى أول أمره ولم يؤمر بالجهاد، إلّاأنه كان يريد منهم أيضاً أن يحملوا هذه الرسالة التى جاءت إلى الناس كافة، وأن يكونوا له دعاةً فى غير مكّة وبلاد

۱- ۱ تفسير مجمع البيان ۳: ۳۶۱.

ص: ۲۱۷

الجزيرة العربيـة، وأن يزيحوا العوائق التى قـد تسـتفيد منها قريش مسـتقبلًا.. أراد رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله لجعفر وللمهاجرين أن يكونوا دعاة رسالة ورجال حضارة وبناة تأريخ ومسـتقبل زاهر بالإسـلام ومبادئه. وأن يسـتوعبوا الزمن كلّه والمكان كلّه والناس كلّهم، وهـذا ما حـدث فعنـد عودة جعفر إلى المدينة كان معهم سـبعون رجلًا منهم اثنان وسـتون من بلاد الحبشة وثمانية من أهل الشام فيهم بحيراء الراهب، فقرأ عليهم رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله سورة يس إلى آخرها فبكوا حين سـمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بمـا كـان ينزل على عيسـى، فـأنزل اللَّه فيهم.. وإذا سـمعوا مـا أنزل اللَّه إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الـدمع ممـا عرفوا من الحقّ يقولون ربّنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين.. (۱)

.

أمّا لماذا الحبشة؟!

لابـدّ لمن يريد أن ينجو من الاضـطهاد والعذاب أن يختار مكاناً آمناً يلوذ به وإلّا فسـيكون كالمسـتجير من الرمضاء بالنار. لهذا فقد تمّ اختيار هـذه البلاد وكما صـرح بذلك رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله حينما أمر المسـلمين بالهجرة: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها مَلكاً لا يُظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل اللَّه لكم فرجاً ممّا أنتم فيه (۲).

إذن فهى بلاد صـدق وفيها حاكم عادل فتجـد الـدعوة ويجـد المهاجرون ساحة بلا موانع يسـتطيعون التحرّك عليها بحريّة وأمان. كما أنها أرض كانت متجراً لقريش، يقول الطبرى:.. وكانت أرض الحبشـة متجراً لقريش يتجرون فيها، يجـدون فيها رفاغاً من الرزق، وأمناً ومتجراً حسناً (۳).

وكانت- أيضاً بلاداً مفتوحـةً على كثير من البلـدان، فهى بالتالى تشـكّل ساحة مناسـبة لنشـر الدعوة الجديدة وبثّها فى تلك البلاد وفى غيرها، كما تشكّل ساحة ضغط على قريش وتجارتها..

۱- ۱ سورة المائدة: ۸۲- ۸۴ انظر مجمع البيان ۳: ۳۶۱.

۲- ۲ سيرة ابن هشام ۱۲: ۳۲۱.

۳- ۳ تاريخ الطبرى ۱: ۵۴۶، رفاغاً: سعة.

ص: ۲۱۸

وهـذا ما حصل بالفعل، فقـد وصل تأثیر المهاجرین- بدءاً بالملک الذی أعلن موقفه من الإسـلام ومن المهاجرین وحمایتهم بقوله: أنا أشـهد أنه رسول اللَّه... إلی غیر الملک من أشـراف القوم وأبناء البلاد الآخرین.. وکما یـذکر الطبری: ثمّ إنه فشا الإسـلام فیها، ودخل فیه رجال من أشرافهم (۱).

شجاعته واستشهاده:

بعد عودته رضوان اللَّه علیه إلی المدینهٔ من الحبشهٔ- کان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بخیبر سنهٔ ۷ ه- بعد أن قضی فیها سنین عدداً مهاجراً، وکان بصحبته زوجته أسماء وأولاده الثلاثهٔ محمد وعبداللَّه وعوف، تقول الروایهٔ المنقولهٔ عن الشعبی... قال:

لما فتـح النبی صـلی الله علیه و آله خیبر قـدم جعفر بن أبی طالب رضوان اللَّه علیه من الحبشهٔ، فالتزمه رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله، وجعل یقبّل بین عینیه ویقول: «ما أدری بأیهما أنا أشدّ فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خیبر؟!» (۲) وقد آخی بینه وبین معاذ بن جبل.

فأقام بالمدینـهٔ شـهراً ثمّ جعله رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله أحـد الامراء الثلاثـهٔ علی جیش غزوهٔ مؤتهٔ بناحیهٔ الکرک بالبلقاء. فتوجه إلی هناک حیث خاض معرکهٔ لم یخض المسـلمون معرکهٔ مثلها، کما وصـفت، وکان أعداء المسلمین من المشرکین الروم قد ادّرعوا بالعتاد والأعداء ما یملأ السـهل والجبل، وما لا طاقهٔ للعرب ولا للمسـلمین به، وکان جعفر أحد قواد الجیش الثلاثهٔ الذین عیّنهم رسول اللَّه صـلی الله علیـه و آلـه فعن عروهٔ بـن الزبیر: أنـه بعـث ذلـک البعـث (بعـث رسـول اللَّه صـلی الله علیه و آله الجیش إلی مؤتـهٔ) فی جمادی..

لسـنهٔ ثمان من الهجرهٔ، واسـتعمل علیهم زید بن حارثهٔ، وقال: إن أُصـیب زید فجعفر بن أبی طالب علی الناس، فإن أصیب جعفر فعبد اللَّه بن رواحهٔ علی الناس (۳).

وقد ذکر الدکتور الجمیلی صاحب کتاب صحابهٔ النبی صلی الله علیه و آله وصفاً للمعرکهٔ ولاستشهاد جعفر: واشتبکت الأسنهٔ، واشتجر الوغی، وعلا رهج الحرب،

۱- ۱ تاریخ الطبری ۱: ۵۴۶.

۲- ۲ انظر مقاتل الطالبیین: ۳۰، عن ابن سعد ۴: ۲۳ وابن أبی الحدید ۳: ۴۰۷، والبدایهٔ والنهایهٔ ۴: ۲۵۶، والاستیعاب ۱: ۸۱.

۳- ۳ أنظر مقاتل الطالبیین: ۳۰، عن ابن سعد ۲: ۹۳، و ۴: ۲۲، وابن هشام ۴: ۱۵، والبدایهٔ والنهایهٔ ۱: ۲۴۱، والسیرهٔ الحلبیهٔ ۳: ۷۷.

ص: ۲۱۹

وأدرك الروم أنهم إزاء فارس لا ـ ضريب له، لا تثلم له ضربة، ولا يغل له سنان، ولا تنبو له ضريبة، فاعتوره الأعداء من كل صوب وجهة، وهو يرميهم ذات اليمين وذات الشمال، يستأصل شأفتهم، ويبيد خضراءهم، وهو ممسك بالراية بيده اليمنى، فقطعوها له، فالتقطها بيده اليسرى، ولا يزال صامداً متماسكاً، إلّاأن الروم ظلوا يتدافعون إليه، واحتوشوه حتى قطعت يده اليسرى، فاحتضن الراية بعضديهَ شهامةً حتى الموت، واندفعت الأمور لنهاياتها الحتمية، فقتل جعفر رضى اللّه عنه وسقط شهيداً مضرجاً بدمائه مثخناً بجراحه، مزملًا في ثيابه، مدثراً ببطولة لا مثل لها.

يقول عبد اللّه بن عمر: كنت مع جعفر في غزوة مؤتة، فالتمسناه، فوجدناه وبه بضع وتسعون ما بين طعنة ورمية.

وقال الزركلي في أعلامه: وحضر موقعة مؤتة بالبلقاء من أرض الشام، فنزل عن فرسه وقاتل ثمّ حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين، فطعنت يمناه فحمل الراية باليسرى فطعنت أيضاً، فاحتضن الراية إلى صدره، وصبر حتى وقع شهيداً وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية، فقيل: إن اللّه عوضه عن يديه جناحين في الجنة، وقال حسان:

فلا يبعدن اللّه قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر وقد روى عكرمة عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه و آله قال: دخلت الجنة فرأيت جعفر الطيار مع الملائكة وجناحاه مضرجان بالدم.

يقول بن عوف- وهو ممن حضر معركة مؤتة- عن شجاعة جعفر: لكأني أنظر إلى جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثمّ تقدم فقاتل حتّى قتل، قال بن اسحق: فهو أول من عقر في الإسلام وهو يرتجز:

يا حبذا الجنة واقترابُها طيبةٌ وباردٌ شرابُها

والرومُ رومٌ قد دنا عذابُها عليّ إن لاقيتها ضرابُها وفيما قاله رسول اللّه صلى الله عليه و آله عن إيمان جعفر الثابت وشجاعته:.. ولما أخذ جعفر ابن أبي طالب الراية، جاءه الشيطان فمناه، وكره إليه الموت، فقال: الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا، ثمّ مضى قدماً حتى استشهد.

فصلى عليه رسول اللّه صلى الله عليه و آله ودعا له، ثمّ قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «استغفروا لأخيكم جعفر فقد استشهد ودخل الجنة، وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة».

ولما ورد خبر استشهاد زيد وجعفر وعبداللّه بكى أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وهم حوله فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ما لنا لا نبكي وقد ذهب خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا. فقال: لا تبكوا، فإنما مثل أمتي كمثل حديقة قام عليها صاحبها فأصلح رواكيها وهيّأ مساكبها، وحلق سعفها، فأطعمت عاماً فوجاً، ثمّ عاماً فوجاً، ثمّ عاماً فوجاً، فلعل آخرها طعماً أن يكون أجودها قنواناً، وأطولها شمراخاً. والذي بعثني بالحقّ ليجدن ابن مريم في أمتي خلفاً من حواريه (۱).

ولما استشهد جعفر وأصحابه أتى رسول اللّه صلى الله عليه و آله بيت جعفر، تقول أسماء بنت عميس زوجة جعفر: لما اصيب جعفر وأصحابه أتاني رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ولقد هيأت أربعين مناً (۲) من أدم، وعجنت عجيني، وأخذت بنيّ فغسلت وجوههم ودهنتهم، فدخل عليّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقال: يا أسماء، أين بنو جعفر؟ فجئت بهم إليه، فضمهم إليه وشمهم، ثمّ ذرفت عيناه فبكى، فقلت: أي رسول اللّه لعله بلغك عن جعفر شيء، فقال: نعم، قتل اليوم. فقالت: فقمت أصيح، واجتمع إليّ النساء، قالت: فجعل رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: يا أسماء: لا تقولي هُجراً، ولا تضربي صدراً.

قالت: فخرج رسول اللّه صلى الله عليه و آله حتى دخل على ابنته فاطمة، وهي تقول:

واعماه، فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: على مثل جعفر فلتبك الباكية، ثمّ قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم... ثمّ صعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال: أيها الناس، إن جعفر بن أبي طالب مرّ مع جبريل وميكائيل

۱- ۱ مقاتل الطالبيين: ۳۱- ۳۲.

۲- ۲ فى الأصل: «منياً» تحريف. والمنا: الكيل أو الوزن الذى يوزن به، وهو أفصح من المنّ، لغة تميم. اللسان: منن، منى.

ص: ۲۲۱

له جناحان، عوضه اللَّه من يديه فسلّم عليّ.. وأخبرنی أنه لقی المشركين يوم كذا وكذا.... فقال: لقيت المشركين فأصبت فی جسدی من مقاديمی ثلاث وسبعين طعنة وضربة، ثم أخذت اللواء بيدی اليمنی فقطعت، ثمّ أخذته بيدی اليسری فقطعت فعوضنی اللَّه من يدی جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل، أنزل من الجنة حيث شئت... فلذلک سمّی الطيار فی الجنة.

عمره

وقع الخلاف فی عمره الشريف حينما استشهد فی معركة مؤتة، فقد ذهب الواقدی وغيره إلی أن قتله كان سنة ثمان من الهجرة.. وعمّر جعفر ثلاثاً و ثلاثين سنة، وقيل: قتل وهو ابن خمس وعشرين سنة.

فی حين ذهب بعض إلی أن عمره رضوان اللَّه عليه وقت استشهاده كان ثلاثاً أو أربعاً وثلاثين سنة، وقد نسب هذا إلی أحد أحفاد جعفر وهو علی بن عبد اللَّه ابن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علی بن عبد اللَّه بن جعفر بن أبی طالب حيث قال: قتل جعفر وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة.

هذه هی خلاصة بعض الأقوال فی عمره، وكلها مردودة، فقد رفض أبو الفرج الأصفهانی صاحب مقاتل الطالبيين هذا حيث قال: وهذا عندی شبيه بالوهم؛ لأنه قتل فی سنة ثمان من الهجرة، وبين ذلک الوقت وبين مبعث رسول اللَّه صلی الله عليه و آله إحدی وعشرون سنة، وهو أسن من أخيه أمير المؤمنين علی عليه السلام بعشر سنين، كان لعلی حين أسلم سنون مختلفة فی عددها، فالمكثر يقول: كانت خمس عشرة، والمقلل يقول: سبع سنين.

وكان إسلامه فی السنة التی بعث فيها رسول اللَّه صلی الله عليه و آله لا خلاف فی ذلک. وعلی أی الروايات قيس أمره علم أنه كان عند مقتله قد تجاوز هذا المقدار من السنين.

وذكر أبو الفرج فی الهامش بأن ابن عبد البر جزم بأن سنّه كانت إحدی

ص: ۲۲۲

وأربعين سنة (۱).

وهذا القول الأخير مبنى على كون عمر جعفر حين إسلامه كان عشرين سنة.

وما ورد فى الروايـة أعلاه من كون عمره ۳۳، ۳۴ فهو خطأ؛ لأن الأخذ بها يجعل عمر جعفر حين إسلامه ۱۲ سنة أو ۱۳ سنة، وبالتالى فهو يساوى عمر الإمام على عليه السلام أو يقاربه إن لم يكن أصغر سناً من الإمام إذا ما أخذنا برواية المكثرين من كون عمر الإمام كان ۱۵ سنة وقت إسلامه، وهذا يخالف كل المصادر التأريخية التى أجمعت على كون جعفر أكبر سناً من الإمام على عليه السلام بعشر سنين.

فعمر جعفر وقت استشهاده قد لا يمكن القطع به بل يمكننا أن نقول: إنه بعد تجاوزه الأربعين سنة بقليل، أما تحديده ب ۴۱، أو ۴۲ على وجه الجزم أمر قد لا يخلو من مجازفة، وهو ترجيح لرواية السن على أخرى بلا مرجح قوى. وأما كون عمره خمساً وعشرين سنة فهو أمر لا يستحق الوقوف عنده.

صلاة جعفر

وممّا علّمه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله صلاة خاصّة تسمى بصلاة الحبوة والتسبيح.

فقد روى أبوحمزة الثمالى عن أبى‌جعفر عليه السلام قال: «قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لجعفر بن أبى‌طالب: يا جعفر ألا أمنحك، ألا أُعطيك، ألا أحبوك (۲)، ألا أُعلّمك صلاة إذا أنت صلّيتها لو كنت فررت من الزّحف وكان عليك مثل رمل عالج (۳) وزبد البحر ذنوباً غفرت لك؟ قال: بلى يا رسول اللَّه، قال: تصلّى أربع ركعات إذا شئت إن شئت كلّ ليلة، وإن شئت كلّ يوم، وإن شئت فمن جمعة إلى جمعة، وإن شئت فمن شهر إلى شهر، وإن شئت فمن سنة إلى سنة، تفتتح الصلاة ثمّ تكبّر خمس عشرة مرّة، تقول: اللَّه أكبر وسبحان اللَّه والحمد للَّه‌ولا إله إلّااللَّه، ثمّ تقرأ الفاتحة وسورة، وتركع فتقولهنَّ فى ركوعك عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسك من الركوع فتقولهنّ عشر

۱- ۱ مقاتل الطالبيين، انظر شرح المواهب ۲: ۲۷۱.

۲- ۲ أمنحك وأعطيك وأحبوك متقاربة المعانى، والمنحة: العطية. والحباء: العطاء ومنه الحبوة باعتبار اعطاءالنبى صلى الله عليه و آله لجعفر عليه السلام.

۳- ۳ الرمل العالج أى‌المتراكم، وعوالج الرمل هو ما تراكم منه.

ص: ۲۲۳

مرّات، وتخرُّ ساجداً وتقولهنَّ عشر مرّات فی سجودک، ثمّ ترفع رأسک من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تخرّ ساجداً وتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسک من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تنهض فتقولهنّ خمس عشرهٔ مرّهٔ، ثمّ تقرأ فاتحهٔ الکتاب وسورهٔ، ثمّ ترکع فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسک من الرکوع فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تخرُّ ساجداً فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسک من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تسجد فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسک من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تتشهّد وتسلّم؛ ثمّ تقوم وتصلّی رکعتین أخراوین تصنع فیهما مثل ذلک ثمّ تسلّم. قال أبوجعفر علیه السلام: فذلک خمس وسبعون مرّهٔ فی کلّ رکعهٔ ثلاثمائهٔ تسبیحهٔ تکون ثلاثمائهٔ مرّهٔ فی الأربع رکعات ألف ومائتا تسبیحهٔ یضاعفها اللّه عزّوجلّ ویکتب لک بها اثنتی عشرهٔ ألف حسنهٔ، الحسنهٔ منها مثل جبل اُحد وأعظم» (۱) وعن أجر من صلّاها، سئل الإمام أبوعبداللّه علیه السلام «عمّن صلّی صلاهٔ جعفر، هل یکتب له من الأجر مثل ما قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله لجعفر؟ قال: إی‌واللّه» (۲).

قالوا فیه

إذا ما نظرنا فی الذی ورد فی جعفر من أقوال وروایات.. یمکننا أن نتصور من خلال ذلک شخصیته ومکانته وما یملکه من قدرات، فمن أقوال الرسول صلی الله علیه و آله فیه:

«خیر الناس حمزهٔ، وجعفر وعلی» (۳).

«رأیت جعفراً ملکاً یطیر فی الجنهٔ مع الملائکهٔ بجناحین» (۴).

وقال صلی الله علیه و آله مخاطباً جعفراً: «أنت أشبهت خَلقی وخُلقی» (۵).

«نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنهٔ: رسول اللّه، وحمزهٔ سید الشهداء، وجعفر ذو الجناحین، وعلی، وفاطمهٔ، والحسن، والحسین» (۶).

وفی روایهٔ أخری قال فیها رسول اللّه صلی الله علیه و آله:

۱- ۱ من لا یحضره الفقیه ۱: ۳۷۰.

۲- ۲ المصدر نفسه ۱: ۳۷۱.

۳- ۳ شرح ابن أبی الحدید ۳: ۴۰۷.

۴- ۴ طبقات ابن سعد ۴: ۲۶، وأسد الغابهٔ ۱: ۲۸۷، الإصابهٔ ۱: ۲۴۹.

۵- ۵ ابن أبی الحدید ۳: ۴۰۷، الإصابهٔ ۱: ۲۴۸.

۶- ۶ مختصر تاریخ دمشق ۶: ۶۸.

ص: ۲۲۴

«نحن سبعة «بنو عبد المطلب» سادات أهل الجنة، أنا، وعلى أخى، وعمّى حمزة، وجعفر، والحسن والحسين، والمهدى» (۱).

أمّا ما قاله صاحب حلية الأولياء أبو نعيم الأصفهانى فى مقدمة ترجمة جعفر:

ومنهم الخطيب المقدام، السخى المطعام، خطيب العارفين، ومضيف المساكين، ومهاجر الهجرتين، ومصلى القبلتين، البطل الشجاع، الجواد الشعشاع، جعفر بن أبى‌طالب عليه السلام، فارق الخلق ورامق الحق،...

وأما ما قاله فيه صاحب سير أعلام النبلاء..

السيد الشهيد، الكبير الشأن، علم المجاهدين، أبو عبداللَّه، ابن عمّ رسول اللَّه.

ومن شعر حسان بن ثابت فى بنى هاشم ومنهم جعفر (۲):

رأيت خيارَ المؤمنينَ توادُوا شَعُوبَ وقد خُلِّفتُ فيمن يؤخَّرُ

فلا يُبعدَنَّ اللَّهُ قتلى تتابعوا جَميعاً ونيرانُ الحروبِ تَسَعَّرُ

غداة غدا بالمؤمنينَ يقودُهُمْ إلى الموتِ ميمونُ النّقِيبَهْ أزهرُ

وكنا نرى فى جعفرٍ مِنْ محمد وَقَاراً وأمْراً حَازماً حِيْن يَأمُرُ

وما زال للإسلامِ مِنْ آل هاشمٍ دَعائمُ عِزٍّ لا تَزالُ ومَفْخرُ

بَهالِيْلُ منْهُمْ جَعْفَر وابنُ أُمّهِ عليٌّ ومِنْهُمْ أحمدُ المتخيَّرُ

وحمزةُ والعباسُ منهمْ وَمنْهُمُ عَقِيلٌ وماءُ العُودِ مِنْ حيثُ يُعَصرُ

بهمْ تُفْرَجُ اللأواءُ فى كلِّ مأزقٍ عَماس (۳) إذا ما ضَاقَ بالأمْر مَصْدَرُ

وهمْ أولياءُ اللَّهِ نزّل حكمهُعليهم وفيهِمْ والكتابُ المطَّهرُ

وفى رثاء جعفر قال كعب بن مالك:

هدت العيون ودمع عينك يهمل سَحّاً كما وَكَفَ الضباب الُمخْضلُ (۴) وكأنّما بين الجوانح والحشا مما تأَوَّ بَنى شِهابٌ مُدْخَلُ (۵) (۷)

۱- ۱ مختصر تاريخ دمشق ۶: ۶۸.

۲- ۲ الديوان: ۲۳۵، باختلاف فى الرواية، وانظر مقاتل الطالبين: ۳۲- ۳۳.

۳- ۳ أمر عَماس: شديد مظلم، لا يُدرى من أين يؤتى له. اللسان: عمس.

۴- ۴ الشعر فى ابن هشام ۴: ۲۷ ابن أبى الحديد ۳: ۴۰۴ والبداية والنهاية ۴: ۲۶۱. همل الدمع: سال، وسحا: صبا، ووكف: قطر، ويروى «كما وكف الطباب» وهو جمع طبابة، وهى سير بين خرزتين فى المزادة فإن كان غير محكم كف منه الماء، والمخضل: السائل الندى. وفى ابن أبى الحديد ۳: ۴۰۴ «وكف الرباب» وفى سيرة ابن هشام بعد هذا البيت: فى ليلة وردت على همومها طوراً أحن وتارة أتململ واعتادنى حزن فبتَ كأننى ببنات نعش والسماك موكل

۵- ۵ المدخل: النافذ: إلى الداخل.

ص: ۲۲۵

وَجْداً على النَّفَر الذين تَتَابَعُوايوْماً بمُؤتَة أُسْندوا لمْ يُنْقَلوا صلى الإِلهُ عليهم من فِتيةٍوسقى عظامهمُ الغمامُ المُسْبِل (۱) صبروا بمؤتة للإله نفوسهُمْعند الحِمَام حفيظةً أن يَنْكُلُوا (۲) إذ يهتدون بجعفرٍ ولوائِهِقُدَّامَ أَوَّلِهِمْ ونِعْمَ الأَوَّل (۳) حتى تفرَّقت الصفوف وجعفرٌحيثُ الْتَقى وَعْثُ الصُّفُوفِ مُجَدَّل (۴) فَتَغَيَّرَ القمرُ المنيرُ لفقدهوالشمسُ قد كَسَفَتْ وكادتْ تَأْفُل (۵) [قومٌ بهم نصرَ الإِلهُ عبادَهوعليهُم نزل الكتاب المُنْزَل (۶)

[

وبهديهمْ رَضـى الإِلهُ لِخَلْقِهِوحَدّهم نُصِرَ النبيّ المُرْسَل (۷) بيضُ الوجوه تُرَى بُطُون أَكُفِّهِمْتَنْدَى إذا اعتـذرَ الزمـانُ المُمْحِل (۸) ومن أبيات لحسان وهو يرثى جعفر بن أبى طالب:

لقد جزعتُ وقلتُ حين نُعيتَ لى مَن للجلاد لدى العُقاب وظلِّها (۹)

بعد ابن فاطمة المبارك جعفرخير البرية كلّها وأجلّها

*** فسلام عليك يا جعفر فى الخالدين

الهوامش:

بحثا عن النور

۱- ۱ المسبل: الممطر.

۲- ۲ الحمام: الموت. وينكلوا: يرجعوا هائبين لعدوهم.

۳- ۳ بعد هذا البيت فى سيرة ابن هشام: فمضوا أمام المسلمين كأنّهم فنق عليهن الحديد المرفل

۴- ۴ فى سيرة ابن هشام «حتى تفرجت» والوعث الرمل الذى تغيب فيه الأرجل، ومجدل: مطروح على الجدالة، وهى الأرض. وفى ابن أبى الحديد «... التقى جمع الغواة».

۵- ۵ تأفّل: تغيب، وفى القرآن «فلما أفلت قال إنى لا أحب الآفلين» وفى سيرة ابن هشام بعد هـذا البيت: قرم علا بنيانه من هاشم فرعاً أشم وسؤدداً ما ينقل

۶- ۶ الزيادة من النسخة الخطية وفى سيرة ابن هشام «عصم الإله» وفيها بعد البيت: فضلوا المعاشر عشرة وتكرماً وتنهدت أحلامهم من يجهل لا يطلقون إلى السفاه حُباهم ويرى خطيبهم بحق يفصل

۷- ۷ ويروى «بجدهم» قال أبوذر: «من رواه بالحاء المهملة فمعناه بشجاعتهم وإقدامهم؛ ومن رواه بالجيم المكسورة فهو معلوم».

۸- ۸ الممحل: الشديد القحط وفى أ، ب: «قوم بهم نظر الإله لخلفه».

۹- ۹ العقاب: اسم لراية الرسول.

ص: ٢٢٨

بحثاً عن النور

على الكورانى

فى طريقنا إلى البقيع سألنى رفيقى مرتضى:

- ما لى أراك ساكتاً متفكراً كأنّك فى عالم آخر ... هل حدث لك شىء؟!

- لم يحدث لى شىء، وكأنى لست أهلًا لأن يحدث لى شىء .. أو أجد ريح يوسف ...

هل نسيت أننا فى مدينة الرسول، وأنها مسكن صاحب الأمر، أرواحنا فداه؟!

لقد شغل فكرى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «لابدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولابدّ له فى غيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبة، وما بثلاثين من وحشة».

مسألة بهذه الضخامة، كيف لا تشغل الفكر والحواس؟!

نور اللّه فى أرضه وحجته على عباده .. يسكن فى هذا البلد الذى نحن فيه، ولا نبحث عنه، أو عن أثارةٍ منه

أما قرأت قوله تعالى: اللَّهُ نورُ السماوات والأرض مثلُ نوره كمشكاة فيها مصباحٌ المصباحُ فى زجاجة الزجاجةُ كأنها كوكب درى

ص: ۲۲۹

يوقدُ من شـجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتُها يضيء ولو لم تمسسه نار نورٌ على نور يهدى اللَّه لنوره من يشاء ويضرب اللَّه الأمثـال للنـاس واللَّه بكلّ شـيء عليم فى بيوت أذن اللَّه أن ترفع ويـذكر فيها اسـمُهُ يُسبّح له فيها بالغـدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر اللَّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ...؟ (۱).

يعنى أنّ لنوره- عزوجل- مركزاً فى الأرض، وأنه مثل المشكاة، وأنه- تعالى- يضرب هذا المثل للناس الساكنين على هذه الأرض!!

فأين هو هذا النور الإلهى، والمشكاة والمصباح المتوقّد؟ ..

كيف يمكننـا أن نقبـل أقوال المفسـرين بـأن الآيـة التى بعـدها: فى بيوت أذن اللَّه أن ترفع لا علاقـة لها بآيـة النور، ونغمض عيوننا عن الحديث النبوى الذى نرويه عن أهل البيت عليهم السلام، ويرويه السيوطى والثعلبى بأنّ هذا النور الإلهى موجود فى هذه البيوت، وأنّها بيوت الأنبياء والأئمة؟!

يقول السيوطى فى الدر المنثور: (۲) «وأخرج ابن مردويه عن أنس ابن مالك وبريدة قال: قرأ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هذه الآية فى بيوت أذن اللَّه أن ترفع فقام إليه رجل فقال: أى بيوت هذه يا رسول اللَّه؟

قال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول اللَّه، هذا البيت منها- لبيت على وفاطمة-؟ قال: نعم من أفاضلها»!

وكيف نقنع بتفسير المفسّـرين لهـذه البيوت بأنها المساجـد، وبأن مشكـاة نور اللَّه فى الأرض هى قناديل المساجد التى يضـيؤها الناس بالشمع، والنفط، والكهرباء؟!

ألا ترى أنّ مطلع الآية اللَّه نور السـماوات والأرض يمهد للمسألة ويلخّصها كلّها .. فهو- عزوجل- نور خلق السماوات والأرض .. ونور استمرار وجودها وحياتها .. ونور كل شيءٍ فيها .. وله فى كلّ عصر نور فى

۱- ۱ النور: ۳۵- ۳۷.

۲- ۲ الدر المنثور ۵: ۵۰.

ص: ۲۳۰

الأرض أشبه ما يكون بالمصباح فى المشكاة، يهدى إليه من يشاء ..

وهذا هو مضمون الحديث المتواتر: «إنّ اللَّه- تعالى- لا يخلى أرضه من حجّة، إمّا ظاهراً مشهوداً، أو خائفاً مغموراً».

*** وبعد الزيارة، اقترح صاحبى أن نجلس عند جدار البقيع، ونكمل حديثنا عن الإمام المهدى عليه السلام، فجلسنا، وقال:

- أتعنى: أنّ الإمام المهدى عليه السلام هو فى عصرنا مركز النور الإلهى فى آية النور؟

- يا صاحبى إنّ مقتضى قوله مثل نوره كمشكاة أن هذه المشكاة موجودة دائماً فى الأرض، لأنّه كلام مطلق من حيث الوقت وليس مقيّداً بزمان، والحديث النبوى الذى رواه السيوطى صريح فى ذلك.

- أقول: إنّ الأفعال الإلهية فى الأرض والناس تتمّ بواسطة الإمام المهدى عليه السلام؟!

- بل أقول: إنّ للَّهمصباحاً فى أرضه هو مركز نوره، ولا شكّ فى أنّه كان متمثلًا بالنبىّ صلى الله عليه و آله، وكان له دوره فى إشعاع النور الإلهى، ودوره فى فيض العطاء الإلهى أكثر من تصوّرنا العادى ..

ثمّ لا شكّ فى أنّ هذا المصباح تمثل من بعده بعلىّ والأئمة من ولده عليهم السلام ضمن الحدود التى أخبر بها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ..

أَما فهمت من سؤال أبى بكر للنبى أنه أراد أن يعرف أن بيت علىّ وفاطمة- الذى يؤكد الرسول دائماً أنّه بيته، وأنّ أهله هم أهل بيته- هل هو من بيوت الأنبياء ومراكز النور الإلهى؟ فأجابه النبىُّ صلى الله عليه و آله: بأنه ليس فقط جزءاً منها بل هو من البيوت المميّزة فيها!!

أَما قرأت سورة القدر وملائكتها المتنزلة فى كلّ عام بكلّ أمر ..؟

أَما تأمّلت فى هذا التعميم؟!

إنّ مقام نبيّنا ومقام أوصيائه يا

ص: ۲۳۱

صاحبى أعظم مما نتصوّر، وأنواع الأفعال الإلهيـة أكثر مما نتصوّر، فمنها ما يفعله اللَّه- تعالى- مباشـرة، ومنها ما يفعله بواسـطة ملائكته وأنبيائه، أو بواسطة من يشاء من خلقه!

ولعلّنا نسـتطيع أن نجد أضواء على أنواع الفعل الإلهى وقوانينه من القرآن، من نسـبة الفعل إلى اللَّه- تعالى- بصيغة المفرد المتكلّم، أو بصيغة الجمع، أو بصيغة الغائب ..

إنّ دراسة الأفعال المسـندة إلى اللَّه- تعالى- فى القرآن، عن طريق إحصائها وتقسـيمها وتحليلها، سيعطينا أضواء هامة على أنواع الفعل الإلهى ووسائله .. إنك تشعر أن فى صيغ الفعل الإلهى فى القرآن هدفاً، وأنّ وراءها قاعدة ..

مثلًا بعض الأفعال أسـندها- عزوجل- إلى نفسه بصـيغة المفرد المتكلم، وبصـيغة جمع المتكلم، وبصـيغة المفرد الغائب، مثل: أوحيت، أوحينا، نوحى، أوحى ..

وبعضـها أسـندها بصـيغة جمع المتكلم والغائب فقط، ولم يسـندها بصيغة المفرد مثل: بشّرنا، أرسلنا، صوّرنا، رزقنا، بيّنّا .. الخ. ولم يقل بشّرت أو رزقت .. الخ.

أشـعر بأنّ فى الأمر قاعدة، فإنّ كلمات القرآن وحروفه موضوعة فى مواضـعها بموجب حسابات وقواعد دقيقة، كما وضعت النجوم فى مواضعها ومداراتها فى الكون فلا أُقسم بمواقع النجوم وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم إنّه لقرآن كريمٌ (۱).

ولكن استكشافنا للقاعدة فى استعمال الفعل سيبقى ظنياً وتخمينياً؛ لأننا محرومون من الذى عنده علم الكتاب روحى فداه!

روى فى الاحتجاج أنّ شخصاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له:

لولا ما فى القرآن من الاختلاف والتناقض؛ لدخلت فى دينكم! فقال له عليه السلام: وما هو؟ فقال:

(... أجد اللَّه يقول: قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم، وفى موضع يقول: اللَّه يتوفى الأنفس

۱- ۱ الواقعة: ۷۵- ۷۷.

ص: ۲۳۲

حين موتها، والذين تتوفاهم الملائكة طيبين، وما أشبه ذلك، فمرّة يجعل الفعل لنفسه، ومرّة لملك الموت، ومرّة للملائكة ....

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: سبوح قدوس ربّ الملائكة والروح، تبارك وتعالى، هو الحيّ الدائم، القائم على كلّ نفس بما كسبت، هات أيضاً ما شككت فيه:

قال: حسبي ما ذكرت ....

قال عليه السلام: فأما قوله: اللّه يتوفى الأنفس حين موتها، وقوله:

يتوفاكم ملك الموت، وتوفته رسلنا، والذين تتوفاهم الملائكة طيبين، والذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ... فهو- تبارك وتعالى- أعظم وأجلّ من أن يتولى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنّهم بأمره يعملون، فاصطفى- جلّ ذكره- من الملائكة رسلًا وسَفَرَةً بينه وبين خلقه وهم الذين قال فيهم: اللّه يصطفى من الملائكة رسلًا ومن الناس .. فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومَن كان من أهل المعصية تولّت قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكلّ ما يأتون به منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل اللّه؛ لأنّه يتوفى الأنفس على يد من يشاء، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإنّ فعلَ أُمنائه فعلُه).

*** قال صاحبي:

- أَتعتقد بأنّ الأنبياء والأئمة مضافاً إلى دورهم في التبليغ والهداية، لهم دور في الفعل الإلهي في الطبيعة والأشخاص والمجتمعات؟

- لابدّ لنا من الاعتقاد بذلك، لأنّ الآيات تدلّ عليه، والأحاديث والسيرة صريحة فيه .. أما حدود هذا الدور وتفاصيله فلا نعرفها، والظاهر أنها من أسرار اللّه- تعالى- فقد

ص: ۲۳۳

بنى- سبحانه- أكثر أفعاله على الاسرار، حتى إنه قال لنبيّه موسى عن الآخرة: إنّ الساعة آتيةٌ أَكاد أُخفيها لِتُجزى كلُّ نفسٍ بما تسعى (۱)!

- وعلى هذا يحقّ للآخرين أن يتهمونا بأنا نجعل الأنبياء والأئمة شركاء للَّه‌تعالى!

- تعالى اللَّه عن ذلك .. لا يحزنك يا صاحبى الذين يتّهمون المسلمين بالشرك، واسألهم:

إذا ثبت بآية أو بحديث صحيح أنّ اللَّه- تعالى- يجرى قسماً من أفعاله بواسطة ملائكته ورسله وأوليائه، فقبلنا ذلك وآمنّا به، هل نكون مشركين؟!

أَما قرأت قوله تعالى: قُل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان ربّ السماوات والأرض ربّ العرش عما يصفون (۲)؟

يعنى: أيها النبى، قل أنا تابع لما يأتينى من ربى، فإذا أخبرنى أن له ولداً، وأمرنى بعبادته، فأنا أول العابدين، لكنه تعالى عن ذلك.

ونحن نقول: إذا دلّنا الدليل من كتاب اللَّه- تعالى- أو سنّة نبيّه صلى الله عليه و آله على أنّ اللَّه- تعالى- يجرى بعض أفعاله بواسطتهم، فنحن نسمع ونطيع ونعتقد بذلك، وهو عين التوحيد، ونقول لمن يتّهمنا: افهموا التوحيد قبل أن تتّهموا الناس بالشرك.

كأنّ هؤلاء يضعون شرطاً على اللَّه- تعالى- لتوحيده!! وهو أن تكون أفعاله- عزوجل- مباشرة بدون واسطة، أو تكون بواسطة الملائكة دون غيرهم من البشر والمخلوقات ..

أما نحن فنوحّده- تعالى- بدون شرط، ونقبل أفعاله بأىّ واسطة أجراها، ونعتقد بأنّ فعل أمنائه هو فعله على حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام ..

فأىّ التوحيدين أرقى .. وأعمق؟

- حقاً، إنها فكرة عميقة أسمعها لأوّل مرّة، نعم، إنّ التوحيد الصحيح هو التوحيد بلا شروط، وإلّا لصار الشرط شركاً! ..

حسناً .. ماذا يعمل الإمام

۱- ۱ طه: ۱۵.

۲- ۲ الزخرف: ۸۱- ۸۲.

ص: ۲۳۴

المهدی فی المدینة، ومع مَن یعیش؟

– کما یعمل الخضر ویعیش .. أما قرأت قصّة موسی والخضر علیهما السلام فی القرآن؟

– بلی، وهل یعتقد کلّ العلماء بأنّ الخضر ما زال حیّاً یرزق؟

– نعم، فقد وردت الروایات الصحیحة عندنا بأنّه ما زال حیّاً ویقوم بعمله، وثبت ذلک عند أکثر علماء السنّة، فقد ذکر فی مجموع النووی فی مسألة استحباب تعزیة أهل المیت بمصابهم، ذکر استدلال العلماء علی ذلک بتعزیة الخضر لأهل بیت النبیّ عند وفاته صلی الله علیه و آله.

اقرأ قصة الخضر فی القرآن؛ لتعرف أنه مأمور من اللَّه– تعالی– بعملیات خاصّة إذا صحّ التعبیر، وأنّ نبیّ اللَّه موسی علیه السلام قد رافقه لیوم أو یومین فرأی منه ما لم یستطع علیه صبراً!

وقد ورد عن النبی صلی الله علیه و آله أنّه قال:

رحم اللَّه أخی موسی لقد عجل علی العالِم، أما إنّه لو صبر علیه لرأی منه العجائب!

ولابدّ من أنّ نبیّنا صلی الله علیه و آله قد رأی هذه العجائب!

– وما هی هذه العجائب؟

– یاصاحبی! إنّإدارة اللَّه– تعالی– وربوبیّته لنا تشبه کرة الثلج فی الماء لا یظهر منها إلّاعشرها، بینما تخفی علینا تسعة أعشارها! وکلّ مرحلة باطنة من إدارته– عزوجل– أعجب من التی قبلها، وأصعب فهماً؛ لأنّها کما یظهر تتمّ بقوانین ووسائل أعمق من التی قبلها! وما أدری أین هو موقع نبیّنا وآله صلی الله علیه و آله من هذه المراحل، ولکن أدری أنهم نور اللَّه فی الأرض، یجری– عزوجل– علی أیدیهم ما یشاء من الأفعال.

– یعنی مثل الرزق والموت والحیاة؟

– وما المانع من ذلک؟ هل ترید أن تمنع اللَّه– تعالی– من أن یوکّل أحداً بفعل من أفعاله! أو تمنع عطاءه

ص: ۲۳۵

لأنبيائه؟!

ما المانع من أن يأمرهم اللَّه- تعالى- بشىء من ذلک، ويعطيهم القدرة عليه، فيفعلونه بأمره وإذنه، لا بأمرهم وقدرتهم؟ فإنّما هم عباد مخلوقون ليس لهم من الأمر شىء، ولكنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (۱).

- وهل يوجد الآن غير الخضر والإمام المهدى مأمورون بهذا النوع من العمليات الخاصة؟

- تقول بعض الروايات:

«قال موسى عليه السلام: بينا أنا والخضر على شاطئ البحر، إذ سقط بين أيدينا طائر، فأخذ فى منقاره قطرة من ماء البحر، ورمى بها نحو المشرق، وأخذ منه ثانية، ورمى بها نحو المغرب، ثمّ أخذ ثالثة ورمى بها نحو السماء، ثمّ أخذ رابعة ورمى بها نحو الأرض، ثمّ أخذ خامسة وألقاها فى البحر، فبهتّ أنا والخضر من ذلک وسألته عنه؟ فقال: لا أعلم.

بينما نحن كذلک فإذا صياد يصيد فى البحر، نظر إلينا وقال: ما لى أراكما فى فكرة من أمر هذا الطائر؟ فقلنا له: هو ذاک. فقال: أنا رجل صياد وقد علمت إشارته، وأنتما نبيّان لا تعلمان؟! فقلنا: ما نعلم إلّاما علّمنا اللَّه عزوجل».

من هذه الرواية وأمثالها نعرف أن للَّه- تعالى- أولياء معتمدين متعددين يجرى ما يريده من أفعال بواسطتهم، وقد قال عزوجل: وللَّه جنود السماوات والأرض (۲)

وقال:

وما يعلم جنود ربک إلّاهو (۳)!

ولكن يبقى للإمام المهدى عليه السلام موقعه المميز فى جنود اللَّه- تعالى- وأوليائه.

فإنّ الأحاديث الثابتة تقول: إنّ مسألة النبى وأهل بيته مسألة مميزة من الأساس، وأنّ اللَّه- تعالى- قد خلق نور محمد وأهل بيته قبل أن يخلق آدم وينفخ فيه من روحه!

كنت رأيت هذه النصوص فى مصادرنا، ثمّ رأيتها فى مصادر إخواننا

۱- ۱ الأنبياء: ۲۶- ۲۷.

۲- ۲ الفتح: ۴، ۷.

۳- ۳ المدثر: ۳۱.

ص: ۲۳۶

السنّة، وفی مؤلفات بعض المؤلفین الذین یحاولون التقلیل من أهمیة أهل البیت ما وجدوا إلی ذلک سبیلًا!

وأخیراً قرأت ذلک عنـد المسـعودی فی مقدمـة تأریخه «مروج الـذهب»، حیث تحـدّث- علی عادة المؤرّخین- عن بدایـة خلق العالم، وأورد حدیث خلق النور المحمدی قبل خلق آدم، ممّا یدلّ علی أنّ هذه النصوص کانت معروفة عند المؤرخین أیضاً!

قال المسعودی (۱) «فهذا ما روی عن أبی عبد اللَّه جعفر بن محمد، عن أبیه محمد بن علیّ، عن أبیه علیّ بن الحسین، عن أبیه الحسین بن علیّ، عن أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب کرّم اللَّه وجهه:

إنّ اللَّه حین شاء تقـدیر الخلیقـة، وذرأ البریّـة، وإبـداع المبدعات، نصب الخلق فی صور الهباء قبل دحو الأرض ورفع السـماء، وهو فی انفراد ملکوته وتوحد جبروته فأتاح (فأساح) نوراً من نوره فلمع، و [نزع] قبساً من ضـیائه فسـطع، ثمّ اجتمع النور فی وسط تلک الصور الخفیّـة فوافق ذلـک صورة نبیّنـا محمـد صـلی الله علیه و آله، فقـال اللَّه عزّ من قائـل: أنت المختار المنتخب، وعنـدک مسـتودع نوری وکنوز هـدایتی، من أجلـک أسـطح البطحـاء، وأمرج الماء، وأرفع السـماء، وأجعل الثواب والعقاب والجنّـة والنار، وأنصب أهل بیتک للهدایـة، وأوتیهم من مکنون علمی ما لا یشـکل علیهم دقیق ولا یعییهم خفی، وأجعلهم حجّتی علی بریّتی ... ثمّ أنشأ اللَّه الملائکة من أنوار أبدعها، وأرواح اخترعها، وقرن بتوحیده نبوّة محمد صـلی الله علیه و آله، فشهرت فی السماء قبل بعثته فی الأرض، فلمّا خلق آدم أبان فضـله للملائکة، وأراهم ما خصّه به من سابق العلم من حیث عرفه عند اسـتنبائه إیاه أسـماء الأشـیاء، فجعل اللَّه آدم محراباً وکعبة وباباً وقبلةً أسجد إلیها الأبرار والروحانیین الأنوار، ثمّ نبّه آدم علی مستودعه، وکشف له [عن] خطر ما ائتمنه علیه» (۲).

۱- ۱ فی المجلد الأول من تاریخه: ص ۲۲.

۲- ۲ مروج الذهب ۱: ۲۲.

ص: ۲۳۷

(وشبيه به فى تذكرة الخواص لابن الجوزى الحنبلى!) (۱) اسمع يا مرتضى! إنّ اللَّه تعالى يقول:

أم يحسدون الناس على ما آتاهم اللَّه من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً (۲).

ويقول عن الخضر: آتيناه رحمةً من عندنا وعلّمناه من لدنّا علماً (۳).

- ولكن هل تعتقد أنّ اللَّه- تعالى- أعطى الخضر وآل ابراهيم أكثر ممّا أعطى محمداً وآل محمد؟

كلّا، ولكنّه- تعالى- لم يصرّح بذلك فى القرآن؛ لأنّ أُمّة النبىّ وأمم العالم لا يتحمّلون تفضيل محمد وعترته إلى هذا الحدّ إلى يوم القيامة ..!

وقد رأينا أنهم لم يتحمّلوا ما هو أقل من ذلك، وأنهم عاملوا أهل بيت النبىّ بأسوأ ما تعامل الحكومات الاسر المنافسة لها!

الخضر يا صاحبى مكلّف بما يؤمر به من علم الباطن، وموسى مكلّف بما يؤمر به من علم الظاهر، ونبيّنا وأئمّتنا مكلّفون بما يؤمرون به من علم الظاهر والباطن!

- وهل يعقل أن يكون إنسان واحد مكلّفاً بعلم الظاهر والباطن معاً! إنّ علم الظاهر والباطن لم يستطيعا أن يتعايشا معاً لمدّة قصيرة فى قصّة موسى والخضر، حتى قال له الخضر:

هذا فراق بينى وبينك (۴)!

- أسألك يا أخ مرتضى: هل يمكن أن يكون فى جيبك مال وتحتاج إلى إنفاقه ولا تنفقه؟

- نعم يمكن، ولكن هل هذا مثل أن يعلم الإنسان علم الباطن ولكنه يعمل بعلم الظاهر؟

- نعم هذا شبيه به، ولكن أسألك سؤالًا آخر: هل يمكنك أن تكون على علم بأنّ صديقك فلاناً سوف يموت فى هذه السنة ولا ترتّب على علمك بذلك أثراً أبداً؟

وهل يمكنك أن تصبر على

۱- ۱ تذكرة الخواص: ۱۲۸- ۱۳۰.

۲- ۲ النساء: ۵۴.

۳- ۳ الكهف: ۶۵.

۴- ۴ الكهف: ۷۸.

ص: ٢٣٨

عداوة عدوّك، وأنت تستطيع أن تدعو اللَّه عليه فيستجيب دعاءك ويهلكه؟

قصدى من هذه الأسئلة أنك إذا ملكت وسائل وأسباباً غير عادية، أو قدرة على صنع المعجزة، هل تستطيع أن تعيش بالأسباب العادية والقوانين المادية الطبيعية؟

- لا أظن أنّى أستطيع ذلك، ولذا أقول: إنّه لا يمكن للإنسان أن يجمع بين علم الباطن والعمل بعلم الظاهر.

- أمّا نبيّنا وأهل بيته فيمكنهم ذلك بمعونة اللَّه- تعالى- وعصمته، وهذا هو الفرق بينهم وبيننا!!

قم بنا يا صاحبى فقد طال بنا الجلوس ....

*** من ذلك اليوم لم يعفنى صاحبى من أسئلته واستفهاماته عن مكانة الإمام المهدى عند اللَّه تعالى، وعن معيشته وعمله ... وكأنّ ذلك صار شغله الشاغل!

وصار الجلوس فى المسجد عند جدار البقيع لمدّة طويلة محبباً إليه ..

كان يجلس طويلًا متفكّراً، أو يقرأ القرآن .. أو يذكر اللَّه تعالى ..

رأيته يوماً جالساً فى المسجد ..

فجلست إليه وقلت له: حدّثنى يا مرتضى عن عالمك، بماذا تفكّر؟

- بل أنت حدّثنى عن تنزّل الملائكة فى ليلة القدر، وما هو البرنامج الذى يأتون به إلى صاحب الأمر روحى فداه؟

- وما علمى بذلك يا مرتضى ..

الذى أعرفه من ذلك قوله تعالى:

تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر وقد ورد فى الرواية أنّ عمر بن الخطاب سأل النبىّ صلى الله عليه و آله لماذا يرق قلبه عندما يقرأ هذه السورة أكثر مما يرقّ لغيرها؟ فأعاد النبىّ قراءتها حتى وصل إلى قوله تعالى:

من كلّ أمر ثمّ قال لعمر:

وهل بقى بعد هذا شىء، قال: كلا.

وهذا الحديث يدلّ على تنوّع الأوامر والأمور النازلة فى ليلة القدر على قلب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، أو على قلب حجّة اللَّه فى أرضه!

ص: ٢٣٩

وقد وردت روايات عن الأئمة الطاهرين تؤكد هذا المعنى، وتذكر بعض التفاصيل.

- إنّها مسألة كبيرة، وقد وصلت إلى أن ترك التفكير فيها أولى، أَليس كذلك؟

- التفكير يوصلنا إلى معرفة أشياء كثيرة، ولكن ما ينزل فى ليلة القدر لا يمكن معرفته بالتفكير فيه، ولا نحن مكلّفون بذلك .. إنّما يجب علينا أن نؤمن بقوله تعالى: تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر على عمومه وإجماله.

- فكّرت فى هؤلاء الثلاثين الذين يلتقى بهم صاحب الأمر- روحى فداه- فوصلت إلى أنّه قد يعطى كلّ واحد منهم قسماً من برنامج السنة ويأمره بتنفيذه، أَليس كذلك؟

- هذا محتمل، كما يحتمل أن تنزل طريقة تنفيذ البرنامج مع البرنامج نفسه، فلا يمكننا أيضاً أن نعرف بالتفكير طريقة عمل الإمام المهدى أرواحنا فداه.

- لقد فكّرت فى قصة الخضر فى القرآن فرأيت أنّ محور أعماله هو مساعدة المؤمنين وخدمتهم فى أمور معيشتهم، مثل أصحاب السفينة الذين خلّص سفينتهم من المصادرة، والغلامين اللذين حفظ لهما كنزهما، كما قام لدفع الضرر والضلال عن والدى الغلام الشرّير.

كما فهمت من قصّة الخضر عليه السلام أنّه شخص متجوّل وليس مقيماً فى مكان واحد. فقد ركب فى السفينة وقصد قرية واحدة أو عدّة قرى، وكان له فى كلّ مكان هدف وعمل.

وعلى هذا يمكن أن نقول: إنّ أعمال صاحب الأمر وجماعته- روحى فداه وفداهم- تدور حول خدمة المؤمنين مادياً ومعنوياً، وأنهم متحرّكون لا يقيمون فى مكان واحد.

- نعم هو كذلك، وقد ورد فى كنز الغلامين أنه كان لوحاً من ذهب، وقد كتب عليه العلم والحكمة، فتكون خدمة الخضر لهما خدمة فى أمر

ص: ۲۴۰

معيشتهما وفى هدايتهما معاً.

- إذن ما معنى الرواية التى تقول:

إنهم يقيمون فى المدينة؟!

- المدينة مقرّ إقامتهم، ولا يمنع ذلك من تحرّكهم وتجوّلهم.

وتركت صاحبى جالساً فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله يتمتم بذكر اللَّه- تعالى، ويتأمل فى مقام النبى وآله.

الهوامش:

المساجد والأماكن الأثريّة المجهولة (۶)

ص: ۲۴۱

المساجد والأماكن الأثريّة المجهولة (۶)

عبدالرحمن خويلد

مقدّمة:

بما أنّ للمدينة المنوّرة فضلًا كبيراً على المسلمين، لأنّها مهاجر الرسول الكريم محمّد صلى الله عليه و آله و سلم، وعاصمة الإسلام الأُولى، ومنها انطلق الإسلام إلى الآفاق، وعمَّ بنوره البشرية، وأنقذ مَن هداه اللَّه سبحانه من الشك والضلالة إلى التوحيد والهداية؛ لذلك لابدّ من معرفة معالمها المهمة، وآثارها الرائعة.

وقد رأيت أنّ أكثر الزائرين لطيبة الطيبة لا يعرف عنها سوى المسجد النبوى الشريف، والبقيع، والمزارات الأربعة المشهورة، وهى (مسجد قباء، ومسجد القبلتين، والمساجد السبعة، وشهداء أُحد)، علماً بأنّ قسماً منهم لا يعرف حتّى هذه المزارات الأربعة إلّابعد سماعه عنها من أصحابه أو من بعض سائقى السيّارات عندما يرفعون أصواتهم بعبارة (زيارة يا حاج).

أمّا بقيّة المساجد والأماكن الأثرية الأُخرى فأعتقد أنّ أغلب زوّار هذه المدينة العزيزة إن لم يكن كلّهم لا يعرف أو لم يسمع عن بعضها، بالرغم من زيارته

ص: ۲۴۲

للمدينة المنوّرة مرّات عديدة.

وكيف تُجهل هذه المساجد والأماكن التى كانت عامرة بنزول الوحى عليه السلام، أو كونها مصلّى أو مقيلَ أو مبيت النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم؟

فتجّول زوّارها فى ربوعها يعيد إلى أذهانهم الذكريات العطرة، والصور الرائعة للسيرة النبوية على هذه الأرض المباركة، ممّا يثلج صدورهم ويسعد نفوسهم، ويزيد إيمانهم؛ لذلك رأيت أنّ من الضرورى إخراج هذا الكتاب لينتفع به الزوّار.

والمنهج الذى اتّبعته فى ذلك هو: تصوير هذه المساجد والأماكن لسهولة التعرّف عليها أوّلًا، وللحفاظ على صورتها خشية اندثارها ثانياً، ثمّ إيضاح أماكنها، والتعليق عليها.

وقد رتّبتها من حيث القرب والبعد عن مسجد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، مراعياً فى ذلك موقعها فى اتجاه واحد. ووضعت خريطة تبيّن أماكنها، وتسلسل أرقامها؛ ليستطيع الزائر الوصول إليها بسهولة ويسر، وختمتُ الكتاب بوضع أربعة فهارس له.

وحرصت على ذكر المساجد التى ثبت أنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم صلّى فيها.

راجياً من اللَّه تعالى العون والسداد والتوفيق لما يحبّه ويرضاه، إنّه نِعم المولى ونِعم النصير.

۲۷- جبل بنى قريظة

مكان هذا الجبل مقابل مستشفى المدينة الوطنى، ويسهل الوصول إليه للمتجه إلى مسجد قباء عبر طريق الحزام، باتخاذ الشارع الفرعى الأيسر بعد محطة ابن فارس للبنزين، ثم الدخول فى أول شارع فرعى على اليمين قبل منازل الإسكان الحكومى، ويمكن أن يُرى من شارع خط الحزام العام.

وبنو قريظة قوم من اليهود نزلت المدينة قديماً انتظاراً لمبعث نبى آخر الزمان،

ص: ۲۴۳

ولمّا بعث النبيّ صلى الله عليه و آله كفروا به (۱)، كما جاء في قوله تعالى: وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة اللَّه على الكافرين (۲).

صورة

ولما غدر اليهود بالنبيّ صلى الله عليه و آله والمسلمين، وهم قوم غدر، حاصرهم صلى الله عليه و آله خمسة عشر يوماً، ثم حكّم فيهم سعد بن معاذ زعيم الأوس، فقد روى أبو سعيد الخدرى:

«نزل أهل قريظة على حكم سعدبن معاذ، فأرسل النبيّ صلى الله عليه و آله إلى سعد فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد، قال للأنصار: قوموا إلى سيدكم أو إلى خيركم، قال: قد نزلوا على حكمك، فقال: تُقتل مُقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم، قال: قضيت بحكم اللَّه» (۳).

وقد اتخذ الشيخ عبد العزيز بن صالح إمام المسجد النبوى السابق قصراً على شرق هذا الجبل، ثم حفر جهاته الثلاث الأخرى، ممّا حال دون الصعود إليه في الوقت الحاضر.

ولقد صعدتُ على سطح هذا الجبل عام ۱۹۸۰ م، ووجدت خندقاً في محيطه

۱- ۱- جامع البيان ۱/ ۴۱، ومجمع البيان ۱/ ۳۵۵، والجامع لأحكام القرآن ۲: ۲۷، وأسباب النزول: ۱۶- ۱۷.

۲- ۲- سورة البقرة ۲/ ۸۹.

۳- ۳- فتح البارى بشرح صحيح البخارى- كتاب المغازى- باب مرجع النبيّ صلى الله عليه و آله من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة ۷/ ۴۱۱ حديث رقم ۴۱۲۱، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير- باب جواز قتال من نقض العهد، حديث رقم ۱۷۶۸.

ص: ۲۴۴

يصل إلى حزام الرجل، وأرضه خصبة تَصلُح للزراعة، وقد خطر لى فى حينها

صورة

الواقع الحقيقى لليهود الذى بيّنه الخالق تعالى بقوله: لاـ يقاتلوكم جميعاً إلّافى قرى محصّينة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّى ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون (۱).

۲۸- حصن كعب بن الأشرف

يقع هذا الحصن إلى الغرب من جبل قريظة، فى الطريق الموصل إلى سد بطحان مع أى طريق سواء قباء- قربان- العوالى (۲)، وهو بعد حديقة السد، وفى نفس اتجاهها، ويبعد عنها بمسافة تقدّر بثمانمائة متر، ويمكن للذاهب إليه أن يرى أطلال القصر واضحة من الشارع.

وكعب بن الأشرف يُعتبر ملك اليهود بالمدينة، وهو الطائى نسباً، اليهودى

۱- ۱- سورة الحشر ۵۹/ ۱۴.

۲- ۲- المغانم المطابة: ۴۵۷.

ص: ۲۴۵

ديناً وخؤولة، وهو معدود من بنى النضير.

صورة

وقد نقض العهد الذى بينه وبين النبىّ صلى الله عليه و آله حسداً وحقداً، وصار يناصر قريشاً ضدالمسلمين، ويتشبب بنساءالمسلمين، فقال النبى صلى الله عليه و آله: مَن لكعب بن الأشرف؟ (۱) جاء فى طبقات ابن سعد (۲): (وكان سبب قتله أنه كان رجلًا شاعراً يهجو النبىّ صلى الله عليه و آله وأصحابه، ويحرّض عليهم ويؤذيهم، فلما كانت وقعةبدر كُبت وذلّ، وقال:

بطن الأرض خير من ظهرها اليوم، فخرج حتّى قدم مكة، فبكى قتلى قريش وحرّضهم بالشعر، ثم قَدِم المدينة، فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: اللهم اكفنى ابن الأشرف بما شئت فى إعلانه الشر وقوله الأشعار، وقال أيضاً: مَن لى بابن الأشرف فقد آذانى).

فاستعدّ جماعة من الصحابة لقتله وهم: محمد بن مسلمة، وسلكان (أبو نائلة) أخو كعب بن الأشرف من الرضاعة، وعبّاد بن بِشر، والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عبس بن جبر، وضربوه على أمّ رأسه، وشقّه محمد بن مسلمة بسيف قصير

۱- ۱- الدر الثمين: ۱۳۲.

۲- ۲- ۲: ۳۲.

ص: ۲۴۶

حتّى هلك فى شِعب العجوز بين بوابة حصنه والوادى (۱).

۲۹- مسجد الصيحانى

مكان هذا المسجد بعد الإشارة الضوئية التى تقطع شارع الحزام وشارع

صورة

قربان الموصل إلى سد بطحان باتجاه القادم إلى مسجد قباء، فى أول فتحة على اليسار بعد الإشارة المذكورة، وموقعه قبل مصنع مياه المدينة المنورة- طيبة، وفى نفس اتجاهه، ويبعد عنه بحوالى ثلاثمائة وخمسين متراً، وينزل إليه من بعد البيوتات المبنية بالطوب العادى بثلاثين متراً، بالاتجاه إلى الشرق، وهو خلف الحجار الأسود، ويعرفه بعض سكان تلك المحلة.

ولم يذكره مؤلفو كتب تاريخ المدينة المنورة- حسب إطلاعى- إلّاالسمهودى، جاء فى كتابه خلاصة وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (۲)ما نصه: (وأنواع تمر المدينة

۱- ۱- تاريخ معالم المدينة: ۲۴۲، والدر الثمين: ۱۳۳.

۲- ۲- الباب الأول- الفصل الخامس: ۳۰، وينظر: وفاء الوفا، الباب الثانى- الفصل السادس ۱/ ۷۳.

ص: ۲۴۷

كثيرة استقصيناها في الأصل الأول فبلغت مائة وبضعة وثلاثين نوعاً منها الصيحاني، وفي فضل أهل البيت لابن المؤيد عن جابر رضي الله عنه، قال: كنتُ مع النبيّ صلى الله عليه و آله يوماً في بعض حيطان المدينة ويد عليّ في يده، قال: فمررنا بنخل، فصاح النخل: هذا محمّد سيد الأنبياء وهذا عليّ سيد الأوصياء أبو الأئمة الطاهرين، ثمّ مررنا بنخل، فصاح النخل: هذا، محمّد رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وهذا عليٌّ سيف اللّه، فالتفت النبيّ صلى الله عليه و آله إلى عليّ، فقال له: سمّه الصيحاني، فسُمّي من ذلك اليوم الصيحاني، فكان سبب تسمية هذا النوع بذلك، أو المراد فضل ذلك الحائط، وبالمدينة موضع يُعرف بالصيحاني).

وقد ذكره ابن شاذان في كتابه فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام (۱)، بهذا النص: (الفضيلة الثالثة والسبعون: عن أبي بكر عبد اللّه بن عثمان، قال: كنتُ مع النبيّ صلى الله عليه و آله في بستان عامر بن سعد بعقيق السفلي، فبينما نحن نخرق البستان إذ صاحت نخلة، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: أتدرون ما قالت النخلة؟ قلنا: اللّه ورسوله أعلم، فقال: صاحت هذا محمّد ووصيّه عليّ بن أبي طالب، فسمّاها النبيّ صلى الله عليه و آله الصيحاني).

وكان بعض زوّار المدينة سابقاً يأتون إلى هذا المسجد للصلاة فيه، أما الآن فهو مهمل ومتروك.

۳۰- مسجد مصَبِّح

يقع هذا المسجد جنوب مسجد قباء، ويبعد عنه بمسافة تقدّر بكيلومتر واحد، وهو خلف خزانات مصلحة المياه والصرف الصحي، التي يغلب عليها اسم العين الزرقاء، ويمكن الوصول إليه بسهولة للقادم من مسجد قباء باتجاه الجنوب، ثم الدخول في الشارع الفرعي الأيمن قبل المصلحة المذكورة.

وكان اسمه قبل تجديده (مصَبِّح)، ويعرفه أهل تلك المحلّة بهذا الاسم، ولكن لما جُدِّد تحوّل الاسم إلى (الصبح).

وقيل: إنّ سبب تسميته بهذا الاسم أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله خرج لاستقبال ابن عمّه

۱- ص ۸۸.

ص: ۲۴۸

صورة

صورة

ص: ۲۴۹

علیٍّ بن أبی طالب علیه السلام ومَن معه، قادمین من مکة إلی المدینة بعدما فدی النبی صلی الله علیه و آله بنفسه، ونام فی فراشه لیلة هجرته (۱)، وأدّی ودائع الناس التی (۲) کانت عند المصطفی صلی الله علیه و آله، وقد بات النبی صلی الله علیه و آله فی ذلک المکان حتی الصباح، ثم صلّی الصبح فیه، لذلک سُمّی مصَبِّح.

وقد توهم السید أحمد الخیاری (۳) بقوله: (ولعل سبب هذه التسمیة ترجع إلی أن قدوم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله علی قباء مهاجراً کان صباحاً، وقوبل فی هذا المکان).

فقد ورد فی‌سیرة ابن هشام (۴) عن قوم من أصحاب الرسول صلی الله علیه و آله أنّهم قالوا:

(لما سمعنا بمخرج رسول اللَّه صلی الله علیه و آله من مکة، وتوکفنا (۵) قدومه، کنا نخرج إذا صلینا الصبح، إلی ظاهر حرّتنا ننتظر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، فواللَّه ما نبرح حتی تغلبنا الشمس علی الظل فإذا لم نجد ظلًا دخلنا وذلک فی أیام حارة، حتی إذا کان الیوم الذی قَدِم فیه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، جلسنا کما کنا نجلس حتی إذا لم یبق ظل دخلنا بیوتنا، وقَدِم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله حین دخلنا البیوت فکان أول مَن رآه رجل من الیهود قد رأی ما کنا نصنع، وإنّا ننتظر قدوم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، فصرخ بأعلی صوته: یا بنی قَیْلة (۶)، هذا جَدّکم (۷) قد جاء. قال: فخرجنا إلی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، وهو فی ظل نخلة).

وهذا یدل علی أنّ الرسول صلی الله علیه و آله وصل قُبیل الظهر أو بعده، فکیف کان وصوله صباحاً؟.

وبما أنّ مکان هذا المسجد باتجاه القبلة، وأنّ الرسول محمّداً صلی الله علیه و آله لم یذهب إلی آبار علی لاستقبال القادم من مکة، أقترح هنا إنشاء طریق ثان من المدینة المنوّرة باتجاه مسجد قباء ماراً بمسجد مصبّح حتی یصل إلی مکة المکرمة، وقد قیل لی نقلًا عن أحد المهندسین: لو أُنشِیِء هذا الطریق لفرّق حوالی مائة وخمسین کیلومتراً عن الطریق الحالی، ویُصبح طول الطریق المقترح أقلّ من ثلاثمائة کیلومتر، أما طریق الهجرة الحالی فطوله أربعمائة وعشرون کیلومتراً.

فحبّذا لو أُنشئ هذا الطریق المقترح لیکون عوناً علی تخفیف معاناة ضیوف الرحمن، واللَّه ولیُّ التوفیق، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه‌ربّ العالمین.

---

۱ – ۱- جاء فی سیرة ابن هشام ۲/ ۷۱ تحت عنوان استخلافه لعلی ما نصه: فأتی جبریل علیه السلام رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، فقال: لا تبت هذه اللیلة علی فراشک الذی کنت تبیت علیه، قال: فلما کانت عتمة من اللیل اجتمعوا علی بابه یرصدونه متی ینام فیثبون علیه، فلما رأی رسول اللَّه مکانهم، قال لعلی بن أبی طالب: نم علی فراشی، وتسبح ببردی هذا الحضرمی الأخضر، فنم فیه، فإنه لن یخلص إلیک شیء تکرهه منهم، وکان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ینام فی برده ذلک إذا نام.

۲ – ۲- قال ابن هشام فی سیرته ۲/ ۸۱ الآتی: وأقام علیّ بن أبی طالب علیه السلام بمکة ثلاث لیال وأیامها، حتی أدی عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله الودائع التی کانت عنده للناس حتی إذا فرغ منها، لحق برسول اللَّه صلی الله علیه و آله، فنزل معه علی کلثوم بن هِدم.

۳- ۳- تاریخ معالم المدینه: ۱۲۵.

۴- ۴- ۲: ۷۹- ۸۰.

۵- ۵- توکفنا: توقعنا، ینظر: الصحاح، باب الفاء- فصل الواو ۴/ ۱۴۴۱.

۶- ۶- قَیْلة: أم الأوس والخزرج، ینظر: الصحاح، باب اللام- فصل القاف ۵/ ۱۸۰۸.

۷- ۷- الجَدّ: البخت والحظ، ينظر: القاموس المحيط، باب الدال- فصل الجيم: ۳۴۶.

ص: ۲۵۰

نقشه

خريطة المساجد والأماكن الأثريّة

ص: ۲۵۱

الهوامش:

ص: ۲۵۲

الفهارس:

أ- فهرس الآيات القرآنية.

ب- فهرس الأحاديث النبوية.

ج- فهرس المساجد والأماكن الأثرية.

د- فهرس المراجع.

أ- فهرس الآيات القرآنية:

التسلسل الآية القرآنية السورة رقم الآية ۱- وإذ يعدكم اللّه إحدى الطائفتين أنها لكم ... الأنفال ۲۷۰- ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل اللّه أمواتاً ... آل عمران ۳۵۴- يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس ... المجادلة ۴۶۲- فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد وجئنا بك ... النساء ۵۴۱- وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ... البقرة ۶۸۹- لا يقاتلونكم جميعاً إلّافى قرى محصّنة .... الحشر ۱۴

ص: ۲۵۳

ب- فهرس الأحاديث النبوية:

التسلسل الحديث ۱- «هذا مستمطرنا ومصلّانا لفِطرنا وأضحانا ...» ۲- «سألت ربّى ثلاثاً ...» ۳- «إن جبريل أتانى، فقال: مَن صلّى عليك ...» ۴- «جاءنى جبريل عليه السلام بهذا الموضع، فقال: إنّ اللّه يقرئك السلام ...» ۵- «لا نستعين بالمشركين على المشركين» ۶- «غضب اللّه على مَن دمى وجه نبيه» ۷- «الحمد للّهأحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه ...» ۸- «رأيت الليلة أنى أصبحت على بئر من الجنة ...» ۹- «هى عين من عيون الجنّة» ۱۰- «إذا أنا مِتُّ فاغسلونى بسبع قِرب من بئرى بئر غرس» ۱۱- «إذهب يا سلمان ففقِّر لهما ...» ۱۲- «سلمان منّا أهل البيت» ۱۳- «مخيريق خير يهود» ۱۴- «أصلَّيت يا على ...» ۱۵- «أدع اللّه ليرد عليك الشمس ...» ۱۶- «قوموا إلى سيدكم أو إلى خيركم ...» ۱۷- «مَن لكعب بن الأشرف؟» ۱۸- «اللّهم أكفنىابن الأشرف بما شئت فى إعلانه الشر وقوله الأشعار» ۱۹- «مَن لى بابن الأشرف فقد آذانى» ۲۰- «سَمِّه الصيحانى» ۲۱- «أتدرون ما قالت النخلة؟ ..»

ص: ۲۵۴

ج- فهرس المساجد والأماكن الأثرية التی نشرت فی الأعداد السابقة لمجلة میقات الحج کالآتی:

التسلسل الموضوع میقات الحج ۱- مسجد المصلّی (الغمامة) ۳: ۲۹۴۶- مسجد الإمام علیّ بن أبی طالب ۳: ۳۹۴۸- مسجد السقیا ۳: ۴۹۵۰- مسجد المنارتین ۳: ۵۹۵۱- مسجد الإجابة ۳: ۶۹۵۲- مسجد السجدة أو البحیر أو أبی ذر ۴: ۷۱۲۲۳- مسجد السبق ۴: ۸۱۲۲۴- کهف بنی حرام ۴: ۹۱۲۲۶- مسجد الرایة ۴: ۱۰۱۲۲۷- مسجد الدرع ۴: ۱۱۱۲۲۹- مسجد الشیخین أو البدائع أو المستراح ۴: ۱۲۱۲۳۰- جبل عینین (الرماة) ۴: ۱۳۱۲۳۱- الزبیة (الحفرة) ۵: ۱۴۲۲۸- مسجد الفسح (المسجد المسور) ۵: ۱۵۲۲۹- المهراس ۵: ۱۶۲۳۱- قبر النبی هارون علیه السلام ۵: ۱۷۲۳۲- مسجد الکاتبیة ۵: ۱۸۲۳۳- مسجد المغیسلة ۵: ۱۹۲۳۴- ثنیة الوداع ۶: ۲۰۵۶۸- مسجد بنات النجار ۶: ۲۱۵۶۹- مسجد الجمعة ۶: ۵۷۱

ص: ۲۵۵

۲۲- مسجد ردّ الشمس ۶: ۲۳۵۷۳- بئر غرس ۷: ۲۴۸۷۲- مسجد الفُقَيْر ۷: ۲۵۸۷۵- مشربة أم إبراهيم ۷: ۲۶۸۷۷- مسجد الفضيخ ۷: ۲۷۸۷۹- جبل بنى قريظة ۸: ۲۸۱۱۴۶- حصن كعب بن الأشرف ۸: ۲۹۱۱۴۸- مسجد الصيحانى ۸: ۳۰۱۱۵۰- مسجد مصَبِّح ۸: 1151

د- فهرس المراجع

۱- القرآن الكريم

۲- آثار المدينة المنورة، لعبد القدوس الأنصارى.

الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة- الطبعة الثانية ۱۳۷۸ ه.

۳- آداب الحرمين، للسيد جواد الحسينى، الدار العالمية للطباعة، الطبعة السابعة ۱۹۸۸ م.

۴- أسباب النزول، لأبى الحسن على الواحدى، دار الكتب العلمية- بيروت ۱۳۹۵ ه- ۱۹۷۵ م.

۵- البداية والنهاية، لابن كثير، دار الفكر- بيروت، ۱۳۹۸ ه- ۱۹۷۸ م.

۶- تاريخ الطبرى، لأبى جعفر محمد الطبرى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان للطباعة- بيروت، الطبعة الثانية، ۱۳۸۰ ه- ۱۹۶۰ م.

۷- تاريخ المدينة المنورة، لابن شبّه ت ۲۶۲ ه، تحقيق: فهمى محمد شلتوت، دار

ص: ۲۵۶

الاصفهانی للطباعة- جدّة ۱۳۹۳ ه.

۸- تاریخ معالم المدینة المنورة قدیماً وحدیثاً، لأحمد یاسین الخیاری، تحقیق: عبید اللَّه کردی، دار العلم- جدَّة، الطبعة الثانیة ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۰ م.

۹- تحقیق النصرة بتخلیص معالم دار الهجرة، لزین الدین المراغی، تحقیق: محمد عبد الجواد الأصمعی، الناشر: المکتبة العلمیة بالمدینة المنورة، الطبعة الأولی ۱۳۷۴ ه.

۱۰- جامع البیان عن تأویل آی القرآن، لأبی جعفر الطبری، مطبعة مصطفی البابی الحلبی وأولاده بمصر، الطبعة الثالثة ۱۳۸۸ ه- ۱۹۶۸ م.

۱۱- الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، طبعة دار إحیاء التراث العربی- بیروت.

۱۲- خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفی، للسمهودی، دار إحیاء الکتب العربیة- القاهرة ۱۳۶۷ ه.

۱۳- الدر الثمین فی معالم دار الرسول الأمین، لغالی محمد الأمین الشنقیطی، مطابع الدوحة الحدیثة ۱۹۸۸ م.

۱۴- ردّ الشمس، لمحمد سعید الطریحی- مؤسسة أهل البیت- بیروت، ۱۴۰۱ ه- ۱۹۸۱ م.

۱۵- سنن الدارمی، دار الکتب العلمیة- بیروت.

۱۶- سنن المصطفی، لابن ماجة- دار الفکر- بیروت، الطبعة الثانیة.

۱۷- السیرة النبویة، لابن هشام ت ۲۱۳ ه، تحقیق: د. محمد فهمی السرجانی، دار التوفیقیة للطباعة، القاهرة ۱۹۷۸ م.

۱۸- الصحاح، للجوهری، تحقیق: أحمد عبد الغفار عطار، دار العلم للملایین- بیروت.

۱۹- صحیح مسلم، لمسلم بن الحجاج، تحقیق: محمد فؤاد عبد الباقی، الناشر: إدارة البحوث العلمیة بالمملکة العربیة السعودیة، ۱۴۰۰ ه- ۱۹۸۰ م.

۲۰- الطبقات الکبری، لابن سعد، دار صادر- بیروت.

۲۱- عمدة الأخبار فی مدینة المختار، لأحمد بن عبد الحمید العباسی، مطبعة المدنی-

ص: ۲۵۷

القاهرة، الطبعة الثالثة.

۲۲- عنوان النجابة فی معرفة مَن مات بالمدینة المنورة من مشاهیر الصحابة، لمصطفی محمد الرافعی، الناشر: المکتبة العلمیة بالمدینة المنورة، الطبعة الأولی ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۴ م.

۲۳- فتح الباری بشرح صحیح البخاری، لابن حجر، المطبعة السلفیة- القاهرة ۱۳۸۰ ه.

۲۴- فضائل أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السلام، لابن شاذان- تحقیق: عبد الرحمن خویلد، مطبعة دار البلاغة- بیروت، الطبعة الأولی ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م.

۲۵- القاموس المحیط، للفیروز آبادی، مؤسسة الرسالة بیروت، الطبعة الثانیة ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م.

۲۶- کنز العمال فی سنن الأقوال والأفعال، للمتقی الهندی، تحقیق: فهمی محمد شلتوت، مطبعة البلاغة- حلب، الطبعة الأولی ۱۳۸۹ ه- ۱۹۶۹ م.

۲۷- مجمع البیان فی تفسیر القرآن، للطبرسی، الناشر: دار مکتبة الحیاة- بیروت، ۱۳۸۰ ه- ۱۹۶۱ م.

۲۸- مشکل الآثار، لأبی جعفر الطحاوی ت ۳۲۱ ه، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامیة بالهند، الطبعة الأولی ۱۳۳۳ ه.

۲۹- المصباح المنیر، للفیوی، المطبعة الأمیریة بالقاهرة، الطبعة الخامسة ۱۹۲۲ م.

۳۰- المعجم الصغیر، للطبرانی، مطبعة المعرفة- القاهرة ۱۳۸۸ ه- ۱۹۶۸ م.

۳۱- المغانم المطابة فی معالم طابة، للفیروزآبادی، تحقیق: حمد الجاسر، منشورات: دار الیمامة- الریاض، الطبعة الأولی ۱۳۸۹ ه- ۱۹۶۹ م.

۳۲- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفی، للسمهودی، تحقیق: محمد محیی الدین عبد الحمید، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولی ۱۳۷۴- ۱۹۵۵ م.

ص: ۲۵۸

معجم ما كتب فى الحجّ والزيارة... (۵)

معجم ما كتب فى الحجّ والزيارة والمعالمالمشرّفة فىالحجاز (۵)

معجم ما كتب فى الحجّ والزيارة والمعالمالمشرّفة فىالحجاز (۵)

عبد الجبار الرفاعى

تعريف بمصادر دراسة الحج ومكة المكرّمة، والمدينة المنوّرة، والمعالم المشرّفة فى الحجاز، وما يرتبط بذلك. يشتمل على ما كُتِبَ من مؤلفات، ورسائل جامعية، وبحوث، ومقالات، باللغتين العربية والفارسية.

إشارات:

۱- بلغ عدد العناوين ما يقارب (۳۰۰۰) عنوان.

۲- شملت التغطية الزمانية ما كُتِب منذ بداية التدوين عند المسلمين إلى اليوم.

۳- لا تمثل هذه القائمة استقراءً تاماً لجميع ما كُتِب فى هذه الموضوعات، لذا يرجو المؤلف من السادة الكُتّاب إعلامه بأعمالهم التى لم تُرصد فى القائمة على عنوان المجلة، كيما يجرى استدراكها حيثما ينشر هذا العمل فى كتاب.

۴- اعتمدت المداخل على عناوين الكتب والبحوث والمقالات.

۵- رُتبت المداخل تبعاً للترتيب الهجائى التام، واعتبار الوحدة فى الترتيب

ص: ۲۵۹

هى الكلمة، أى على أساس كلمة كلمة، ثمّ حرف حرف.

المختصرات:

ت: تاريخ الوفاة ج: الجزء ح: الحلقة

خ: نسخة مخطوطة د. ت: بدون تاريخ د. ن: بدون ذكر الناشر

س: السنة مط: المطبعة سم: سنتيمتر

ش: السنة الهجرية الشمسية ص: الصفحة ط: الطبعة

ظ: انظر ع: العدد ق ۷ ه: القرن السابع الهجرى

م: السنة الميلادية مج: مجلد ه: السنة الهجرية القمرية

د. م: بدون ذكر مكان النشر فى المطبوع

*** ۶۶۵- الحجّ فى موكب التاريخ

أحمد الواسطى

ميقات الحج: ع ۴ (۱۴۱۶ ه) ص ۱۴۰- ۱۵۰.

۶۶۶- الحجّ فى نهج البلاغة

فارس تبريزيان

ميقات الحج: ع ۴ (۱۴۱۶ ه) ص ۵۹- ۸۰.

۶۶۷- الحجّ فى وحدة الفكر الإسلامى

على القاضى

منبر الإسلام (القاهرة) س ۴۹:

ع ۱۱ (۵/ ۱۹۹۱ م) ص ۴۷- ۵۱.

۶۶۸- الحج قبل مائة عام

(مذكرة وتقرير، اثر القيام برحلة سرية إلى مكّة المكرمة ۱۸۹۸- ۱۸۹۹ م)

عبدالعزيز دولتشين

تقديم: يفيم ريزمان

بيروت: دار التقريب، ۱۹۹۳ م.

الاجتهاد (بيروت) س ۵: ع ۲۱ (۱۹۹۳ م) ص ۱۸۹- ۲۱۰ (نقولا

ص: ۲۶۰

زيادة).

ميقات الحج: ع ۶ (۱۴۱۷ ه) ص ۲۱۷- ۲۳۵.

۶۶۹- حج كنگره عبادى وسياسى

(مجموعة أحاديث وبيانات الإمام الخمينى، بالفارسية)

طهران: مركز تحقيقات وانتشارات حج، ط ۱، ۱۴۰۵ ه.

۶۷۰- حج كنگره عظيم اسلامى

(بالفارسية)

حيدر على قلمداران

طهران: ۱۳۸۱ ه، ۵۲ ص، ۲۱ سم.

۶۷۱- حج گزارى در تاجيكستان

(بالفارسية)

ميقات حج: ع ۱۵ (بهار ۱۳۷۵ ش) ص ۱۹۲- ۱۹۶.

۶۷۲- حج گزارى در كشورهاى إسلامى

(بالفارسية)

ميقات حج س ۳: ع ۱۰ (۱۳۷۳ ش) ص ۱۴۸- ۱۵۳.

۶۷۳- حج گزارى در مالزى

(بالفارسية)

ميقات الحج س ۲: ع ۶ (زمستان ۱۳۷۲ ش) ص ۱۶۹- ۱۹۰.

۶۷۴- الحجّ ليس وثنية

إبراهيم النعمة

الموصل: مط: الجمهور، ۱۹۷۹ م، ۶۴ ص.

۶۷۵- الحجّ مؤتمر عالمى

جعفر شرف الدين

المعارج (بيروت) مج ۲: ع ۱۵ (۸- ۱۲/ ۱۴۱۲ ه/ ۳- ۶/ ۱۹۹۲ م) ص ۱۱- ۱۲.

۶۷۶- الحجّ مؤتمر عام

هاشم الحاج باقر الحدّاد

النجف: مط: الغرى الحديثة، د. ت، ۸ ص.

۶۷۷- الحجّ مؤتمر عبادى سياسى: مجموعة خطابات ونداءات الإمام الخمينى قدس سره.

ترجمة عبدالكريم حدّاد.

طهران: مركز الحجّ للدراسات والنشر، ط ۱، ۱۳۶۶ ش، ۳۰۴ ص،

ص: ۲۶۱

۲۱ سم.

طهران: مكتب مندوب القائد والمشرف على الحجّاج الإيرانيين، ۱۳۷۰ ش/ ۱۹۹۱ م، ۲۰۳ ص.

۶۷۸- الحج المبرور فى آثار الرسول

صباح العانى

بغداد: مطبعة عصام، ۱۹۸۸، ۲۹ ص.

۶۷۹- الحج المبرور وجزاؤه

عبدالحميد الصيفى

الإسلام وطن (القاهرة) س ۲: ع ۱۶ (۸/ ۱۹۸۸ م)

ص ۴۴- ۴۷.

۶۸۰- الحجّ المبرور والذنب المغفور

عبداللّه الواعظ الفرهادى

بغداد: مط: المتبنى، ۱۹۵۷ م، ۱۶ ص.

۶۸۱- الحجّ المبرور والسعى المشكور: وصايا للحاج والمعتمر وزائر مسجد الرسول

القاهرة: دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، ۱۹۸۵ م، ۶۲ ص.

۶۸۲- حج، مجموعة مقالات

(بالفارسية)

تأليف: مجموعة من المؤلفين

جمع وتنظيم: (إداره پژوهش ونگارش).

طهران: وزارة الارشاد الاسلامى، ۱۳۶۱ ش، ۲۹۴ ص.

۶۸۳- الحجّ المخطر: جواب السائلين عن الحجّ فى سلطة الوهّابيين.

هبة الدين الشهرستانى

بغداد: المط: العصرية، ۱۹۲۴ م

۶۸۴- الحجّ مظهر للطاعة وموسم للمغفرة

محمّد رجاء حنفى

الوعى الإسلامى (الكويت) س ۲۶:

ع ۳۱۱ (۶/ ۱۹۹۰ م)

ص ۴۰- ۴۵.

۶۸۵- الحجّ معروف منذ قديم الزمان وعند مختلف الأديان

محمد طنطاوى

العربى (الكويت) ع ۱۵۴

ص: ۲۶۲

(۹/ ۱۹۷۱ م) ص ۱۳۶.

۶۸۶- حج مكتوب

(بالفارسية)

على قادرى

تاريخ وفرهنگ معاصر (قم) س ۱:

ع ۳ و ۴ (بهار وتابستان ۱۳۷۱ ش)

ص ۴۱۲- ۴۲۹.

۶۸۷- كتاب الحجّ من خلاصة الحقائق فى شرح شرايع الإسلام

محمّد رضا المشتهر بالمحقق الطهرانى

قم: ط ۱، ۱۳۶۴ ش، ۴۲۴ ص، ۲۴ سم.

۶۸۸- الحجّ من شرح كتاب القواعد

محمّد حسن المظفر

تقديم وتصحيح: محمّد رضا المظفّر.

النجف: مط: النعمان (۱۳۷۸ ه/ ۱۹۵۹ م)، ج ۷، ۵۲۰ ص.

۶۸۹- الحج: مناسكه وأهدافه

بغداد: وزارة الإعلام، ۱۹۷۵ م، ۴۶ ص.

۶۹۰- الحجّ: مناسكه وواجباته وفقاً لآراء الإمام روح اللّه الموسوى الخمينى

محمّد على آذرشب

طهران: وزارة الإرشاد الإسلامى، ۱۴۰۴ ه، ۳۱ ص، ۲۱ سم.

۶۹۱- الحجّ منحة ربّانية

جاد الحق على جاد الحقّ

الأزهر (القاهرة) س ۶۲: ع ۱۱ (۶/ ۱۹۹۰ م) ص ۱۰۹۲- ۱۰۹۶.

المجاهد (القاهرة) ع ۱۱۶ (۷/ ۱۹۹۰ م) ص ۱۰- ۱۱.

۶۹۲- الحجّ منذ عهد الخليل إبراهيم

بدرت نوال بدير

الهداية (المنامة) س ۱۱: ع ۱۲۹ (۷/ ۱۹۸۸ م) ص ۱۶- ۱۹.

۶۹۳- الحجّ منطلق الوحدة الإسلامية

إعداد: مجلة الشهيد

طهران: ۶۱ ص، ۱۷ سم.

۶۹۴- الحجّ مهرجان إعلامى ودعوى لانظير له ولكنّنا لانستثمر معطياته، ونضيع

ص: ۲۶۳

إمكاناته

محيى الدين عبدالحليم

الفيصل (الرياض) ع ۲۲۲ (۱۲/ ۱۴۱۵ ه- ۵/ ۱۹۹۵ م) ص ۵۵.

۶۹۵- الحجّ موسم عبادى وملتقى سياسى

جعفر سبحانى

طهران: وزارة الإرشاد الإسلامى، ط ۱، ۱۳۶۴ ش، ۲۴ ص.

۶۹۶- حج نامه

(بالفارسية)

أحمد مسكين

باهتمام: رسول جعفريان

ميقات حج: ع ۱۳ (پاييز ۱۳۷۴ ش) ص ۱۶۲- ۱۶۶.

۶۹۷- حج نامه

(بالفارسية)

صوفى اللّه يار بن اللّه قلى اللّه يار

ظ: ازبكستان طاشقند ۱/ ۲۲۷،

فهرست واره منزوى ۱/ ۷۵.

۶۹۸- حج نامه

(تقريررحلةفى ۱۹۷۲ م، بالفارسية)

على نقى منزوى

مطبوع

ظ: فهرستواره منزوى ۱/ ۷۵.

۶۹۹- حج نامه

(بالفارسية)

منصور عليشاه عباسعلى بن اسماعيل كيوان قزوينى

طهران: ۱۲۴۸ ه، حجرية.

طهران: ۱۳۰۸، ۶۲ ص، حجرية

۷۰۰- الحج هجرة إلى اللّه

جعفر شرف الدين

المعارج (بيروت) مج ۲: ع ۱۵ (۸- ۱۲/ ۱۴۱۲ ه/ ۳- ۶/ ۱۹۹۲ م) ص ۳۸- ۴۰.

۷۰۱- الحجّ هجرة إلى اللّه

السيد رزق الطويل

منبر الإسلام (القاهرة) س ۴۶: ع ۱۲ (۷/ ۱۹۸۸ م)

ص ۲۸- ۳۱.

۷۰۲- حج ۷۵ از ديدگاه نماينده ولى فقيه وأمير الحاج

(بالفارسية)

ميقات حج: ع ۵ (بهار ۱۳۷۵ ش)

ص: ۲۶۴

ص ۱۵۰- ۱۶۲.

۷۰۳- الحج وآثاره على الحياة الاجتماعية

محمد على التسخيرى ومحمود قانصوه

طهران: منظمة الإعلام الإسلامى، معاونية العلاقات الدولية ۱۳۶۹ ش/ ۱۹۹۰ م، ۱۰۲ ص.

۷۰۴- حج وابراهيم عليه السلام شامل آيات قرآن مجيد در باره حج وابراهيم به ترتيب نزول

(بالفارسية)

طهران: شركت سهامى انتشار، ۱۳۵۹ ش، ۷۲ ص، ۲۱ سم.

۷۰۵- الحج واثره التربوى فى السلوك

فؤاد على مغيمر

المجاهد (القاهرة) ع ۱۱۶ (۷/ ۱۱۹۰ م) ص ۱۸- ۲۱.

۷۰۶- الحج وأحكامه: دراسة تحليلية

جمال الدين محمّد عطوة

القاهرة: ۱۹۸۶ م، ۲۹۹ ص.

۷۰۷- الحج وأحكامه

محمّد حسن شمس

الهداية (البحرين) س ۱۲: ع ۱۴۱ (۰۶/ ۱۹۸۹ م) ص ۱۶- ۲۰.

۷۰۸- الحج وأحكامه

وهبى غاوجى

بيروت: مؤسسة الرسالة، ۱۹۸۶ م، ۲۲۳ ص.

۷۰۹- حجّ وادى امن

(بالفارسية)

حسين انصاريان

طهران: الإسلامية، ۱۳۵۵ ش، ۲۰۰ ص.

۷۱۰- الحج وإعادة ترتيب النفس

محمد المهدى

النفس المطمئنة (القاهرة) س ۶:

ع ۲۳ (۷/ ۱۹۹۰ م) ص ۴- ۶.

۷۱۱- حج وامر بمعروف

(بالفارسية)

محمد شيرازى

ترجمه: مصطفى زمانى

مشهد: ۱۳۴۹ ش، ۱۳۶ ص.

ص: ۲۶۵

۷۱۲- الحج وانظمته الثلاثة

محمد محمود الشرقاوى

منار الإسلام (أبو ظبى) س ۱۶:

ع ۱۱ (۵/ ۱۹۹۱ م)، ص ۱۸- ۲۲.

۷۱۳- حج وانقلاب

(بالفارسية)

ابو بصير

طهران: اوج، ط ۱، ۱۳۶۰ ش.

۷۱۴- حجّ وانقلاب اسلامى

(بالفارسية)

طهران: وزارة الارشاد الإسلامى، ط ۱، ۱۳۶۲ ش.

۷۱۵- الحج وأهميته الدينيّة

المنهل (جدة) مج ۳: ج ۳ (۲/ ۱۳۵۸ ه/ ۳/ ۱۹۳۹ م) ص ۲.

۷۱۶- الحج وبعده السياسى فى الإسلام

محمد أحمد حامد محمد خير

(د. م): (د. ن)، ۱۹۸۸ م، ۴۰ ص، ۲۴ سم.

۷۱۷- الحج وتكريم أهل الإيمان

محمود سليم الشريف

المجاهد (القاهرة) س ۹: ع ۹۲ (۸/ ۱۹۸۸ م) ص ۳۳- ۳۴.

۷۱۸- الحج وتنمية الترابط بين المسلمين

جاد الحق على جاد الحق

المجاهد (القاهرة) س ۹: ع ۹۲ (۸/ ۱۹۸۸ م) ص ۲.

۷۱۹- حج و جهاد

(بالفارسية)

مصطفى زمانى

مشهد: مكتبة جعفرى.

۷۲۰- الحج والجهاد ... المفاهيم المتكاملة

عبد الكريم آل نجف

ميقات الحج: ع ۴ (۱۴۱۶ ه) ص ۲۱۰- ۲۱۷.

۷۲۱- الحج وحدة .. وانتصار

كاظم السباعى

(د. م): السيد المدرسى، ط ۴، ۱۳۶۴ ش، ۸۴ ص، ۱۷ سم.

۷۲۲- الحج والحركة السكانية:

دارسة فى المجتمع الإسلامى

محمود عبد الحميد حسين

الفكر الإسلامى (بيروت) س ۱۷:

ص: ۲۶۶

ع ۷ (۷/ ۱۹۸۸) ص ۳۶- ۵۵.

۷۲۳- حج وداع: رفت و آمد ميهمانان خارجى وهيأت‌هاى اعزامى، تكميل دين و انتقال عهد ولايت

(بالفارسية)

عبد الكريم بى آزار الشيرازى

(د. م): المؤلف، ۱۳۶۶ ش، ۱۶ ص، مصور.

۷۲۴- الحج ودوره الهامّ فى تحقيق القيادة المسلمة الواحدة

عباس على عميد الزنجانى

التوحيد (طهران) ع ۲۹ (۱۱- ۱۲/ ۱۴۰۷ ه/ ۷- ۸/ ۱۹۸۷ م) ص ۳۱- ۳۹.

۷۲۵- الحج ودوره الهامّ فى حياة الإنسان

طهران: منظمة الإعلام الإسلامى؛ قسم العلاقات الدوليه، ۱۴۰۳ ه/ ۱۳۶۱ ش، ۳۲ ص.

۷۲۶- حج و راه و روش آن

(بالفارسية)

محمّدعلى أنصارى

طهران: طهورى، ۱۳۴۷ ش، ۶۷۹ ص.

۷۲۷- حجّ و زيارت

(بالفارسية)

محسن بن محمد الحسينى

خ: مكتبة ملى ملك بطهران ضمن مجموع برقم ۲۶۱۹.

۷۲۸- حجّ و زيارت

(بالفارسية)

محمد صادق نجمى

قم: دفتر انتشارات اسلامى، ط ۳، ۱۳۶۱ ش.

۷۲۹- حج و زيارت

انتقال تشكيلات مديريتى، خط مشى‌ها و وظايف

(بالفارسية)

مسعود عاليخانى

ميقات حج: ع ۲۰ (تابستان ۱۳۷۶ ش) ص ۱۶۸- ۱۷۸.

۷۳۰- الحج والسلام

محمد مهدى الآصفى

رسالة القران: ع ۱۲ (۱۰- ۱۲/ ۱۴۱۳ ه) ص ۱۳۱- ۱۴۴.

ص: ۲۶۷

۷۳۱- الحج والسلام العالمى

عبد الكريم آل نجف

ميقات الحج: ع ۳ (۱۴۱۶ ه) ص ۹۷- ۱۱۲.

۷۳۲- حج وشاعران قرن ششم

(بالفارسية)

خليل اللّه يزدانى

ميقات حج: ع ۱۸ (زمستان ۱۳۷۵ ش) ص ۱۴۰- ۱۵۷.

۷۳۳- الحج وطواف الفكر

نزيه الحسن

الثقافة الإسلامية (دمشق) ع ۳۲ (۷/ ۱۹۹۰ م) ص ۱۰۵- ۱۲۰.

التوحيد (طهران) ع ۴۷ (۱۱- ۱۲/ ۱۴۱۰ ه/ ۶- ۷/ ۱۹۹۲ م) ص ۱۰۸- ۱۲۳.

۷۳۴- الحج الوظائف المغيبة والتلبية المبتورة

رسالة الجهاد (مالطا) س ۱۰:

ع ۱۰۰ (۶/ ۱۹۹۱ م) ص ۵- ۷.

۷۳۵- الحج والعمرة

أبو بكر الجزائرى

الرابطة (مكة المكرمة) س ۲۶:

ع ۲۸۰ (۶/ ۱۹۸۸ م) ص ۳۶- ۳۵.

۷۳۶- الحج والعمرة

أسعد الصاغرجى

جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية

۷۳۷- الحج والعمرة

جمعة مكى

القاهرة: دار الهدى، ۱۹۹۳ م، ۴۷۳ ص.

۷۳۸- الحج والعمرة

الشهيد الثانى

خ: ملّى، ملك، ضمن مجموع برقم ۲۳۹۵.

۷۳۹- الحج والعمرة

على الشربجى

دمشق: دار البشائر، ۱۹۹۴ م، ۱۹۲ ص.

۷۴۰- الحج والعمرة

محمد حسين

الإسكندرية: دارالدعوةللطبع والنشر والتوزيع، ط ۱، ۱۹۸۴ م، ۴۳ ص.

۷۴۱- الحج والعمرة، أحكامهما وأثرهما فى بناء المجتمع

ص: ۲۶۸

الإسلامى

رفعت فوزى عبد المطلب

القاهرة: مكتبة الخانجى، ط ۱، ۱۹۹۰ م، ۵۸۷ ص.

(۴) ص لوحات، خرائط.

۷۴۲- الحج والعمرة، دعوة اللّه المتجددة للإنسانية

محمود محمد رسلان

الأزهر (القاهرة) س ۶۰: ع ۱۲ (۷/ ۱۹۸۸ م)، ص ۱۵۷۸- ۱۵۸۴.

۷۴۳- الحج والعمرة- فقهه- اسراره- حجة النبى صلى الله عليه و آله

محيى الدين مستو

دمشق: دار القلم، ط ۱، ۱۹۷۷ م، ۳۰۳ ص، ۱۶* ۱۲ سم.

۷۴۴- الحج والعمرة فى الفقه الإسلامى

نور الدين عتر

بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ۴، ۱۴۰۴ ه، ۳۱۴ ص، ۲۴ سم.

۷۴۵- الحج والعمرة والأدعية المأثورة

أحمد عرموش

بيروت: دار النفائس، ۱۹۹۲ م، ۱۰۳ ص.

۷۴۶- الحج وفلسفة التوحيد

محمد جمال الدين محفوظ

الحرس الوطنى (الرياض) س ۱۰:

ع ۸۲ (۷/ ۱۹۸۹ م) ص ۱۶- ۱۸.

۷۴۷- الحج وقدرة المسلمين

محمد الجمل

المجاهد (القاهرة) ع ۱۱۶ (۷/ ۱۹۹۰ م) ص ۱۲- ۱۳.

۷۴۸- الحج ومقارعة المسلمين للاستكبار الشرقى والغربى

حسين الموسوى

التوحيد (طهران) ع ۲۳ (۱۱- ۱۲/ ۱۴۰۶ ه/ ۸- ۹/ ۱۹۸۶ م) ص ۷۱- ۷۵.

۷۴۹- الحج ومكانته فى الإسلام

صلاح أحمد الطنوبى

منبر الإسلام (القاهرة) س ۴۶:

ع ۱۱ (۶/ ۱۹۸۸ م) ص ۲۹- ۳۱.

۷۵۰- الحج .. والميثاق الإسلامى لحقوق الإنسان

جمال الدين محمود

ص: ۲۶۹

منبر الإسلام (القاهرة) س ۴۸:

ع ۱۲ (۷/ ۱۹۹۰ م)

ص ۱۸- ۱۹.

۷۵۱- حج و ولايت

(بالفارسية)

محمّد تقى رهبر

ميقات حج: ع ۲۰ (تابستان ۱۳۷۶ ش) ص ۲۵- ۴۰.

۷۵۲- حج يا كنگره جهانى مسلمين

(بالفارسية)

محمد حسين النائينى

ترجمة: محمد باقر فالى

قم: مكتبة الإمام المهدى (عج)، ۱۳۶۳ ش، ۲۴۰ ص.

۷۵۳- الحج يبنى الفرد والأمة

التوحيد (طهران) ع ۵ (۱۱- ۱۲/ ۱۴۰۳ ه/ ۸- ۹/ ۱۹۸۳ م) ص ۵- ۹.

۷۵۴- حج

(بالفارسية)

يوسف رضايى

قم: دار التبليغ الإسلامى، ط ۱، ۱۳۹۸ ه.

۷۵۵- حجاج شيعى در دوره صفوى

(بالفارسية)

رسول جعفريان

ميقات حج س ۲: ع ۴ (تابستان ۱۳۷۲ ش) ص ۱۱۷- ۱۲۷.

۷۵۶- الحجاز: أرضه وسكانه

عمر الفاروق السيد رجب

جدة: دار الشروق، ۱۳۹۹ ه- ۱۹۷۹ م، ۳۸۴ ص.

۷۵۷- الحجاز بين الماضى والحاضر

محمود أبار

المنهل (جدة) مج ۹: ج ۱۱- ۱۲ (۱۱- ۱۲/ ۱۳۶۸ ه/ ۹- ۱۰/ ۱۹۴۹ م) ص ۴۶۱- ۴۶۷.

۷۵۸- الحجاز فى القرن السابع الهجرى على ما فى رحلة ابن رشيد الأندلسى

محمد بن عمر بن رشيد

العرب مج ۳: ج ۵ (۱۱/ ۱۳۸۸ ه) ص ۴۴۲- ۴۵۸، ج ۶،

ص: ۲۷۰

(۱۲/ ۱۳۸۸ ه) ص ۵۰۷- ۵۷۱، ج ۷ (۱/ ۱۳۸۹ ه)، ص ۶۴۳- ۶۶۰، ج ۸ (۳/ ۱۳۸۹ ه)، ص ۷۴۹- ۷۵۴، ج ۱۰ (۴/ ۱۳۸۹ ه)، ص ۹۴۴- ۹۵۷، ج ۱۱ (۵/ ۱۳۸۹ ه)، ص ۱۰۳۷- ۱۰۴۸، ج ۱۲ (۶/ ۱۳۸۹ ه) ص ۱۱۱۱- ۱۱۱۸، مج ۴: ج ۱ (رجب ۱۳۸۹ ه) ص ۵۶- ۶۳، ج ۲ (۸/ ۱۳۸۹ ه)، ص ۱۶۰- ۱۶۸.

۷۵۹- الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب

عبداللّه الوهيبی

مجلة كلية الآداب (الرياض) مج ۱ (۱۹۷۰ م) ص ۵۳- ۷۰.

۷۶۰- الحجاز ميناء المدينة القديم البريكة حالياً

عبد الكريم الخطيب

الدارة س ۹: ع ۴ (۴/ ۱۹۸۴ م) ص ۶۵- ۷۲.

۷۶۱- الحجاز والحرمان الشريفان فی القرن الثالث عشر

جعفر شهيدی

فی: الندوة العالمية الأولی لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض): ۵/ ۱۳۹۷ ه/ ۴/ ۱۹۷۷ م).

وفی: ندوة الحج الدولية (لندن ۴- ۱۷ اغسطس ۱۹۸۲ م)

ميقات الحج ع ۱ (۱۴۱۵ ه) ص ۱۳۵- ۱۴۲.

۷۶۲- الحجاز والدولة الإسلامية:

دراسة فی اشكاليّة العلاقة مع السلطة المركزية فی القرن الأول الهجری

ابراهيم بيضون

بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ۱، ۱۹۸۳، ۴۱۶ ص.

الفكر العربی س ۵: ع ۳۵، ۳۶ (۹- ۱۲/ ۱۹۸۳ م) ص ۲۶۸- ۲۷۵ (فايز ترحينی)

۷۶۳- الحجازيات

(مجموعة من الفوائد المتفرّقة دوّنها المؤلف فی رحلته للحج من طريق الهند)

ص: ۲۷۱

محمد على هبة الدين الشهرستانى

الذريعة ظ ۶/ ۲۵۴.

۷۶۴- الحجازيات

(شعر)

الشريف الرضى

ميقات الحج: ع ۴ (۱۴۱۶ ه) ص ۲۰۵- ۲۰۹.

۷۶۵- حجازيه

(رحلة الى الحجاز فى بداية حكم الملك اويس الجلايرى سنة ۷۵۷ ه، بالفارسية)

محمد بن حسين يزدى

ظ:

فهرس مشترک ۱۰/ ۲۱۵،

فهرس نسخه‌ها ۶/ ۳۹۹۹،

فهرس آستان قدس ۷/ ۱۷۹، فهرستواره منزوى ۱/ ۷۵.

۷۶۶- حجازيه

(بالفارسية)

أبو الأشرف محمد يزدى ت ۷۶۲ ه

تحقيق: محمد جعفر ياحقى

مشهد: بنياد پژوهشهاى إسلامى (مع: مجموعه‌رسائل‌خطى فارسى).

۷۶۷- الحجج المبينة فى التفضيل بين مكة والمدينة

جلال الدين السيوطى

تحقيق: عبداللَّه محمد الدرويش

دمشق- بيروت: دار اليمامة، ۱۹۸۵ م، ۸۵ ص.

۷۶۸- حجر اسماعيل

(بالفارسية)

محمد امين پور امينى

ميقات حج س ۲: ع ۸ (تابستان ۱۳۷۳ ش)، ص ۱۰۲- ۱۱۷، س ۳: ع ۹ (پاييز ۱۳۷۳ ش) ص ۱۰۷- ۱۳۰.

۷۶۹- حجر اسماعيل فى مسيرته التاريخية والفقهية

محسن الاسدى

ميقات الحج. س ۳: ع ۵ (۱۴۱۷ ه) ص ۱۰۴- ۱۴۸.

۷۷۰- الحجر الأسود

محسن الأسدى

ميقات الحج: ع ۴ (۱۴۱۶ ه) ص ۱۵۱- ۱۷۹.

۷۷۱- الحجر الأسود: إشارات

ص: ۲۷۲

ودلالات.

منبر الإسلام س ۴۷: ع ۱ (۸/ ۱۹۸۸ م) ص ۵۴- ۵۶.

۷۷۲- الحجر الأسود بين الإمام العابد والسلطان الزائف

عبد المطلب محمد

ميقات الحج. س ۳: ع ۵ (۱۴۱۷ ه) ص ۹۴- ۱۰۳.

۷۷۳- الحجر الأسود وحقيقة عنصره

خطاب بك محمد

لواء الإسلام (القاهرة) ع ۵ (۱۹۵۰ م) ص ۲۹۱- ۲۹۵.

۷۷۴- الحجر ليس مدائن صالح:

مناقشات وتعليقات

حمد الجاسر

الفيصل (الرياض) س ۳: ع ۳۱ (۱/ ۱۴۰۰ ه/ ۱۲/ ۱۹۷۹ م) ص ۱۰۰- ۱۵۶.

۷۷۵- حجة الإسلام

ابن حجر العسقلانى

جمع وتحقيق: محمد عبدالحكيم القاضى

القاهرة: دار الحديث، ۱۹۸۸ م، ۱۲۵ ص.

۷۷۶- حجة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله

قافلة الزيت مج ۱۹: ع ۱۲ (۱- ۲/ ۱۹۷۲ م) ص ۴- ۵.

۷۷۷- حجة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كأنك تراها

المجاهد (أفغانستان) س ۳: ع ۳۲ (۷/ ۱۹۹۱ م) ص ۲۸- ۳۴.

۷۷۸- حجة لا ينساها التاريخ

حبيب الرحمن الأعظمى

المنهل (جدة) مج ۱۷: ج ۹ (۱۱/ ۱۳۷۶ ه/ ۶/ ۱۹۵۶ م) ص ۶۰۵- ۶۰۸.

۷۷۹- حجة المصطفى

أحمد بن عبداللَّه الطبرى ت ۶۹۴ ه

القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

۷۸۰- حجة المصطفى يبينها النور الوهاج فى ايضاح مناسك الحج هاشم بن عبد السلام الظاهر

الموصل: مط الهدف، ۱۹۵۵ م، ۳۲ ص.

ص: ۲۷۳

۷۸۱- حجة النبی صلی الله علیه و آله

عمر يوسف حمزة

فی: الندوة العالمية الأولی للحج وأحكامه (حيدرآباد، الهند: ۱۹۸۸ م).

۷۸۲- حجة النبی صلی الله علیه و آله

محمد حيّان السمان

الفيصل س ۵: ع ۵۴ (۱۰/ ۱۹۸۱ م) ص ۷۲- ۷۷.

۷۸۳- حجة النبی صلی الله علیه و آله

محمّد ناصرالدين الألبانی

دمشق: ط ۱، ۱۳۷۳ ه، ۱۴۸ ص.

دمشق: المكتب الإسلامی، ۱۳۸۴ ه، ۱۴۹ ص و ۱۹۶۷ م، ۱۶۱ ص.

دمشق: المكتب الإسلامی، ط ۳، ۱۹۷۱ م، ۱۵۲ ص، ۱۷ سم.

القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ۱۹۷۶ م.

بيروت: المكتب الإسلامی، ۱۹۸۵، ۱۴۹ ص.

۷۸۴- حجة النبی وعُمرته

احمد عبد الغفور عطار

ت ۱۴۱۱ ه

(د. م): ط ۱، ۱۳۷۷ ه، ۱۸۲ ص.

۷۸۵- حجة الوداع

عباس الهمدانی

النور (لندن) ع ۳۶ (۱۱/ ۱۴۱۴ ه/ ۵/ ۱۹۹۴ م) ص ۵۰- ۵۱.

۷۸۶- حجة الوداع

عبداللَّه بن الغنی خياط

التضامن الإسلامی (مكة المكرمة) س ۴۰: ج ۵ (ذو القعدة ۱۴۰۶ ه) ص ۳۹- ۴۷.

۷۸۷- حجة الوداع

علی بن أحمد بن حزم ت ۴۵۶ ه

تحقيق: ممدوح حقی

بيروت: ۱۹۵۶ م، ۱۶۴ ص.

بيروت: دار اليقظة، ط ۲، ۱۹۶۶ م، ۲۸۷ ص.

۷۸۸- حجة الوداع

محمد علی التنكابنی

الفكر الإسلامی (طهران) س ۱: ع ۳ (۱۲/ ۱۳۹۲ ه) ص ۳۵- ۳۷.

۷۸۹- حجة الوداع: منظار الحج

م. نسيم عثمان

ص: ۲۷۴

فی: ندوة الحج الدولیّة (لندن:

المعهد الإسلامی، ۴- ۷ أغسطس ۱۹۸۲ م).

۷۹۰- حجة الوداع وعمرات النبی صلی الله علیه و آله

محمد زکریّا الکاندهلوی

الهند: مطبعة ندوة العلماء بلکهنو، ط ۱، ۲۰۸ ص، ۵/ ۱۸* ۵/ ۲۴ سم.

الهند: مطبعة ندوة العلماء بلکهنو، ط ۲، ۱۳۹۰ ه، ۳۰۷ ص (تقدیم:

أبی الحسن علی الحسنی الندوی).

۷۹۱- حجّوا کما حجَّ النبی المصطفی

محمد عبده یمانی

القافلة (ظهران) مج ۴۴: ع ۱۲ (ذو الحجة ۱۴۱۶ ه) ص ۲- ۷.

۷۹۲- الحُجُون

حمد الجاسر

العرب (الریاض) س ۲: ص ۸۶۵

س ۲۰: ع ۱۱- ۱۲ (۵، ۶/ ۱۴۰۶ ه/ ۱، ۲/ ۱۹۸۶ م) ص ۸۳۴- ۸۳۷.

۷۹۳- حدائق الجنان فی الزیارات

(بالفارسیة)

محمد صالح بن عبد الواسع الحسینی

(صهر العلّامة المجلسی)

ظ: مرآة الکتب ۲/ ۱۹۰، معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت علیهم السلام ۹/ ۴۳۶.

۷۹۴- حدود الحرم المکی الشریف وعلاماته

عبد الملک بن عبداللَّه بن دهیش

ظ:

موسوعة الأدباء والکتّاب السعودیین ۳۷۶.

۷۹۵- حدود حمی المشاعر

حمد الجاسر

العرب س ۲۲: ص ۴۶۷.

۷۹۶- حدود عرفات

حمد الجاسر

العرب س ۲۲: ص ۳۱۳.

۷۹۷- حدود عرفات، مزدلفة، منی

حسن الجواهری

میقات الحج ع ۱ (۱۴۱۵ ه) ص ۱۴۳- ۱۶۸.

ص: ۲۷۵

۷۹۸- حدود منى ومزدلفة

العرب س ۲۲: ص ۱۶۵

۷۹۹- الحديبية بعضها حلّ وبعضها حرم

العرب س ۲۳: ص ۵۳۸

۸۰۰- حديث الأضاحى

محمد محمد الشرقاوى

منار الإسلام (أبو ظبى) س ۲۰:

ع ۱۲ (۱۲/ ۱۴۱۵ ه/ ۵/ ۱۹۹۵ م) ص ۱۳- ۱۵.

۸۰۱- حديث عن الأدب فى المدينة المنورة

عبد الرؤوف عبد الباقى

المنهل (جدة) مج ۵: ج ۱ (۴/ ۱۳۵۶ ه/ ۵/ ۱۹۳۷ م) ص ۱۶- ۱۹.

۸۰۲- حديث عن الحج وكلمة حق لحجاج بيت اللّه الحرام

الرسالة الإسلامية (بغداد) ع ۱۴۵ (۱۴۰۱ ه) ص ۱- ۵.

۸۰۳- حديث عن حجة الوداع

محمد شطا

المنهل (جدة) مج ۳: ج ۳ (۲/ ۱۳۵۶ ه/ ۴/ ۱۹۳۷ م) ص ۶- ۱۱.

ج ۴ (۳/ ۱۳۵۶ ه/ ۵/ ۱۹۳۷ م) ص ۱۷- ۲۰.

۸۰۴- حديث عن مكاتب المدينة المنورة وما فيها من النفائس

عبد المجيد الحريرى

المنهل (جدة) مج ۱۱: ج ۹- ۱۰ (۱۱- ۱۲/ ۱۳۷۰ ه/ ۸- ۹/ ۱۹۵۱ م) ص ۳۷۰- ۳۷۹.

۸۰۵- حديث القرآن عن فريضة الحج

محمد سيد طنطاوى

الرسالة الإسلامية (بغداد) ع ۲۱ (۱۳۸۹ ه) ص ۲۰- ۲۵.

۸۰۶- حديث الكتب ووصف المدينة المنوّرة فى ۱۳۰۳- ۱۸۸۵ م

على موسى الأفندى

العرب مج ۷: ج ۲ (شعبان ۱۳۹۲ ه) ص ۱۳۴- ۱۳۷.

۸۰۷- حراء، مطلع وحى

(بالفارسية)

ص: ۲۷۶

ترجمة: مهدى پيشوايى

ميقات حج: ع ۱۴ (زمستان ۱۳۷۴ ش) ص ۱۰۵- ۱۱۵.

۸۰۸- حرز الحجاز فى زيارة بيت اللَّه الحرام وزيارة مرقد خير الأنام

أفضل الدين ابراهيم بن على العجمى الملقّب بحسان العجم المعروف بالخاقانى ت ۵۸۲

ظ:

أعيان الشيعة ۶/ ۱۹۷.

۸۰۹- الحرف والصناعات فى الحجاز فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله

عبد العزيز بن ابراهيم بن سلمان العمرى

الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، ۱۴۰۵ ه، (رسالة ماجستير) الرياض: ۱۴۰۶ ه، ۳۸۴ ص.

۸۱۰- حرك سواكن الغرام الى حج بيت اللَّه الحرام

الكرمى بن يوسف ت ۱۶۲۴ م.

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م) ص ۲۰۴

۸۱۱- الحركة العلمية فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله والخلفاء الراشدين

محمد السيد الوكيل

(جدة): دار المجتمع، ط ۱، ۱۴۰۹ ه، ۱۸۷ ص، ۲۴ سم.

۸۱۲- حرم جناب ابراهيم فرزند رسول خدا

(بالفارسية)

محمد صادق نجمى

ميقات حج س ۲: ع ۸ (تابستان ۱۳۷۳ ش)، ص ۱۲۴- ۱۴۲.

۸۱۳- حرم المدينة المنورة وتجديده

على حافظ

المنهل (جدة) مج ۲۴: ج ۶ (۶/ ۱۳۸۳ ه/ ۹- ۱۰/ ۱۹۶۳ م) ص ۳۳۰.

۸۱۴- الحرم المكى الشريف والأعلام المحيطة به

ص: ۲۷۷

عبد الملک بن عبداللَّه بن دهیش

العرب س ۳۰: ج ۹، ۱۰ (۳- ۴/ ۱۴۱۶ ه) ص ۵۸۴- ۵۹۳، ج ۱۱، ۱۲ (۵- ۶/ ۱۴۱۶ ه) ص ۷۲۸- ۷۴۳.

س ۳۱: ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۶ ه) ص ۲۳- ۳۳. ج ۳، ۴ (۹- ۱۰/ ۱۴۱۶ ه/ ۲، ۳/ ۱۹۹۶ م) ص ۱۶۵.

ج ۵، ۶ (۱۱- ۱۲/ ۱۴۱۶ ه/ ۴، ۵/ ۱۹۹۶ م) ص ۲۹۵- ۳۰۷.

ج ۷، ۸ (۱، ۲/ ۱۴۱۷ ه/ ۶، ۷/ ۱۹۹۶ م) ص ۴۴۱- ۴۵۲.

ج ۹، ۱۰ (۳، ۴/ ۱۴۱۷ ه/ ۸، ۹/ ۱۹۹۶ م) ص ۵۸۳- ۵۹۷.

ج ۱۱، ۱۲ (۵، ۶/ ۱۴۱۷ ه/ ۹- ۱۰/ ۱۹۹۶ م) ص ۷۲۶- ۷۴۲.

س ۳۲: ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۷ ه/ ۱۱، ۱۲/ ۱۹۹۶ م) ص ۷- ۲۲.

ج ۳، ۴ (۹- ۱۰/ ۱۴۱۷ ه/ ۱، ۲/ ۱۹۹۷ م) ص ۱۴۹- ۱۶۳.

ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۷ ه/ ۳، ۴/ ۱۹۹۷ م) ص ۳۰۹- ۳۲۱.

ج ۷، ۸ (۱، ۲/ ۱۴۱۸ ه/ ۶، ۷/ ۱۹۹۷ م) ص ۴۴۵- ۴۵۹.

ج ۹، ۱۰ (۳، ۴/ ۱۴۱۸ ه/ ۸، ۹/ ۱۹۹۷ م) ص ۵۹۷- ۶۱۱.

۸۱۵- الحرم المکی فی مرآة الفقه

عبد الکریم آل نجف

میقات الحج. س ۴: ع ۷ (۱۴۱۸ ه) ص ۱۱۷- ۱۴۱.

۸۱۶- الحرم المکی وحدوده

عبداللَّه بن عبد الرحمن البسام وآخرون

العرب س ۲۲: ص ۵.

۸۱۷- حرم منطقه آزاد وقلب جهان اسلام

(بالفارسیة)

عباس علی عمید الزنجانی

میقات حج س ۱: ع ۲ (زمستان ۱۳۷۱ ش)، ص ۹۱- ۱۰۳.

۸۱۸- حرم همسران ودختران رسول خدا

(بالفارسیة)

محمد صادق نجمی

میقات حج. س ۴: ع ۱۱ (بهار

ص: ۲۷۸

۱۳۷۴ ش) ص ۱۶۴- ۱۷۹.

۸۱۹- الحرمان الشريفان قمة العمارة الإسلامية (كتاب توثيقى عن الحرمين الشريفين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة)

منصور حسين عطار

تقديم: عبداللَّه عمر نصيف، ورضا محمد سعيد عبيد

جدة: دار الخشرمى، [۱۹۹۴ م].

۸۲۰- الحرمان الشريفان وحجاجهما وتأريخ الإرهاب

على خازم

ميقات الحج: ع ۴ (۱۴۱۶ ه) ص ۲۱۸- ۲۲۵.

۸۲۱- حرمة الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى

أحمد عبد الرحيم السايح

الرابطة (مكة المكرمة) س ۲۶:

ع ۲۸۱ (۷/ ۱۹۸۸ م) ص ۱۷- ۲۱.

الفكر الإسلامى (بيروت) س ۱۷:

ع ۸ (۸/ ۱۹۸۸ م).

المنهل (جدة) مج ۵۱: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه) ص ۱۴- ۲۱.

۸۲۲- حرمين شريفين

(بالفارسية)

ابراهيم غفارى

طهران: انتشارات اسوه وابسته به سازمان اوقاف وامور خيريه.

۸۲۳- الحرمين الشريفين

عظمت شيخ

ايطاليا: المؤلف، ۱۹۸۳ م.

۸۲۴- حرمين شريفين (تاريخ مكة والمدينة)

(بالفارسية)

حسين قره چانلو

طهران: امير كبير، ط ۱، ۱۳۶۱ ش، ۱۸۹ ص، ۲۴ سم.

۸۲۵- حسن التوسل فى آداب زيارة أفضل الرسل

(جمع فيه ۹۴ أدباً من آداب الزائر)

جمال الدين عبداللَّه بن أحمد بن على الفاكهى المكى الشافعى ت ۹۷۲ ه.

مصر: ۱۳۱۸ ه (بهامش الاتحاف للشبراوى).

مكة المكرمة: المطبعة الميريّة

ص: ۲۷۹

۱۳۱۶ ه، (بهامش خلاصة الوفا فى أخبار المصطفى) (وبهامش الاتحاف بحب الأشراف للشبراوى).

ظ:

ريحانة الأدب ۴/ ۲۸۸، معجم المطبوعات لسركيس ۱۴۳۲.

۸۲۶- حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحج

أحمد الرشيدى

(وهو من علماء المغرب ت ۱۰۹۶ ه)

خ:

خزانة الحرم المكى ۲

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م) ص ۲۰۴.

۸۲۷- حُسن القِرى فى ذكر أَودية أم القرى

جار اللَّه بن فهد المكى (۸۹۱- ۹۵۴ ه).

العرب س ۱۳: ع ۵- ۶ (۱۰- ۱۱/ ۱۹۷۸ م) ص ۴۶۴- ۴۶۸.

س ۱۶: ج ۵، ۶ (۱۱- ۱۲/ ۱۹۸۱ م) ص ۴۶۴- ۴۶۸.

س ۱۸: ج ۱، ۲ (۴- ۵/ ۱۹۸۳ م) ص ۱- ۵۳.

س ۱۸: ج ۳، ۴ (۷- ۸/ ۱۹۸۳ م) ص ۱۸۷- ۲۱۳.

س ۱۸: ج ۵، ۶ (۹- ۱۰/ ۱۹۸۳ م)، ص ۳۵۷- ۳۸۲.

۸۲۸- حسن النبا فى فضل مسجد قبا

محمد بن على بن علان الصديقى

(ت ۱۰۵۷ ه)

(اختصره من جواهر الأنباء لإبراهيم الوصابى اليمنى)

خ: رامبور بالهند برقم ۳۶۲۰ معهد المخطوطات بالقاهرة مصورة برقم ۳۰۳۳.

ظ:

خلاصة الأثر ۴/ ۱۸۷، العرب.

س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه/ ۴، ۵/ ۱۹۹۶ م) ص ۳۴۵.

۸۲۹- حفر بئر زمزم

ص: ۲۸۰

اسحق بن بشر الاخبارى ت ۲۰۶ ه

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م) ص ۲۰۴.

۸۳۰- حقيقت احرام در مذاهب اسلامى

(بالفارسية)

على حسينى

ميقات حج: ع ۱۶ (تابستان ۱۳۷۵ ه) ص ۴۵- ۶۸.

۸۳۱- حقيقة المجاز الى الحجاز

خليل بن ايبك الصفدى

ت ۷۶۴ ه.

خ: شيخ الإسلام عارف حكمت.

۸۳۲- الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز

عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى ت ۱۱۴۳ ه.

خ: اسعد افندى فى تركية برقم ۲۳۷۶.

الحرم المكى برقم ۴۱.

۸۳۳- حكم العمرة فى الحج

أحمد بن عبد اللّه البتيوشى

الرسالة الإسلامية (بغداد) ع ۵۱ (۱۳۹۲ ه) ص ۹۱.

۸۳۴- حكم فتح راه حجاز به انشاى عطا ملك جوينى در سال ۶۶۷ ه)

(بالفارسية)

باهتمام: رسول جعفريان

ميقات حج: ع ۱۵ (بهار ۱۳۷۵ ش) ص ۶۵- ۶۹.

۸۳۵- حكم قناديل المدينة

مجد الدين الفيروزآبادى

ت ۸۱۷ ه

خ: المكتبة الوطنية فى الجزائر ضمن مجموع برقم ۱۳۶۰، ۸۱۶ ه ۱۲۲- ۱۳۹ ورقة.

مكتبة حمد الجاسر مصورة عن النسخة اعلاه فى آخر كتابه (المغانم المطابة) الذى حقق القسم الجغرافى منه ونشره.

ظ: العرب. س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه/ ۴، ۵/ ۱۹۹۶ م)

ص: ۲۸۱

ص ۳۴۵- ۳۴۶.

۸۳۶- حِكَمٌ من الحج

محمد بن سعد الشويعر

الفيصل (الرياض) ع ۲۳۴ (۱۲/ ۱۴۱۶ ه/ ۴/ ۱۹۹۶ م) ص ۷۹.

۸۳۷- الحكمة فى مناسك الحج

محمد كمال الشريف

منار الإسلام (أبو ظبى) س ۲۰:

ع ۱۲ (۱۲/ ۱۴۱۵ ه/ ۵/ ۱۹۹۵ م) ص ۶۸- ۷۳.

۸۳۸- الحكمة من تقبيل الحجر الأسود

محمد محروس المدرّس

الرسالة الإسلامية (بغداد) ع ۴۵ (۱۳۹۱ ه) ص ۵۳- ۵۹.

۸۳۹- الحكومة الإسلامية الأولى فى المدينة

سليم التكريتى

الوعى الإسلامى س ۴: ع ۴۷ (۱۳۸۸ ه) ص ۴۲- ۴۷.

۸۴۰- حكومة الرسول صلى الله عليه و آله فى المدينة المنورة

جمال الدين عياد

القاهرة، مط دار الفكر الحديث، ۱۹۵۰ م، ج ۱، ۱۰۰ ص.

۸۴۱- حكومة الرسول فى المدينة ودورها فى توحيد الجزيرة العربية

بدر عبد الرحمن محمد

القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ۱۹۸۶، ۱۳۶ ص، ببليوجرافية ص ۱۲۳- ۱۳۲.

۸۴۲- حكومة مكة الائتلافية قبل الإسلام

أحمد رائف

الهلال الدولى (لندن) س ۱: ع ۹ (۲۷ جمادى الآخرة ۱۴۰۸ ه/ ۱۵ فبراير ۱۹۸۸ م)، ص ۷.

۸۴۳- حكومة مكة وصيغ الأحلاف السياسية العربية قبل الإسلام

عبد الحسين مهدى الرحيم

آفاق جامعية (جامعة السليمانية:

العراق) س ۲: ع ۹ (تموز ۱۹۷۸ م) ص ۳۱- ۳۳.

ص: ۲۸۲

۸۴۴- حلف الفضول

(بالفارسية)

رسول محلاتى

ماهنامه پاسدار إسلام: ع ۴۶ (مهر ۱۳۶۴ ش)، ص ۳۲- ۳۴.

۸۴۵- حلف الفضول وقصة الغزال

هشام بن محمد بن السائب الكلبى النسّابة

ظ:

الذريعة ۷/ ۶۲.

۸۴۶- حلق وتقصير

(بالفارسية)

أحمد زمانى

ميقات حج. س ۳: ع ۹ (پاييز ۱۳۷۳ ش) ص ۲۷- ۳۷.

۸۴۷- الحلقة المفقودة فى تاريخ الحجاز على من تقع مسؤوليتها

أحمد السباعى

المنهل (جدة) مج ۱: ج ۱۱- ۱۲ (۱۰- ۱۱/ ۱۳۵۶ ه/ ۱۲/ ۱۹۳۷ م- ۱/ ۱۹۳۸ م) ص ۱۲- ۱۶.

۸۴۸- حلية الاهتداء فى الصلواة على أهل بيت الاصطفاء

خ: مجلس الشورى فى طهران

ظ: فهرس المجلس ۹/ ۴۵، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ۹/ ۴۴۱.

۸۴۹- حلية الزائرين

محمد على بن محمد بن هداية اللّه الحسنى الرازى الشاه عبد العظيمى النجفى (۱۲۵۸- ۱۳۳۴ ه)

النجف الأشرف: المطبعة المرتضوية، ۱۳۴۳ ه، ۴۹ ص، ۲۴ سم، حجرية.

۸۵۰- حلية المتّقين

(فى الزيارات)

عبداللّه بن محمد رضا الحسينى الشبّرى، ت ۱۲۴۲ ه

ظ: الذريعة ۷/ ۸۳، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۴۲.

۸۵۱- حمى المدينة وجبالها وأوديتها

أبو الحسن على بن محمد بن

ص: ۲۸۳

عبد اللّه بن أبى سيف المدائنى ت ۲۲۵ ه

ظ: فهرست النديم ۱۱۶، العرب.

س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه/ ۴، ۵/ ۱۹۹۶ م) ص ۳۴۶.

۸۵۲- حمامة البشرى إلى أهل مكة وحلماء أم القرى

أحمد المتنبى القاديانى ت ۱۹۰۸ م

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م) ص ۲۰۴.

۸۵۳- الحنين الى الحجاز

فؤاد الخطيب

المنهل (جدة) مج ۱۴: ج ۱ (۱/ ۱۳۷۳ ه/ ۹/ ۱۹۵۳ م) ص ۵۱- ۵۳.

۸۵۴- الحنين الى مكة

أحمد إبراهيم الغزاوى

المنهل (جدة) مج ۲۳: ج ۳ (۳/ ۱۳۸۲ ه/ ۸/ ۱۹۶۲ م) ص ۱۷۱- ۱۷۲.

۸۵۵- حوادث تاريخى مكه- حوادثى كه در طى قرنهاى گذشته در مكه اتفاق افتاده است

(بالفارسية)

هادى امينى

ترجمة: محسن آخوندى

ميقات حج س ۱: ع ۱ (پائيز ۱۳۷۱ ش) ص ۷۲- ۶۵.

۸۵۶- حوادث تتعلّق بالحجرة النبوية

يُحتمل للسمهودى

(د. م): نشرها حمد الجاسر، ۱۳۹۲ ه (بضمن رسائل تتعلق بتاريخ المدينة، وسمى المجموع «رسائل فى تاريخ المدينة».

۸۵۷- حِوارٌ مع ممثل الولى الفقيه فى شؤون الحجِّ والزيارة

ميقات حج: ع ۲ (۱۴۱۵ ه) ص ۳۳۴- ۳۴۹.

۸۵۸- حوار مع ممثل الولى الفقيه فى شؤون الحج والزيارة حول موسم الحج لعام ۱۴۱۶ ه

ميقات الحج. س ۳: ع ۵ (۱۴۱۷ ه) ص ۱۸۲- ۱۹۸.

ص: ۲۸۴

۸۵۹- حوارات حول شؤون الحج

خادم على سالاريان، جواد رجايى

طهران: مشعر، ط ۲، ۱۳۷۵ ش، ۹۶ ص.

۸۶۰- حول بيت اللَّه الحرام

عبداللَّه الشيبى

المنهل (جدة) مج ۹: ج ۱ (۱/ ۱۳۶۸ ه/ ۱۱/ ۱۹۴۸ م) ص ۱۱- ۱۲.

۸۶۱- حول تاريخ‌المدينة للمرجلنى

محمد الشاذلى النيفر

المنهل (جدة) مج ۳۱:

ج ۱ (۱/ ۱۳۹۰ ه/ ۳/ ۱۹۷۰ م) ص ۸۸- ۹۰.

۸۶۲- حول طريق المدينة

حمد الجاسر

العرب. س ۱: ص ۱۱۵۷، س ۱۷:

ع ۳- ۴ (۹، ۱۰/ ۱۴۰۲ ه) ص ۲۱۶- ۲۲۴.

۸۶۳- حول القبة المبنية على قبر الرسول صلى الله عليه و آله

مقبل بن هادى الوادعى

مطبوع.

ظ:

أخبار التراث الإسلامى ع ۱۶ (۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸ م) ص ۱۵.

۸۶۴- حول مساجد مكة المكرمة:

فضائل أم القرى حقائق ثابتة

حمد الجاسر

العرب س ۲۰: ع ۹- ۱۰ (۳، ۴/ ۱۴۰۶ ه/ ۱۱، ۱۲/ ۱۹۸۵) ص ۶۴۱- ۶۴۶.

۸۶۵- حول المسجد الحرام:

خصائص بيت اللَّه الحرام بمكة

الحسينى مصطفى الريس

الهداية (المنامة) س ۱۱: ع ۱۳۰ (۸/ ۱۹۸۸ م) ص ۴- ۱۹.

۸۶۶- حول مكاتب المدينة المنورة

محسن أحمد باروم

المنهل (جدة) مج ۱۲: ج ۲ (۲/ ۱۳۷۱ ه/ ۱۱/ ۱۹۵۱ م) ص ۱۱۱- ۱۱۲.

۸۶۷- حول الملتقى الذى إليه

ص: ۲۸۵

تهفو القلوب وتشتاق الأرواح

حمدی لطفی

المجاهد (القاهرة) س ۹: ع ۹۲ (۸/ ۱۹۸۸ م) ص ۲۲- ۲۶.

۸۶۸- حول وادی العقیق

حمد الجاسر

العرب (الرياض) س ۶: ع ۱۱ (۵/ ۱۳۹۲ ه/ ۷/ ۱۹۷۲ م) ص ۸۴۱- ۸۴۴.

۸۶۹- الحياة الاجتماعية فی صدر الإسلام

محمد ضیف اللَّه بطاينة

المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ۱۹۸۸ م، ۲۸۹ ص.

۸۷۰- الحياة الاجتماعية والاقتصادية فی المدينة المنوّرة فی صدر الإسلام

نورة بنت عبد الملك بن ابراهيم آل الشيخ

جدة: تهامة، ۱۴۰۳ ه/ ۱۹۸۳ م، ۱۸۹ ص (رسائل جامعيّة، ۱۳) (رسالة ماجستير مقدمة فی كلية التربية للبنات، ۱۴۰۲ ه).

۸۷۱- الحياة الاقتصادية والاجتماعية فی نجد والحجاز فی العصر الأموی ۴۰- ۱۳۲ ه/ ۶۶۰- ۷۵۰ م

عبداللَّه محمد ناصر السيف

القاهرة: جامعة القاهرة، ۱۹۷۸ م (رسالة دكتوراه).

۸۷۲- الحياة الزراعية فی عصر دولة الرسول صلی الله علیه و آله والخلفاء الراشدين (۱- ۴۰ ه)

الحبيب الجنحانی

فی: ندوة النظم الإسلامية (أبو ظبی: ۱۸- ۲۰/ ۲/ ۱۴۰۵ ه/ ۱۱- ۱۳/ ۱۱/ ۱۹۸۴ م).

۸۷۳- الحياة الزراعيّة فی عصر دولة الرسول صلی الله علیه و آله والخلفاء الراشدين (۱- ۴۰ ه)

عبد العزيز الدوری

بحث مقدّم فی: ندوة النظم الإسلامية المنعقدة فی (أبو ظبی:

۱۱/ ۱۹۸۴ م).

۸۷۴- الحياة السياسية فی مكة والمدينة المنوّرة فی العصر

ص: ۲۸۶

العباسی الأول

فاطمة حمدان حمود اليمانی

جدة: كلية التربية، الرئاسة العامة لتعليم البنات، ۱۴۰۷ ه (رسالة ماجستير)

۸۷۵- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فی المدينة المنوّرة فی العصر الأموی من سنة ۴۱ الی ۱۳۲ ه

نورة عبدالملک بن ابراهيم آل‌الشيخ

جدة: كلية التربية، الرئاسة العامة لتعليم البنات، ۱۴۰۷ ه (رسالة دكتوراه)

۸۷۶- خارطة المسجد النبوی ومرقده صلی الله عليه و آله وتعيين زيادات المسجد

ابراهيم بن أحمد حمدی المدنی (۱۲۸۸ ه)

ظ: الذريعة ۷/ ۱۳۳.

ذيل كشف الظنون للطهرانی ۴۳

۸۷۷- خاطرات حج

(بالفارسية)

محمد عظيمی

طهران: دهخدا، ط ۱، ۱۳۶۳ ش، ۱۲۰ ص.

۸۷۸- خاطرات زيارت خانه خدا وعتبات عاليات در خدمت راهنما

(بالفارسية)

محمّدرضا خانی

باهتمام: حبيب اللَّه، باگ گوهر وسيد محمود السعيدی

ط ۱: ۱۳۶۷ ش، ۵۲۶ ص، ۲۴ سم.

۸۷۹- خاطرات سفر حج

(بالفارسية)

سلطان حسين بن صالح عليشاه گنابادی

(۱۳۳۲ ه...)

ظ: مشار ۱/ ۱۸۴۱،

مشار مؤلفين ۳/ ۳۴۵،

فهرستواره منزوی ۱/ ۷۶.

۸۸۰- خاطرات سفر مكه

(بالفارسية)

احمد هدايتی

طهران: ۱۳۴۳ ش، ۲۳۹ ص، ۲۴ سم.

۸۸۱- خاندان ابو سعيد ورامينی

ص: ۲۸۷

وتلاش براى: آبادانى حرمين شريفين

(بالفارسية)

رسول جعفريان

ميقات حج س ۱: ع ۱ (بائيز ۱۳۷۱ ش) ص ۱۷۰- ۱۶۵.

۸۸۲- خانه كعبه وراز معنوى آن

(بالفارسية)

هانرى كربن

ترجمة بزرگ نادر زاده

معارف اسلامى ع ۲۳ (دى ۱۳۵۴ ش) ص ۲۱- ۲۷، ع ۲۴- ۲۵ (۱۳۵۵ ش) ص ۹۱- ۹۵.

۸۸۳- خانه مردم بایاد داشتى از سفر حج

(بالفارسية)

مهدى بازرگان

طهران: شركت انتشار، ۱۳۴۵ ش، ۸۳+ ۷۹+ ۶۹ ص.

۸۸۴- الخدمات الصحية بمدينة مكة المكرمة: دراسة فى الجغرافيا الاجتماعية

عبداللَّه الصنيع

مكة المكرمة: جامعة ام القرى، ۱۹۸۳، ۱۱۲ ص.

۸۸۵- خريطة مكة والمشاعر

محمد زكى فارس

جدة: ۱۴۰۲ ه.

ظ: المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م) ص ۲۰۵.

۸۸۶- خسى در ميقات

(بالفارسية)

طهران: انتشارات رواق، ص ۳، ۱۳۶۴ ش، ۱۸۴ ص، ۲۱ سم.

۸۸۷- خصائص العاملين الباكستانيين المتكفلين بالانفاق على حجاج باكستان

احمد باشا وآخرون

جدة: جامعة الملك عبد العزيز، ۳۲ ص.

۸۸۸- خصوصيت فقهى محدوده كعبه

(بالفارسية)

عبد اللَّه جوادى آملى

ميقات حج س ۲: ع ۵ (بائيز

ص: ۲۸۸

۱۳۷۲ ش) ص ۱۷- ۳۳.

۸۸۹- الخطب فى المسجد الحرام فى الدين والاجتماع

عبداللّه عبد الغنى

دمشق: مكتبهٔ الغزالى، ط ۱، ۱۳۹۹ ه، ۲۵۵ ص، ۲۴ سم.

۸۹۰- خطط المدينهٔ المنورهٔ

صالح احمد العلى

العرب مج ۱: ج ۱۲ (۶/ ۱۳۸۷ ه) ص ۱۰۵۷- ۱۰۶۲.

۸۹۱- الخطط المكيّهٔ

محمد بن سعيد الحضراوى ت ۱۳۲۶ ه

ظ: المنهل (جدهٔ) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م) ص ۲۰۵

۸۹۲- خلاصهٔ الأخبار فى تاريخ المدينهٔ

محمد عاشق الحنفى

خ: أيا صوفيا برقم ۲۳۸۹

ظ: العرب. س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه/ ۴، ۵/ ۱۹۹۶ م) ص ۳۴۷.

۸۹۳- خلاصهٔ الاعتبار فى الحج والاعتمار

الشهيد الأول محمد بن مكى، سنهٔ ۷۸۶ ه

ظ: الذريعهٔ ۷/ ۲۱۴، ۲۲/ ۲۷۶.

۸۹۴- خلاصهٔ تاريخ مكهٔ المعظمهٔ

(بالأردو)

فخر الدين حسين الدهلوى

(كان حياً سنهٔ ۱۲۶۸ ه)

ظ: الثقافهٔ الاسلاميهٔ فى الهند ۷۶.

۸۹۵- خلاصهٔ الرسائل فى فضائل مكهٔ

محمد بن بار الهندى البرهانبورى

(۱۰۴۱- ۱۱۱۰ ه)

ظ: المنهل (جدهٔ) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م) ص ۲۰۴.

۸۹۶- خلاصهٔ الروضهٔ الشريفهٔ

عبداللّه محمد الحبشى

العرب س ۱۰: ج ۳، ۴ (۱۰- ۱۱/ ۱۹۷۵ م) ص ۲۶۸- ۲۷۲.

۸۹۷- الخلاصهٔ فى تاريخ

ص: ۲۸۹

المدينة

(رسالة فارسية)

عمر الحافظ الرومی

ظ: كشف الظنون ۱/ ۷۱۹،

العرب. س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه/ ۴، ۵/ ۱۹۹۶ م) ص ۳۴۷.

۸۹۸- خلاصة الكلام فی بيان أمراء البلد الحرام

أحمد زينی دحلان ت ۱۳۰۴ ه

القاهرة: المطبعة الخيرية الجمالية، ۱۳۰۵ ه (طبع بهامشه: الإعلام بأعلام بيت اللَّه الحرام، للنهروالی)

بيروت: د. ت.

۸۹۹- خلاصة مناسک الحج:

مطابقة لفتاوی سماحة الإمام السيد روح اللَّه الموسوی الخمينی

(بالفارسية)

قم: پاسدار اسلام، ظ ۱، ۱۳۶۵ ش، ۱۴۸ ص، ۱۹ سم.

ط ۳، ۱۳۶۶ ش، ۱۳۶ ص، ۱۹ سم.

۹۰۰- خلاصة مناسک الحج

الإمام الخمينی قدس سره

تعريب: فهری

بيروت: الدار الاسلامية، ۲۲۲ ص، ۲۱ سم.

۹۰۱- خلاصة مناسک حج

(بالفارسية)

موسوی خوئينی

طهران: مركز تحقيقات وانتشارات حج، ۱۴۰۷ ه، ۱۳۲ ص.

۹۰۲- خلاصة الوفا فی أخبار المصطفی

(مختصر كتاب المؤلف وفاء الوفا)

علی بن عبداللَّه بن أحمد السمهودی

۸۰۴- ۹۱۱ ه

خ: الرباط، الخزانة الملكية، عدة نسخ، ۴۷۱۶، ۱۵۵۸ و ۸۸۸۴ و ۵۰۹۸ و ۲۱۴۳.

روان كشک ۱۵۷۳

طُبع فی: بولاق: ۱۲۸۵ ه، ۲۴۴ ص (وبهامشه: حسن التوسل فی آداب زيارة أفضل الرسل للفاكهی)

ص: ۲۹۰

مکة المکرمة: المطبعة المنیریّة، ۱۳۱۶ ه، ۲۸۶ ص.

القاهرة: مطبعة الحلبی، ۱۳۶۷ ه، ۴، ۴۲۰ ص.

المدینة المنورة: المکتبة العلمیة، ۱۹۷۲ م، ۶۵۹ ص.

ظ: کشف الظنون ۲۰۱۶،

معجم المطبوعات لسرکیس ۱۰۵۳، معجم ما ألّف عن رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله ۹۵.

۹۰۳- خواطر بین الکعبة والمصطفی

عبدالحی طه علوان

الرسالة الاسلامیة (بغداد)

ع ۱۱۱ (۱۳۹۸ ه) ص ۸۱- ۸۲.

۹۰۴- خواطر حاج

عبدالغنی الملاح

الموصل: مط الاتحاد الجدیدة، ۱۹۵۳ م، ۶۸ ص.

۹۰۵- خواطر الحج

توفیق محمد شاهین

الوعی الإسلامی (الکویت) س ۲۵:

ع ۳۰۰ (۷/ ۱۹۸۹ م) ص ۲۰- ۲۳.

۹۰۶- خواطر عن الحج

فؤاد رضا

المنهل (جدة) مج ۲۰: ج ۱ (۱/ ۱۳۷۹ ه/ ۷/ ۱۹۵۹ م) ص ۴۵- ۴۶.

۹۰۷- خواطر من الحج عند بیت المولی

علی الکورانی

میقات الحج ع ۱ (۱۴۱۵ ه) ص ۳۱- ۳۱۸.

۹۰۸- خورشید معرفت در گناه وطاعت: در پیرامون حج وعمره مأخوذ از قرآن مجید واحادیث نبی اکرم وآل عصمت (بالفارسیة)

محمد جواد الموسوی الغروی

طهران: جاوید، ۱۳۵۳ ش، ۳۸۸ ص.

۹۰۹- خیر القری فی زیارة أمّ القُری

أحمد بن عبداللَّه الطبری ت ۶۹۶ ه

ظ: کشف الظنون ۷۲۷،

معجم ما ألف عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ۳۵۴

ص: ۲۹۱

الفهرس العام لمجلة ميقات الحج ۵- ۸

الفهرس العام لمجلة ميقات الحج ۵- ۸

الفهرس العام لمجلة ميقات الحج ۵- ۸

فهرس المواضيع:

العددالصفحة

ص: ۲۹۲

۱- فقه الحجّ:

المقالة المؤلّف المحقّق العدد الصفحة

ص: ۲۹۳

۲- مفاهيم الحجّ:

المقالة المؤلّف المحقّق العدد الصفحة

۱- أسرار الحجّ وأعماله الباطنة ابن ميثم البحرانى رحمه الله ۱۶۵ إعداد: فارس تبريزيان

۲- أضواء حول الحجّ عبداللّه جوادى آملى ۳۱۰۶

۳- تأمّلات جمالية عرفان الفهدى ۳۳۲۶

۴- فلسفة الحجّ وأسرار مناسكه عباس على عميد الزنجانى ۶۱۵۷

۵- البيت الحرام محمّد مهدى الآصفى ۹۵۴۸

۶- لمحة عن الحجّ ومناسكه محمّد جواد حجّتى كرمانى ۹۸۳۸

۷- أمن الحرم محسن الأسدى ۱۰۸۰۸

۸- بحثاً عن النور على الكورانى ۱۱۳۲۸

۳- الحجّ والتأريخ:

المقالة المؤلّف المحقّق العدد الصفحة

۱- الحجر الأسود بين الإمام العابد عبدالمطلب محمّد ۹۴۵ والسلطان الزائف

۲- حجر إسماعيل فى مسيرته محسن الأسدى ۱۰۴۵ التأريخية و...

۳- هل طاف النبىّ صلى الله عليه و آله حول محمّد هادى اليوسفى ۱۷۱۵ الأصنام...؟

۴- أبوالوليد الأزرقى وكتابه محمّد على مهدوى‌راد ۲۳۷۵ «أخبار مكّة»

۵- نشأة الحياة العلمية فى الحجاز عبدالجبار الرفاعى ۴۲۳۶

ص: ۲۹۴

ص: ۲۹۵

۶- جغرافية الحجّ ومعالمه المقدّسة:

المقالة المؤلّف المحقّق العدد الصفحة

۱- قرن المنازل عبدالهادی الفضلی ۸۴۵

۲- مختصر معجم معالممكّة عاتق بن غيث البلادی ۲۱۸۵ التأريخية (۳)

۳- المساجد والأماكن الأثرية ... (۳) عبدالرحمن خويلد ۲۲۸۵

۴- الجحفة عبدالهادی الفضلی ۳۸۲۶

۵- أرض عرفات علی قاضی عسكر ۴۶۸۶

۶- المساجد والأماكن الأثرية... (۴) عبدالرحمن خويلد ۵۶۷۶

۷- مختصر معجم معالم مكّة عاتق بن غيث البلادی ۸۲۸۷ التأريخية (۴)

۸- المساجد والأماكن الأثرية ... (۵) عبدالرحمن خويلد ۸۷۱۷

۹- المساجد والأماكن الأثرية ... (۶) عبدالرحمن خويلد ۱۱۴۵۸

۷- الرسائل واللقاءات:

العددالصفحة

۱- حوارٌ مع ممثّل الولی الفقيه... ۱۸۲۵

۲- رسالة الأستاذ واعظ زاده إلی بن باز ۲۶۵۵

۳- لقاء مع المؤرّخ الحجازی، عاتق بن غيث البلادی ۴۹۵۶

۴- رسالة رئيس منظمة الحجّ و الزيارة إلی وزير حجّ المملكة العربية السعودية ۱۰۴۵۸

ص: ۲۹۶

۸- المعاجم:

فهرس الكتاب والمحقّقين:

ص: ۲۹۷

ص: ۲۹۸

ص: ۲۹۹

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخيص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فيض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنةَ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.